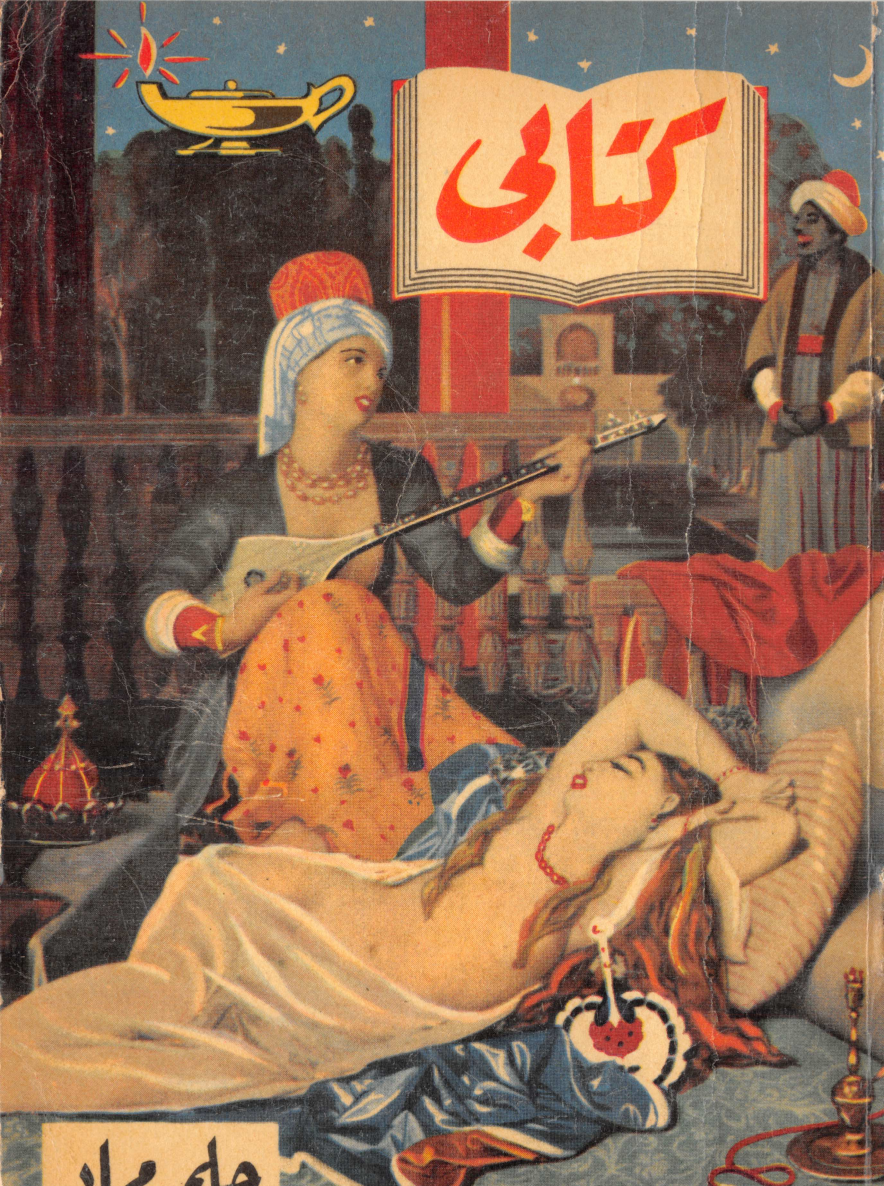
كتابي



حلمي مراد

الحريم للرسام الفرنسي الخالد "انجر"

١٧ قرش



يارب .. احفظ بابا وماما !

لوحة خالدة للرسام الانجليزى الأشهر «رينولدز»



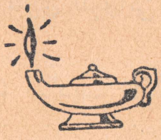
الى متى نرى هذا المنظر ؟

آدميان يجران سفينة ! (تصوير الاميرالاى الدكتور ناجى يسى)

كتابي

كتاب شهرى لتلخيص الكتب العالمية
يصدر أول كل شهر
صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

شعار الكتاب



مصباح الفكر عند الاغريق

الكتاب السابع والأربعون (السنة الرابعة) : فبراير ١٩٥٦
الاشتراكات ومجموعة الاعداد السابقة: اقرأ التفصيلات بالداخل

الادارة : عمارة الجندول - ١٤ شارع ٢٦ يوليو - بالقاهرة
تليفون : ٥٩٥٥٦

محتويات الكتاب

كتابى

أعداد نفدت

الكتب الستة الأولى ، والادارة مستعدة لشرائها .

كتابى السابع « **عشيقة نابليون** » ، والثامن « **مذكرات كيوبيد** » ، والتاسع « **صنم تحطم** » ، والعاشر « **حديقة الله** » ، والحادى عشر « **عندما تحقد المرأة** » ، والثانى عشر « **لعبة الحب والموت** » ، والثالث عشر « **توبة خاطئة** » ، والرابع عشر « **أيهـا الربيع ترفق** » ، والخامس عشر « **الشـيطان على الأرض** » ، والسادس عشر « **ليدى هاملتون** » ، والسابع عشر « **الأرملة المرحة** » ، والثامن عشر « **حيـاة جورج صاند** » ، والتاسع عشر « **حياة سـارة برنار** » والعشرون « **رباعيات عمر الخيام** » ، والحـادى والعشرون « **حياة بتهوفن** » ، والثـانى والعشرون « **حياة موسولينى** » ، والثالثوالعشرون « **كوخ العم توم** » ، والرابع والعشرون « **الزوج والعشيق** » ، والخامس والعشرون « **البوهيمية** » ، والسادس والعشرون « **فتاة لها ماض** » ، والسابع والعشرون « **ترويض النمرة** » ، والثامن والعشرون « **فن الحب** » ، والتاسع والعشرون « **الجريمة والعقاب** » ، والثلاثون « **المنافق** » (**طرطوف**) ، والحادى والثلاثون « **أميرة مصر** » ، والثانى والثلاثون « **الامطار** » ، والثالث والثلاثون « **أفروديت** » ، والرابع والثلاثون « **أقنعة الحب السبعة** » والخامس والثلاثون « **سـالومى** » ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦

◆ **وتطلب** من ادارة كتابى : ١٤ شارع ٢٦ يوليو بالقاهرة (عمارة الجندول) وثمن كل عدد (من العدد ٧ الى ٢٤) ١٠ قروش خالصا أجرة البريد (المسجل) ما عدا العددين ١٣ ، ١٦ ، وثمن كل منهما ١٢ قرشا ، والعدد العاشر ، والعدد العشرون ، وثمن كل منهما عشرون قرشا .. وابتداء من العدد ٢٥ ثمن كل نسخة بالبريد المسجل ١٢ قرشا

◆ **ملاحظة : ترسل القيمة فى مصر والسودان باذن بريد عادى ، وفى الخارج بشيك على أحد بنوك القاهرة ، ولا تقبل العملة الأجنبية أو أذون البريد الخارجية . وتحرر الاذون والشيكات باسم صاحب المجلة شخصيا**

مطبوعات كتـابى

صدر منها حتى الآن :

١ ــ قصة مدينتين

٢ ــ ذات الثوب الابيض

٣ ــ الخـالدون

٤ ــ الخاطئة

٥ ــ حياة امرأة (الجزء الأول)

٦ ــ حياة امرأة (الجزء الثانى)

٧ ــ الخطيئة الأولى وفتاة من الأقاليم

٨ ــ أوديب

٩ ــ مدام بوفارى

وثمن كل من الأول والرابع والسابع ، عشرون قرشا خالصا أجرة البريد المسجل (نظرا لوشك نفادها) ، والثانى والثامن والتاسع ١٢ قرشا ، والثالث والخامس والسادس ١٠ قروش

« كتابى » يشترى الأعداد الستة الأولى من القراء

نظرا لالحاح الكثيرين من القراء فى طلب الاعداد الستة الاولى من « كتابى » ، ولتعذر اعادة طبعها فى الوقت الحاضر ، ولما كان لا يبعد أن يكون لدى البعض أكثر من نسخة من الاعداد المذكورة .. **فقد رأت ادارة « كتابى » أن تعلن عن استعدادها لشراء أى عدد من نسخ الاعداد الستة الأولى تمهيدا لتمكين من تنقصه الاعداد المذكورة من اقتنائها بعد ذلك من الادارة . فالرجا الاتصال بالمجلة فى هذا الشأن ، على أن يكون تسليم النسخ اليها حضوريا أو بالبريد المسجل .**

الاشتراك فى « كتابى »

◆ ترسل جميع الأعداد الى المشتركين : بالبريد المسجل . وقيمة الاشتراك فى مصر والسودان : عن سنة (١٢ عددا) : ١٢٠ قرشا ، وعن نصف سنة (٦ أعداد) ٦٥ قرشا — فى الخارج (العراق وسوريا ولبنان والاردن الخ ..) ترسل القيمة بشيك أو بحوالة بريدية نقدبة Money Order عن طريق مكاتب البريد وتحتسب القيمة بما يوازى ١٣٠ قرشا (عن سنة) و ٧٠ قرشا (عن نصف سنة) . وفى الحجاز والكويت وعدن وحضرموت واليمن وقبرص وانجلترا وأمريكا وفرنسا وأستراليا قيمة الاشتراك ١٦٠ قرشا (عن سنة) خالصة أجر البريد ، وفى ألمانيا ١٦٠ قرشا (عن سنة) بخلاف أجر البريد الجوى

اشترك فى المعركة برأيك :

هل كان يستحق المحاكمة ؟
.. أم كان يستحق التمجيد ؟!

عزيزى القارىء ..

◆ كان الجزء الاول من قصة « مدام بوفارى » – الذى قدمته لك فى «مطبوعات كتابى » خلال الشهر المنصرم – بمثابة المقدمة ، او التمهيد ، لحوادث القصة الرئيسية ، التى هزت المجتمع الفرنسى عند نشرها ، وادت الى محاكمة مؤلفها أمام محكمة جنح باريس – فى يناير سنة ١٨٥٧ – بتهمة « خدش الآداب العامة والمساس بالدين » !

ونظرا لالتزامى – فى « مطبوعات كتابى » – مبدأ نشر الترجمة الكاملة ، الحرفية ، للكتب الطويلة التى اختارها لتلك السلسلة ، عبارة بعبارة ، بل كلمة بكلمة – (واكرر هذه الحقيقة للمتشككين ، مرة اخرى !) – فقد اضطررت الى تجزئة القصة الى جزئين .. رغم لجوئى الى بنط الحروف الصغيرة فى اكثر الصفحات ، اشفاقا من ان تمتد التجزئة الى ثلاثة اجزاء !

وقد وقفت بك فى نهاية الجزء الاول من القصة ، وبطلتها التعسة « ايمابوفارى » تترنح على حافة الهاوية – هاوية السقوط – التى فغرت فاها تحت قدميها !

وفى الجزء الثانى والاخير من القصة،الذى أقدمه لك فى غضون الشهر الحالى باذن الله ، يدخل بنا المؤلف فى صلب القصة الحقيقية – بعد أن مهد لها بتحليل نفسية البطلة ، ونشأتها ، ومشاعرها – فنرى « ايما » تنزلق الى الهاوية ، فى تردد – أول الامر ! – ثم تتردى فيها بجماع قلبها وجسدها .. حتى تغرق فى أوحالها الى هامة رأسها !.. وهى كلما تقدمت فى مستنقع شهواتها خطوة ، غارت الارض تحت قدميها فغاصت الى اسفل ، أكثر فأكثر .. حتى تدركها نهايتها المفجعة آخر الامر !

فاذا فرغت من قراءة الجزء الثانى من القصة ، فسوف تجد فى الملزمة الاخيرة منه تذييلا طويلا ، يتضمن مرافعات الاتهام والدفاع فى جلسات محاكمة مؤلفها ، بالتهمة التى اسلفت الاشارة اليها . ولست أشك فى انك سوف تستمتع معى بمتابعة الحملة العنيفة التى شنها المدعى العام على مؤلف القصة ، بحجة انه صور فيها المرأة الخاطئة فى صورة تستدر عطف القارىء عليها ، بدلا من أن تستجلب سخطه ونقمته !

كما لست اشك فى انك سوف تستمتع – من الناحية الاخرى – بمطالعة مرافعة محامى المتهم ، وتفنيده لحملة المدعى العام ، فى جملتها وتفصيلها .. وهى المرافعة التى ادت الى صدور الحكم ببراءة المتهم ، فاخلى سبيله فى ٧فبراير سنة ١٨٥٧ ، ولكن بعد ان اسمعته المحكمة كلمة توبيخ .. لا بأس بها !

هذه فرصتك لتحديد اتجاه القارىء العربى !

• ولما كان قد انقضى قرن كامل بالضبط على نشر القصة ، ومحاكمة مؤلفها .. قرن تطورت فيه مقاييس الأخلاق ، والدين ، وتقاليد المجتمع .. كما تطورت فيه مذاهب الأدب ، ومدارسه ، واتجاهاته .. فقد رأيت أن أنتهز فرصة نشرى للترجمة الكاملة لهذه القصة باللغة العربية – لأول مرة – فأوجه اليك استفتاء أدبيا ، أحتكم فيه اليك ، باسم المؤلف ، فى قضيته .. فألقى عليك هذا السؤال الصريح :

هل كان « فلوبير » يستحق المحاكمة ، من أجل تأليفه هذه القصة ؟.. أم كان يستحق التمجيد ؟.. ولماذا ؟

ارسل الى بحكمك الخاص ، وحيثياته ، بعد قراءة الجزء الباقى من القصة .. وبعد الاستئناس بحجج كل من فريقى الاتهام والدفاع .. واجعل من هذه المساجلة فرصة تدلى فيها برأيك ، وتتعرف على آراء غيرك – عند اعلان النتيجة النهائية – كيما يكون لوعينا العام العربى كيان واضح المعالم ، محدد الاتجاهات ، فى هذه الايام التى يكثر فيها الجدل وتضل فيها الحقائق وسط طوفان من المناقشات..

ان نتيجة هذا الاستفتاء سوف تكون بمثابة المصباح الذى يلقى ضوءا كاشفا على حقيقة اتجاه القارىء العربى ، وحيرته بين دعاة الأدب الواقعى ، والأدب الرومانتيكى .. أو الأدب المكشوف ، والأدب المستتر !

فاشترك فى هذا الاستفتاء برأيك ، تسد الى قراء العربية – والى نفسك – صنيعا أدبيا كبيرا ..

والله ولى التوفيق ..

حلمى مراد



نافذة «كتابي» تطل على العالم:

رأيت وسمعت لك ... في أوربا

للمحرر

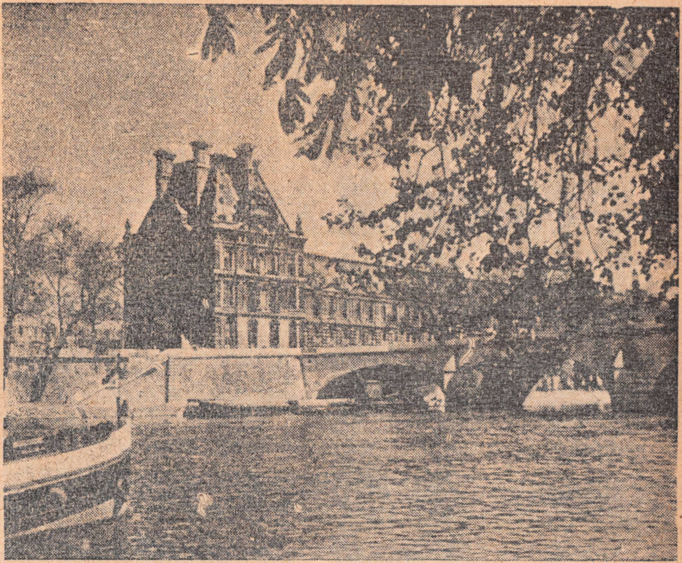
أكبر وأشهر متحف للفنون فى العالم !

◆ تجولنا معا ، فى الفصل السابق ، فى الحى اللاتينى - أشهر أحياء باريس - فتسكعنا بين مكتباته ومقاهيه التى يزدحم بها شارعه الرئيسى « بوليفار سان ميشيل » .. وزرنا جامعة السوربون ، ومقبرة العظماء « البانثيون » ، ثم تناولنا طعام الغداء فى مطعم « صينى » من مطاعم الحى ذات الطابع غير المألوف ! .. وأخيرا مضينا الى متحف « اللوفر » الذى تؤلف مبانيه أكبر وأضخم قصر فى العالم ! .. ورأينا كيف تعاقب ملوك فرنسا على تشييد أجنحته المختلفة ، منذ وضع الملك فيليب أغسطس نواته الاولى - عام ١٢٠٠ - لتكون قلعة تحمى خطوط الدفاع عن باريس ضد الغزاة من أعدائها .. ثم تتبعنا مراحل تطور القصر - بل القصور - حتى هجره ملوك فرنسا ليقيموا فى قصرهم الجديد بضاحية (فرساى) ، ثم جاء نفر من الفنانين البوهيميين فاحتلوا جناحا من القصر كان مهجورا لم يتم بناء سقفه بعد ! .. وأخيرا تحدثنا عن الجناح الآخر الذى كان معروفا باسم قصر « التويلليرى » ، والذى شهد الكثير من الاحداث الهامة فى تاريخ فرنسا .. حتى غادرته الامبراطورة أوجينى ، زوجة نابليون الثالث - لآخر مرة - فى ٤ سبتمبر سنة ١٨٧٠ ، على اثر هزيمة فرنسا فى الحرب السبعينية وسقوط الامبراطورية

واليوم نتم قصة قصر اللوفر ، ونزور المتحف العظيم بمختلف أجنحته - ومن بينها الجناح المصرى - ثم ننطلق لزيارة بقية معالم باريس :

الجماهير تدك قصر التويلليرى !

◆ **لم تكد** تسقط امبراطورية نابليون الثالث على اثر هزيمة فرنسا فى الحرب السبعينية - عام ١٨٧٠ - حتى هاجت الجماهير وأشعل الثوار النار فى « قصر التويلليرى » فدمروه عن آخره ، كما أصابوا بالتلف جزءا من رواقى قصر اللوفر .. فلما جاءت الجمهورية بادرت الى ترميم الرواقين ، لكنها لم تفكر فى اعادة تشييد « التويلليرى » .. وبذلك اتخذ قصر اللوفر صورته النهائية التى يرى عليها اليوم . وفى تلك الأيام نشأت



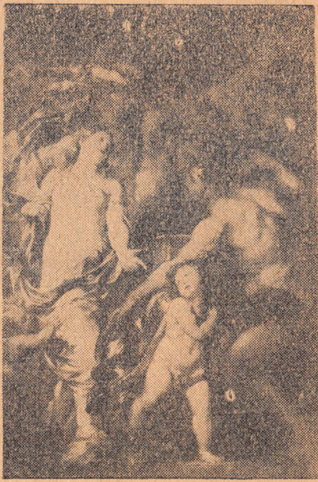
أحد أجنحة مبانى متحف اللوفر (القصر الملكى سابقا) ، ويطل على نهر السين

فكرة جعله مقرا لمتحف فنى عالمى . وكان بالقصر عدد كبير من اللوحات والتحف التى خلفها فيه ملوك فرنسا المتتابعون ، أثناء اقامتهم فيه .. ثم نقل اليه فى عام ١٩٠٥ « متحف الفنون الزخرفية » ، الذى يحتوى على مجموعة من أهم المجموعات فى عالم الفن ، القديم والحديث ! .. وبمرور الأعوام تضاعفت محتويات القصر من التحف العالمية النادرة ، حتى صار أشهر متحف من نوعه فى العالم ، بل صار « مزارا » شبه مقدس لكل زائر لباريس ، أيا كانت

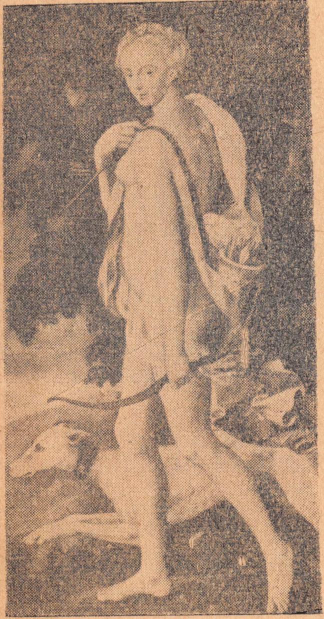
جنسيته أو ثقافته !٠٠ وهكذا ، بعد ان كانت شهرة قصر اللوفر طوال القرون الماضية قائمة على كونه قصرا ملكيا ، أضحت شهرته اليوم كمتحف ذائع الصيت ، تفوق تلك الشهرة الأولى أضعافا ٠٠

الملك الفنان !

◆ **ولو** تتبعنا تاريخ التحف التى يضمها قصر اللوفر اليوم ،



لوحة للرسام «فان دايك» ، تصور ربة الحسن « فينوس » تطلب من زوجها «فولكان» اله النار والمعادن ان يمد بالاسلحة ابنها «اينيه» (الذى اشترك فيما بعد فى حرب طروادة)



لوحة من اجمل معروضات متحف اللوفر ، تمثل «ديانا» الهة الصيد منطلقة بقوسها وسهامها ، وكلبها

لوجب أن نرجع نواتها الأولى الى عهد الملك فرانسيس الأول .. فان هـذا الملك ، الـذى اكتسب من حـروبه الايطالية تذوقا للفن ، لم يقنع بمجرد اسباغ رعايته على نوابغ فنانى عصره ، ومنح الهبات الماليـة والتشجيع الأدبى لنوابغ فنانى البلاد الأخرى ـ مثل «رافاييل» و « ميكل انجلو » ـ وانما جاوز ذلك الى الاهتمام بجمـع التحف والقطع الفنية من كل نوع ، من شتى الاقطار .. فجمع اللوحات ، والتماثيل ، والجواهر ، والتحف البرونزية ، والمداليات .. الخ .. كما جلب من ايطاليا ١٢٤ تمثالا من بدائع الفن القديم ، وعـددا كبـيرا من التماثيل النصفية ..



الصبى عازف الفلوت ، للرسام المشهور « مانيه »

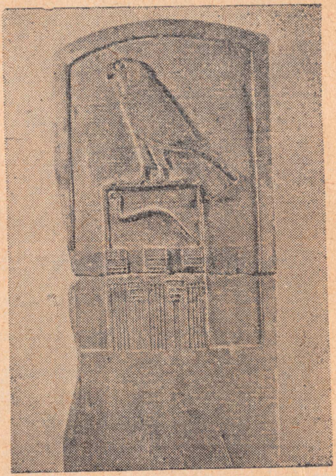
وفى عهد لويس الثالث عشر كان مخـدع الملك يضم مائتى لوحـة من « الكانفا » .. وعند موت لويس الرابـع عشر كان عـدد اللوحات الزيتية التى يحتـويها قصرا « اللـوفر » و « فرساى » أكـثر من ألفى وخمسمائة لوحة .. أما اليوم ، فان متحف اللـوفر يضم نحو مائتى ألف عمل فنى !

والآن ، تعال نطـوف معا بمختلف أجنحة وأبهـاء متحف اللوفر ، بادئين بالجناح المصرى ، الذى يعتبر من « أهم » أجنحة المتحف .. لست أزعـم ذلك اعتباطا ـ بدافع الفخر القومى ـ وانما أستشهد بعبارة جاءت فى الصفحة ٢٢ من « دليل نيكول »

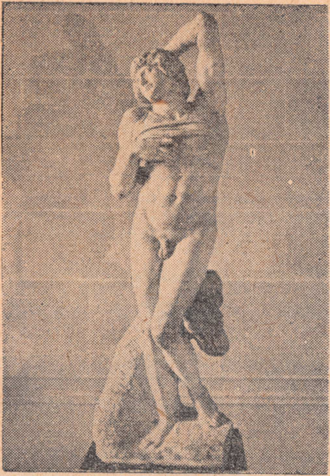
عن المتحف ، هذا نصها : « ومايـنبغى أن يغادر أحد باريس قبل أن يزور الأقسام الآتية من المتحف : جناح الآثار المصرية ، جناح الآثار الشرقية .. الخ » .. ويلى ذلك تعداد سائر أجنحة المتحف الأخرى !

وأعتقد اننى ــ من باب أولى ــ ينبغى أن لا أخرج عن هذا الترتيب فى زيارتى معك للمتحف ، على هذه الصفحات :

الجناح المصرى : وهو يشغل عدة قاعات وأبهاء من المتحف ، وفى طابقين لا طابق واحد من طوابقه .. وترجع الآثار الموجودة به الى ماقبل الميلاد بما يتراوح بين ثلاثة آلاف وثلاثمائة سنة ، وواحد وثلاثين سنة .. وأهم هذه الآثار : الكاتب المصرى (الجالس القرفصاء) ، العجل « أبيس » ، معبد لمصطبة ، تمثال الاميرة نفرت ، تمثال الملك سيتى الأول ، قاعدة الملك الثعبان ، حاملات القرابين (ويرجع تاريخ هذا الأثر الرائع الى عهد الامبراطورية الوسطى) ، تمثال الالهة هاتور ، الاطار الخارجى لتابوت الملك رمسيس الثالث ، أربعة أجزاء من قاعدة مسلة الأقصر ، تمثال الملك أوزيريس ، قاعة السرابيوم ، « كلب أسيوط » (وهو تمثال جميل يراه الزائر على سلم من السلالم المؤدية الى الجناح ، يطلق عليه « سلم شامبوليون » ــ نسبة الى العالم الفرنسى المشهور الذى



حجر أثرى من معروضات الجناح المصرى بمتحف اللوفر ، وهو يرمز للملك الثعبان



تمثال العبد للمثال الخالد
« ميكل أنجلو »

اكتشف رموز اللغة الهيروغليفية على « حجر رشيد » .

ويتعذر الاحاطة فى هذه السطور بجميع محتويات الجناح المصرى الذى يراه العالم بين جنبات متحف اللوفر ، لذلك أقتصر من مئات المعالم الاخرى على هذه الامثلة الأخيرة : «أموز وتوت عنخ امون» ، **رأس رجل ، موظف وزوجته ، أموز و « موت » ، أسير من ليبيا ، تمثال نصفى للملك امينوفيس الرابع ، تمثال الملكة «كاروماما» ، الكاتب « نبميروتيف » والاله « توت » .. أما التحف الصغيرة المعروضة فى واجهات وصناديق زجاجية فكثيرة لا يدركها الحصر ، ومن بينها : آنيات للازهار من الفضة من كنز « تود » ، تماثيل صغيرة من الخشب ، حلى ومجوهرات ، وأدوات لزينة النساء ، أقمشة قبطية من العصر اليونانى الرومانى .. الخ**

والآن ، وقد شعرت بالزهو لرؤية كل هذه الشواهد الناطقة بمجد مصر وحضارتها العريقة ، معروضة على ملأ من السائحين الوافدين من أربعة أركان الأرض ، تعال نربت على ظهر هذا التمثال الضخم لأبى الهول ، المصنوع من الجرانيت الأحمر ، والرابض فى الردهة المؤدية الى سلم الخروج .. ثم لنتجه الى الجناح التالى وهو :

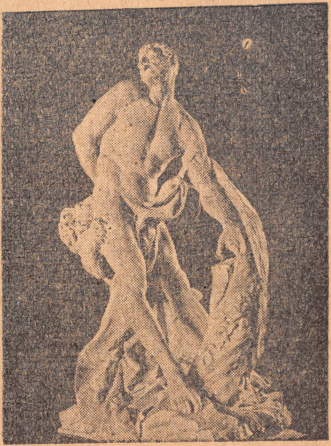
جناح الآثار الشرقية : واذا كان الجناح المصرى فى «اللوفر»

لا يعد شيئا مذكوراً الى جانب متاحف الآثار المصرية بالقاهرة، فان جناح الآثار الشرقية بالمتحف الفرنسى يعتبر أغنى متاحف العالم بهذا النوع من الآثار على الاطلاق ، وهو يضم آثارا من بلاد فارس (ايران) ، وفينيقيا (سوريا ولبنان) ، واشور ، وبلاد الكلديين (بين نهرى دجلة والفرات) وغيرها من المناطق التى تعاقبت عليها حضارات بابل واشور والفرس منذ نحو سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد حتى غزو الاسكندر عام ٣٣١ قبل الميلاد ، أى خلال ثلاثين قرنا كاملة !

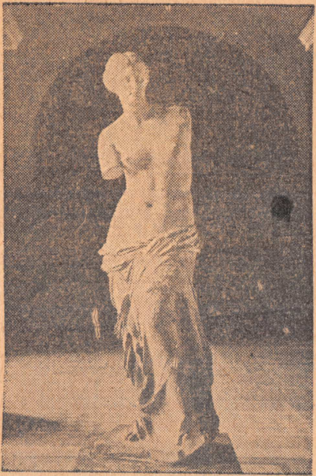
ومن أهم معروضات هذا الجناح : ألواح قانون «حمورابى» ، قمة عامود من أعمدة قصر «دارا» ملك الفرس ، الثيران المجنحة (من آثار اشور) ، تماثيل «جوديا» ، سباع من فارس ، تابوت « اشمونازار » ، آثار من (راس شمرا) ، آنية زهر فضية من أماتونت (بقبرص) ، حلى وأوان من قصر دارا ٠٠ الخ

فاذا انتقلنا فى هذا الجناح الى متحف الفن الاسلامى رأينا تحفا رائعة من دمشق ، وورودس ، يرجع تاريخها الى القرنين السادس عشر والسابع عشر ، منها الأوانى البرونزية المطعمة بالذهب والفضة ، والحلى المصنوعة من العاج ، والأقداح المطلية بالميناء ، والسجاد ٠٠ الخ

فاذا أمتعنا البصر بكنوز الفنون الشرقية ، مضينا من هذا الجناح الى :



تمثال من بدائع فن النحت المعروضة بمتحف اللوفر ، للمثال «بيير بوجيه»



تمثـال « فينوس دى ميلو » ، أشهر تماثيل متحف اللوفر

جنـاح الآثار اليـونانية والرومانية: أما الآثار اليونانية فهى مجموعة ضخمة من آيات فن النحت التى يرجع بعضها الى القرن السادس ، ونصف القرن الخامس قبل الميلاد ، ويرجع بعضها الآخر الى النصف الثانى من القرن الخامس ، وهى الحقبة التى ظهر فيها الفنان الخالد « فيدياس » .. ثم هناك الحقبة الثالثة التى تمتد حتى القرن الأول قبل الميلاد ، **ويتيه متحف اللوفر على متاحف العالم بأثرين من آثار هذه الحقبة طبقت شهرتهما الخافقين ، هما : تمثال «فينوس دى ميلو» المكسور الذراعين ، والنصب التذكارى للنصر اليونانى فى معركة «ساموثراس»** . ويأتى بعد هذه الحقبة ، العصر اليونانى الرومانى ، الذى بدأ منذ القرن الأول قبل الميلاد وامتد حتى القرن الرابع الميلادى . وفى هذا العصر ترى تماثيل الهة الرومان تحمل قسمات وجوه الاغريق !

وهذا الجناح من متحف اللوفر يضم عشرات القاعات والابهاء ، التى يشرف على مدخلها التمثال الخالد «فينوس دى ميلو» ، ومن هذه القاعات : قاعة اغسطس (وكانت فيما مضى المخدع الصيفى للملكة آن النمسوية) ، قاعة البارثنون (نسبة الى الصرح الأثرى المجاور للأكروبول فى اثينا) ، قاعة

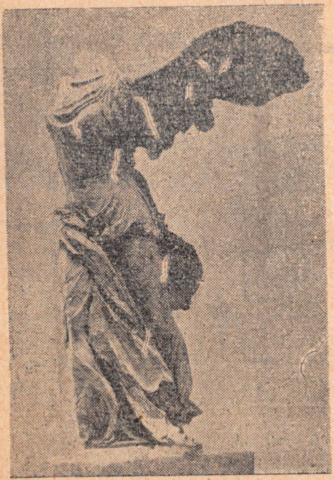
« فيـدياس » ، قاعة القرن الخـامس (وبها تمثال آخر لفينوس) ، قاعة القرن الرابع (وبها تمثال ثالث لربة الجمال ، وتمثال رائع للاله ابوللو ، وآخر للالهـة ديانا الهـة الصيد والقنص) ٠٠ الخ

وفى احدى هـذه القاعات ، تعجب اذ تتبين فى قسمات بعض تماثيل الرومان ـ سواء الكاملة أو النصـفية ـ ملامح مصرية ! ٠٠ وبالقرب منها فى قاعة أخرى تماثيل مصنوعة من الرخام الملون ٠٠ وفى قاعة ثالثـة ، آثار من « الموزاييك » الفاخر ، ولوحات بارزة منحوتة من آيات الفن اليونانى ، تصور أبدعهـا المبارز المشـهور « بورجيزى » ٠٠ وفى قاعة أخرى آثار العصور الأولى للمسيحية

٠٠ وفى خامسة ، كنوز التحف



لوحة بمتحف اللوفر من ريشة الرسـام « رمبرانت » ، تمثل زوجته الوديعة العذبة الطيبة ، التى كانت فى الاصل خادمته !



انتصار « ساموثراس » : تمثال من أعظم معروضات الجناح الاغريقى بمتحف اللوفر

الفضية ٠٠ وفى سادسة ، التحف البرونزية والحلى ٠٠
وقد كانت احدى هذه القاعات ، « القاعة الكبرى » لقصر اللوفر القديم ، ايام كان يقطنه ملوك فرنسا ، وفى أحد أطرافها أربعة أعمدة رائعة النحت تحف بمنصة كانت مخصصة لعازفى الموسيقى فى حفلات الاستقبال والمراقص ٠ (وترى صورتها فى الصفحة التالية)



أم تعد المائدة لأطفالها ، لوحة بمتحف اللوفر للرسام « شاردان »

وحين كان يموت ملك ، كان يعرض فى هذه القاعة قالب له يلبسونه ثياب الملك وله رأس من الشمع صيغ على قالب من رأس الملك المتوفى ، فجاء يحمل قسمات وجهه وتفصيلاته بحذافيرها ٠ كما ان هذه القاعة شهدت أول حفلة تمثيلية مثل فيها الكوميدى الخالد « موليير » احدى مسرحياته امام الملك لويس الرابع عشر ٠٠ وكان ذلك ليلة ٢٤ أكتوبر سنة ١٦٥٨ ٠

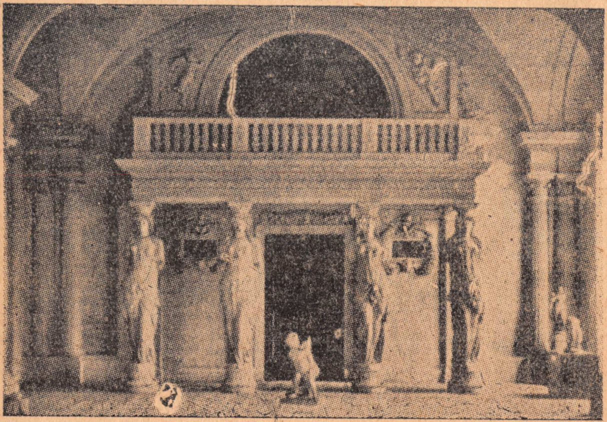
والآن ، تعال نغادر هذا الجناح الى :

٠ جناح آثار القرون الوسطى ، وعصر النهضة ، والقرن السابع عشر : ويضم هذا الجناح عددا كبيرا من تحف فن النحت فى تلك العصور ، موزعة على قاعات عدة ٠٠ ومن أهم محتويات هذا الجناح ، تماثيل : الملك شارل الخامس و «جين دى بوربون» ، القديس جورج (مار جرجس) يصارع التنين ، عذراء « اوليفيه » ، ديانا ، عبدان (للفنان ميكل انجلو) ، حورية فونتنبلو (للفنان المغامر « تشيلليني ») ، يوحنا المعمدان الطفل (للفنان دوناتيللو) ، نماذج من فنون

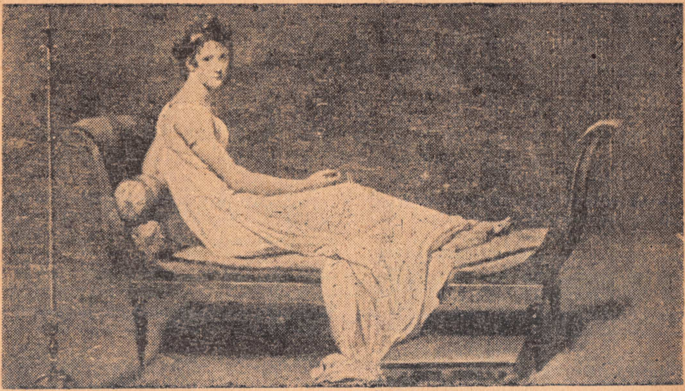
النحت فى تلك القرون فى كل من : فرنسا ، انجلترا ، ايطاليا ، (وخاصة فلورنسا وفنيسيا) ٠٠ تمثال « هرقل » ، قبر الكردينال « مازاران » ، تماثيل كل من الملوك : لويس الثالث عشر ، آن النمسوية ، لويس الرابع عشر فى طفولته ٠٠ ومن أجمل تحف هذا القسم تمثال للدوقة « دى بورجونى » فى زى « ديانا » الهة الصيد

فاذا فرغنا من هذا الجناح ، فتعال معى الى البهو الخلاب :

◆ **بهو أبوللو** : وهذا البهو - مجردا عن التحف التى يحتويها - يعتبر من أجمل وأفخم الابهاء والأروقة فى أوربا بأسرها (كما ترى من صورته التى نشرتها لك فى صفحة ٣٠ من العدد ٤٥) ٠ وقد أنشىء فى عهد الملك هنرى الرابع ، وأعيد تجديده بعد حريق عام ١٦٦١ ٠ وقد أنفق الفنان « لوبران » فى نقشه وتزيينه عشرين عاما ، ثم استأنف « دوبان » المهمة فأكمله فى عهد نابليون الثالث ٠ وبه



المنصة الرائعة لجوقة الموسيقى ، باحدى قاعات قصر اللوفر



« مدام ريكامييه » ، سيدة الصالونات الأدبية المشهورة فى تاريخ فرنسا : للرسام « لوى دافيد » (١٧٤٨ - ١٨٢٥)

سور فاخر من الحديد المزخرف جلب من قصر « ميزون » فى عام ١٦٥٠ .

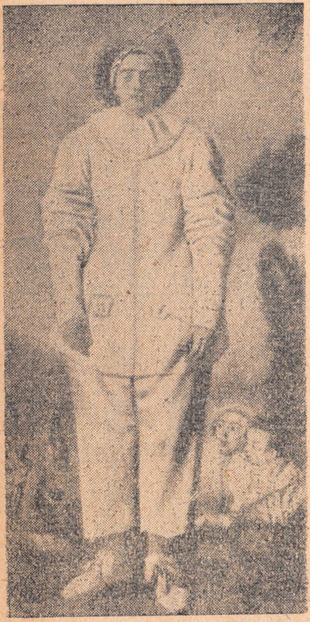
وتمتد فى وسط هذا البهو النادر مناضد رخامية متتابعة ، فوقها صناديق زجاجية تضم أثمن كنوز ملوك فرنسا من الحلى ، وجواهر التاج ، (ومن بينها الماسة المشهورة زنة ١٣٧ قيراطا) .. الى جانب كنوز الشهيد « سان دنيس » أول أساقفة باريس

فاذا انتهينا الى الطرف الآخر لهذا البهو الفريد فى فخامته ، وجدنا أنفسنا فى مستهل سلسلة من القاعات المتتالية ، تضم أعظم مجموعة فى العالم من اللوحات الزيتية التى لا تقدر بمال ! - (وقد نشرت لك الكثير من هذه اللوحات على الورق المصقول فى أعداد كتابى) - وهى مقسمة ، حسب نظام عرضها ، الى عدة مدارس فنية ، هى : المدرسة الفرنسية ،

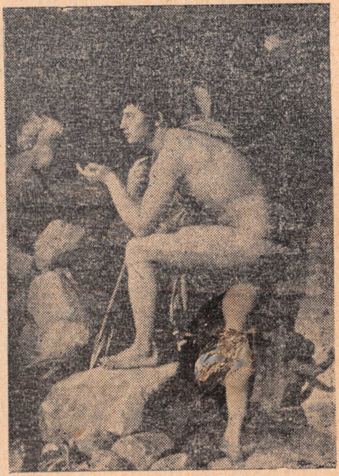
والمدرسة الايطالية ، والمدرسة الاسبانية، والمدرسة الهولندية ، والمدرسة الالمانية ، ثم المدرستان الانجليزية والامريكية ..

فلنقم بجولة نلم فيها الماما خاطفة بمعروضات كل مدرسة منها :

◆ **المدرسة الفرنسية :** وأشهر لوحاتها : الجرة المكسورة ، للفنان « جروز » (وهى التى حليت بها غلاف العدد ٤٣ من كتابى) - «العدالة الالهية » ، و « الانتقام يطارد



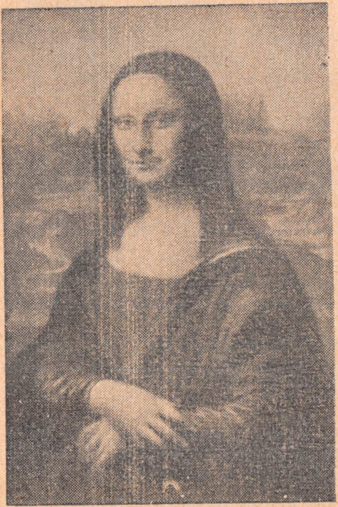
« البلياتشو » : لوحة رائعة تمثل بلاهة المهرج فى المسارح القديمة: للفنان «واتو» (١٦٨٤ - ١٧٢١)



« أوديب يحاول حل ألغاز أبى الهول » : لوحة مشهورة للفنان انجر

الجريمة » للرسام « برودون » ـ « تتويج نابليون » للفنان « دافيد » ـ « هوميروس » للفنان « انجر » (صاحب لوحة غلاف هذا العدد) ـ « الطاحونة » للرسام « رنوار » ـ « اوليمبيا » للرسام « مانيه » ـ « الكردينال ريشليو » للرسام فيليب دى شامبانى » ـ « مذبحة سكيو » للرسام « ديلاكروا » ـ « انجيلوس » للرسام « ميليه » ـ « اوديب يجيب أبا الهول على ألغازه » ، للرسام « آنجر » .. وعشرات غيرها من اللوحات الخالدة لأشهر الفنانين الفرنسيين

◆ **المدرسة الايطالية** : ومن أجمل معروضاتها : « عذراء الصخور » و ابتسامة الجيوكندا (مونا ليزا) ، للرسام الخالد « ليوناردو دافنشى » ـ ومن تحف « رفاييل » : البستانية الحسناء ، القديس جورج ، القديس ميشيل ، « بلتازار كاستليونى » ـ وللرسام « كوريجيو » : اغفاءة أنتيوب ، الزواج الغامض للقديسة كاترين ـ وللرسام « جيورجيونى » : لحن الحقول ـ وللرسام « تيسيان » : حسناء تتزين ، الرجل ذو القفاز ، الدفن ـ وللرسام « فيرونيز » : « عرس (قانا الجليل) » .. الخ



اللوحة التى يفخر بها متحف اللوفر : «الجيوكندا» الخالدة ، للرسام الخالد «ليوناردو دافنشى» (١٤٥٢ ـ ١٥١٩)

◆ **المدرسة الاسبانية** : وأهم معروضاتها : المتسول الصغير ،



اللوحة المشهورة التى تصور ملك انجلترا «شارلس الاول» الذى أعدم فى القرن السابع عشر ، وهى من رسم الفنان «فان دايك» (١٥٩٩ - ١٦٤١)

للرسام « موريلدو » - الطفلة مرجريتا ، للرسام « فيلاسكيز» - « مسيح كوفاروبيا » للرسام « ال جريكو » - نادى القدم ، للرسام « ريبيرا » - الغادة ذات المروحة ، للرسام « جويا » .. الخ

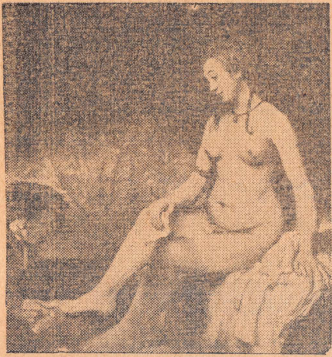
◆ **المدرسة الهولندية** : ومن أشهر لوحاتها : زورق الحمقى ، للرسام « جيروم بوش » - «البوهيمية» ، للرسام «هالز» - « حجاج عماوس » ، «فينوس وكيوبيد » ، و « بيتسابيه » ، و «دراسة لثور»، وكلها للرسام الخالد « رمبرانت » - شارل الاول ، للرسام « فان دايك » - « هيلينا وأطفالها » للرسام « روبنز »

◆ **المدارس الألمانية والانجليزية والامريكية** : وتقل معروضات كل من هذه المدارس الثلاث عن معروضات المدارس السابقة .. ومن أشهر لوحات الأولى : « الرسام دورر » بريشته ، و « ايرازمس » للرسام « هولبين » .. أما المدرسة الثانية فأهم لوحاتها : « الام » للرسام هويسلر .. وأما المدرسة الثالثة فأهم لوحاتها : «منظر عام لفرساى»، للرسام « بوننجتون »

وأكتفى بهذا القدر من الحديث عن متحف اللوفر ،



« صانعة الدانتلا » : لوحة «ناطقة» من رسم الفنان الهولندى «فرميردى دلفت» (١٦٣٢ - ١٦٧٥)



لوحة « بيتسابية » للفنان الخالد « رمبرانت »

تاركا مهمة اكمال الحديث لعشرات الصور التى نشرتها وأنشرها لك فى اعداد كتابى المختلفة ـ سواء على الغلاف، أو على الورق المصقول ، أو فى الصفحات العادية ـ منقولة عن أشهر لوحات متحف اللوفر وسواه من المتاحف العالمية ..

غابة بولونيا

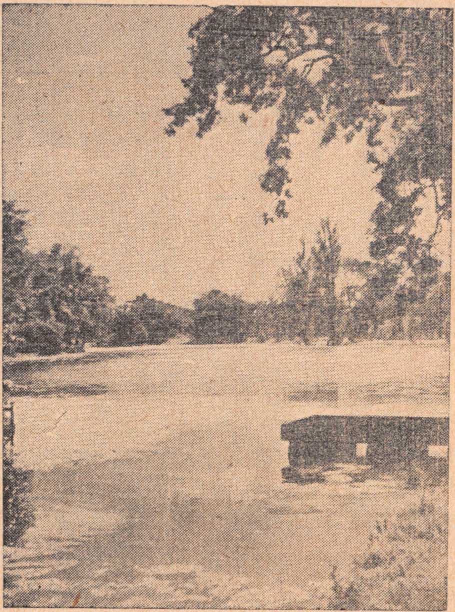
● والآن ، وقد تملينا من سحر هذا الفن ، هذا الجمال المصنوع ، تعال نروح عن أنفسنا ونهضم هذه « التخمة الفنية » بين أحضان الطبيعة ، ذات الجمال المطبوع ..

فلننمض الى غابة بولونيا .. الرئة الكبرى التى تتنفس بها مدينة النور !

وغابة بولونيا ذات ماض عريق ، موغل فى القدم الى الحقب الباكرة من تاريخ فرنسا ، وقد كانت تعرف يومئذ باسم « غابة السنديان » ، نظرا لكثرة أشجار السنديان فيها وتفوقها

فى النسبة على سائر صنوف الأشجار الأخرى العتيقة التى تظلل ممرات الغابة ، بل شوارعها الفسيحة ٠٠ وفى القرن الحادى عشر أقام جماعة من الحطابين مساكنهم فى الغابة ، فنشأت من هذه المساكن مع مضى الزمن شبه قرية صغيرة ٠٠

وفى عام ١٣٠٨ ، حج أهل القرية الى كنيسة مدينة بولونيا المشرفة على البحر ، فلما عادوا من حجهم بلغ من تحمسهم أن



البحيرة الصناعية بغابة بولونيا المشهورة

قرروا بناء كنيسة فى قريتهم على نسق تلك التى زاروها ، وأطلقوا عليها نفس اسمها : «نوتردام دى بولونيا» .. ومع مضى الايام ، لصق اسم بولونيا بالقرية ، ثم بالغابة كلها !

وكانت الغابة ملكا للاسرة المالكة ، وقد أحاطوها بسور له ثمانية أبواب . وفى عهد الوزير « كولبير » شقت فى الغابة الطرقات الفسيحة ، ومنذ القرن السابع عشر بدأ الناس يتنزهون فيها .. وقد بلغت أوج « مجدها » خلال القرن الثامن عشر ، حين صارت النزهة فيها « موضة » باريس الشائعة !

وقد اجتاحت الجيوش الروسية والبريطانية الجزء الاكبر من الغابة حين عسكرت فيها على اثر هزيمة نابليون فى واترلو ، سنة ١٨١٥ .. فلما جلت عنها الجيوش اجتثت أشجار الكستناء والجميز والسنط من مساحة كبيرة من الغابة .. ثم جاء نابليون الثالث فمنح الغابة للمدينة فى عام ١٨٥٢ ، بشرط أن تنفق على اصلاحها وتجميلها مليونى فرنك .. فاضطلع البارون « هوسمان » ـ مجدد شباب باريس ـ بالمهمة : أزال السور المحيط بالغابة ، وأنشأ متنزها على نسق متنزه (هايد بارك) المشهور فى لندن ـ (وكان الامبراطور يخصه باعجابه الزائد) ـ ثم شق فى الغابة شوارع وممرات يبلغ طولها ستين ميلا ، وحفر بحيرتين صناعيتين ، وأقام متنزهين للملاهى .. حتى صارت الغابة بمثابة جنة صغيرة تتوسط مدينة النور!

.. أما وقد عرفت طرفا من ماضى الغابة العريقة .. فلنمض معا الآن لنتفقد حاضرها . هل نستقل عربة حنطور تسير بنا الهوينى فى ممرات الغابة ؟

وتمضى بنا العربة ذات الجوادين فى مسالك الغابة ، وحوذيها البدين الظريف يثرثر بما يعرفه عن معالمها ، وعن



« الراعيــة » : للرسام « ميلليه » (١٨١٤ - ١٨٧٥) ..
لوحــة جميـــلة بمتحف اللوفـــر

المبـــانى الأنيقة المتناثرة فى أحضان الغابة .. فهـذا مطعم يشرف على بحيرة «ارمينو نفيل» الصناعية الشاسعة الابعاد، وقد انتثرت فيه الموائد والمقاعد، وجلست جـوقة الموسيقى فى مكانها الانيق تعزف للطـاعمين الحانا ناعمة تتفق مع جو الغابة الشاعرى .. وهـذا ناد خاص فاخر مقصـور دخوله عـلى أعضائه ، وبه حمام للسباحة ، وملاعب لممارسة مختلف ضروب الرياضـــة .. وهـــذه حلبة « باجاتيل » الرائعـــة للعبة البـــولو ، وقد انتثرت الجياد « الفاخرة » فى أنحائها ، ووقف اللاعبـون - بقبعاتهم وعصيهم التقليـــدية - يتأهبـون لأداء تمرينهم اليومى عليها ..

واينما أدرت بصرك فيمـــاحولك ، ألفيت أشجارا باسقة، وأغصـــانا متعانقة ، وأزهارا يانعة ، وبحيرات ساجية ، ومقاه صـــغيرة ضائعـــة فى اطار من الجمـــال الطبيعى الساحر .. وهنا وهناك استرخى العشاق ، أزواجا ، على بساط من الحشائش

لا يحد البصر مداه .. وقد يصافح سمعك نغم حالم خافت ينبعث من مصدر مجهول : ربما من راديو صغير على هيئة حقيبة يد ، تديره عاشقة لحبيبها تحت غصن وارف .. أو من عازف كمان يتنقل بين المناضد فى حانة بعيدة من حانات الغابة القليلة .. أو من سيارة تتسلل فى هدوء فى بعض شوارع الغابة وقد أدار راكباها جهاز الراديو فى خفوت يدعو للاعجاب والاحترام !

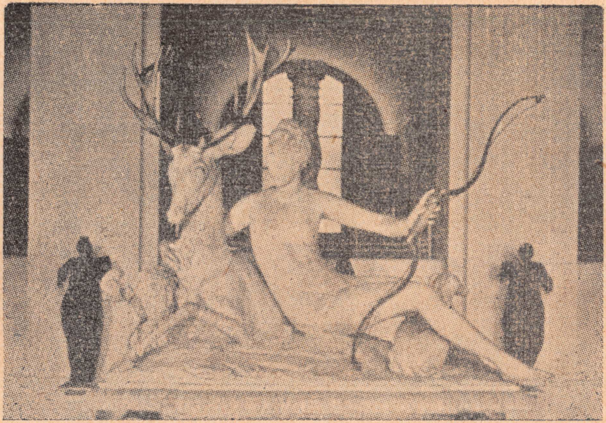
وبعد أن تتسكع بنا العربة أكثر من ساعتين فى مسالك الغابة ، تفضى بنا الى طريق الخروج

حديقة النباتات

◆ **الى** أين نذهب الآن ؟ ما دمنا بصدد التملى من جمال الطبيعة ، فلنواصل نزهتنا بالعربة الى حدائق أخرى جميلة من مجالى باريس ، هى « حديقة النباتات » .. وقد أنشأها اثنان من أطباء الملك لويس الثالث عشر ، لتكون حقل تجارب لابحاثهما النباتية . ففى سنة ١٦٢٦ حصل الطبيبان على ترخيص بشراء منزل وقطعة أرض على الضفة اليسرى لنهر السين ، لينشئا عليها « الحديقة الملكية للاعشاب الطبية » ! .. ولم تنقض ١٥ عاما حتى كانا قد زرعا فيها الفين وخمسمائة نوع من النبات ! ورغم ان الحديقة فتحت للجماهير فى عام



شجرة الأرز اللبنانية المزروعة فى حديقة النباتات بباريس



ديانا الهة الصيد : تمثال رائع بمتحف اللوفر

١٦٥٠ ، فانهــا ظلت تحت اشراف الطبيبين الى عهد لويس الرابع عشر ٠٠ وطـوال تلك المدة كان أربعة من الاخصائيين يجـوبون بقاع العالم ليجمعوا أكبر عـدد من النباتات التى تنمو فى مختلف البلاد ـ (وترى مع هذا الكلام صـورة لشجرة الارز اللبنانية الضخمة المزروعة فى حديقة النباتات بباريس)

وفى سـنة ١٧٣٩ عـين للحديقة مدير جديد ، استحدث فيها الكثير من التحسينات : من ذلك ممر أشـجار الزيزفون ، ومتاهة الحديقة (بيت جحا) ، ومـدرج التمثيل ، والمعمـل الكيميائى ، ومتحف التـاريخ الطبيعى ٠٠ كما زاد مساحـة الحديقة اذ ضم اليها قطعة الارض التى كانت تفصلها عن نهـر السـين ٠ وفى عهد الثـورة الكبرى انشئت فيهـا حديقة للحيوان ، كانت نواتها الأولى الحيوانات التى احتفظ بها ملوك فرنسا فى حدائق قصر فرساى ٠٠ ثم جلب اليهـا اثنان من

الفيلة من حديقة هولندا ٠٠ الخ

لكن حيوانات الحديقة اعدمت خلال حصار باريس (سنة ١٨٧٠ - ١٨٧١) ، نتيجة لنقص الطعام ٠٠ وتكرر المأزق نفسه خلال الحرب الاخيرة (١٩٤٠ - ١٩٤٥) ، لكن أكثر الحيوانات احتملت المجاعة فى هذه المرة الاخيرة وبقيت على قيد الحياة ٠٠ على ان الكثير من نباتات الحديقة الاستوائية عانت من الصقيع ، نتيجة لعدم وجود الوقود الكافى لتدفئة «البيوت» الزجاجية التى تستنبت فيها ٠٠

ومن طريف الحوادث التى يتندر بها حراس الحديقة ، حادث وقع فى عام ١٩٢٨ ٠٠ حين فوجئوا باختفاء « غوريللا » - ذكر - متقدم فى السن كان يعيش فى الحديقة منذ عشرات السنين ! ٠٠ وانزعجت السلطات ، وساد باريس كلها جو من التوتر والقلق ، وخرجت قوات الجيش والبوليس والمتطوعون من العمال للبحث عن القرد الخطر فى طول العاصمة وعرضها ، طيلة يومين كاملين ، ولكن دون جدوى ! ٠٠ وفى صبيحة اليوم الثالث وجد القرد المختفى فى ركن قفصه بالحديقة ، جائعا ، عصبى المزاج - وكان قد عاد اليه أثناء الليل !

واستقبل « الابن الضال » استقبالا حارا ، وتسابقت سلطات الحديقة الى اطعامه والعناية به ٠٠ لكنه لم يفصح عن المكان الذى قضى فيه الثمانى والاربعين ساعة التى غابها ٠٠ ولم يجرؤ أحد على تجاهل قواعد اللياقة الى حد سؤاله عن مخبأه المجهول !

جامع باريس

◆ **فاذا** خرجنا من باب حديقة النباتات الواقع خلف حديقة الحيوان ، ألفينا أنفسنا فى جو اسلامى يعبق بعطر الشرق ! ٠٠ فاذا أمامنا مبنى اختلطت فيه الهندستان المراكشية والاندلسية ! ٠٠ **انه « جامع » باريس** ، الذى شيد

بـين عامى ١٩٢٢ و ١٩٢٦ ، بأمـوال جمعت من الاكتتابات فى شمال افريقيا ، على أرض تقدمت بها بلدية باريس كهبة للمشروع ..

شيد ليكون بمثابة « مدينة اسلامية » فى قلب باريس !

حيث عاش « موليير » و « راسين » !

• **هـل** تود ان تجيء معى الى حيث نعيش لحظـات فى الأجواء التى عاش فيها وترددعليها أدباء فرنسا الخـالدون ، خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ؟

اذن تعال معى الى أحيـاء :« اوتـوى » ، و « باسى » ، و « لامويت »

ولنبدأ بحى « أوتوى » ..انه الآن حى من أحياء السكنى الراقية ، ذات المبانى الحـديثة ـ بحيث لا تكاد ترى فيه غير بضع بنـايات قديمة تعد على أصابع اليدين ! ـ أما فيما مضى ، يوم نشأ الحى ، فقد كان عبارة عن قرية صـغيرة من قرى الحطابين ، وكان الشـارع الرئيسى فى القرية هو شـارع « اوتوى » العريق الذى يحمل الآن اسم الحى كله .. الحى الذى عاش فيـه « موليير » و « راسـين » ، والذى أنجب « لابروبير » !

وفى المنزل رقم ٥٩ من الشـارع الرئيسى بالحى ، كانت تقطن فى القـرن الثامن عشر امرأة ذات شخصية بارزة تدعى « مدام هلفيتيوس » ، اعتادت ان تعقد فى دارها « صـالونا أدبيا » ممتازا كان يتردد عليه أئمة الفلسفة والأدب والسياسة فى ذلك العصر ، ومن بينهم : فولتير ، ديدرو ، شاتوبريان ، مدام رولان ، بونابرت .. الخ .. حتى لقـد أطلق المفـكر الأمريكى « بنيامين فرانكلين » على تلك الدار اسم « كعبـة أوتوى » ! .. وفى شارع آخر من الحى ذاته ، هو « بوليفـار مونمـورينسى » ، وفى الدار رقم ٦٧ ، كان يقطن الأخوان « جونكور » ـ صاحبا الجائزة الأدبية المعـروفة باسمهما ـ

وهنـــاك كان يلتقى أصـحاب المذهب « الطبيعى » من أدباء فرنسا فى القرن الماضى ، وفى مقـــدمتهم : « زولا » ، و « موباسان » ، و « دوديه » ، كى يتناقشوا فى الأدب

وفى الـــدار رقم ٤٣ من شارع أوتوى كانت تقطن الجدة الكبرى للأديبة «جورج صاند» ٠٠ بل ان الحى ذاته يفخـر بايوائه عددا من أدباء فرنسا فى القرن العشرين ، منهم على سبيل المثال : الفيلســوف الكبير « هنرى برجسون » ، الذى كان يقطن الدار رقم ٤٧ من « بوليفار بوسيجور » ، والروائى المعاصر « فرانسوا مورياك » ، الذى يقطـن فى شارع سمى باسم سلفه الأديب الكبير « تيوفيل جوتييه »

وقبل ان نغادر هذا الحى الـذى يتنفس بالذكـريات الأدبية ، تعال نعرج على حدائق الأزهار التى تحف بميـدان « بوابة أوتوى » ٠٠ انهـا حدائق نسقت تنسيقـا فنيـا خلابا ، بحيث يقام فيهـا كل عام معـــرض لأزهار « الكريزانتيم » ، فى شـهر أكتـــوبر ، ومعرض لأزهار « الأضاليا » فى شهر ابريل ٠ وهذه الحـــدائق تنتج جميع الأزهار والنباتات التى تغذى مختلف حدائق باريس العامة

وعلى أريج الورود المتضوع من هذه الحدائق ، فلنغادر حى « أوتوى » الى شقيقه وتوأمه حى « باسى »

حيث كان بلزاك يهرب من دائنيه !

◆ **وحى** «باسى» حى مترف من أحياء السكنى ، تكاد مبانيه كلها بدورها ان تكون مبـانى حديثة عصرية ٠٠ وفى الحى منزلان حولتهما الحـكومة الى متحفين ، نظرا لمكانة العظيمين اللذين كانا يقطنانهما : أولهما المنزل الذى عاش فيه الوزير الفرنسى الداهية «كليمنصو» ، ومات فيه عام ١٩٢٩ ٠ وقـد احتفظ له بطابعه ومحتوياته كما كانت أثناء مقامه فيـه ٠ ويقع المنزل فى شارع بنيامين فرانكلين رقم ٨

أما المنزل الثانى الذى جعل متحفا فى هذا الحى ، فهـو

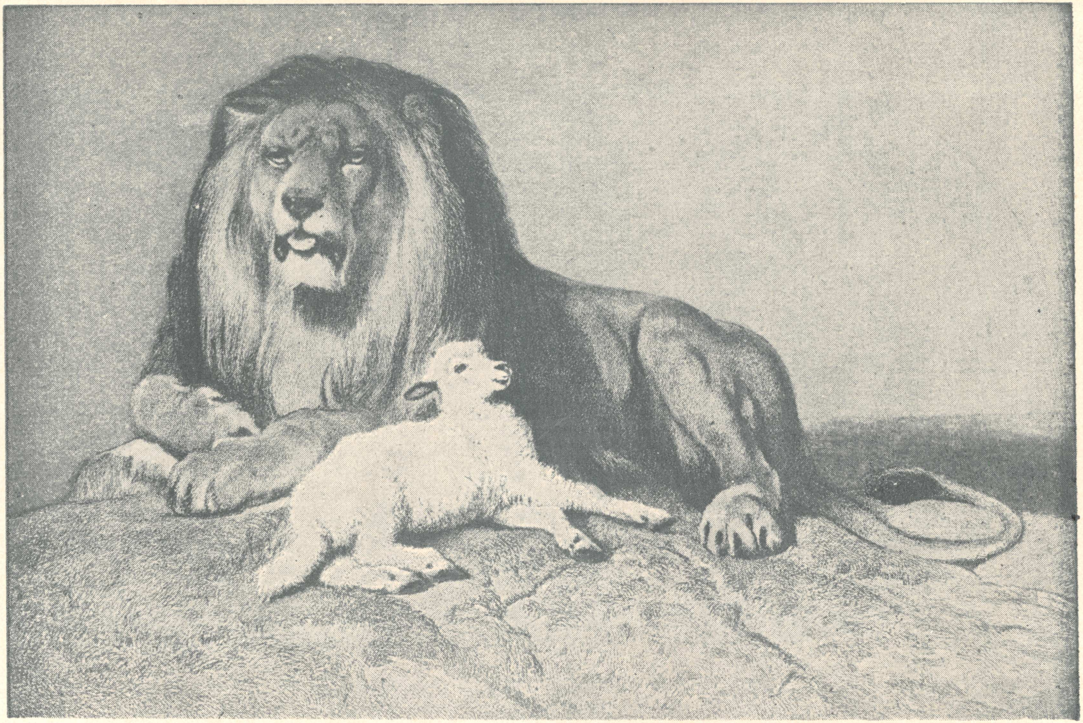
الذى عاش فيه الأديب الأشهر « بلزاك » – فى السنوات من ١٨٤٠ الى ١٨٤٨ – ويقع فى شارع « راينوار » رقم ٤٧ ٠ ومن المعروف ان بلزاك كان يكتب أثناء الليل ، على ضوء شمعدان ، بعد ان تهدأ حركة الكائنات : **والسر فى ذلك ان الطابق الأرضى الذى كان يقع أسفل مسكنه كانت تشغله خمس أسرات من طبقة العمال لا يكف أفرادها عن الضجيج ، فلم يكن الأديب الكبير يستطيع الانتاج الا أثناء الليل ! ٠٠ ومن طريف ما يقال ان بلزاك اختار المنزل المذكور لأنه كان ذا بابين ، وكان بلزاك متورطا على الدوام فى ديون مالية ، فكان اذا دخل دائنوه من احد البابين ، هرب هو من الباب الآخر !**

وفى العدد القادم نواصل زيارة المزيد من معالم باريس



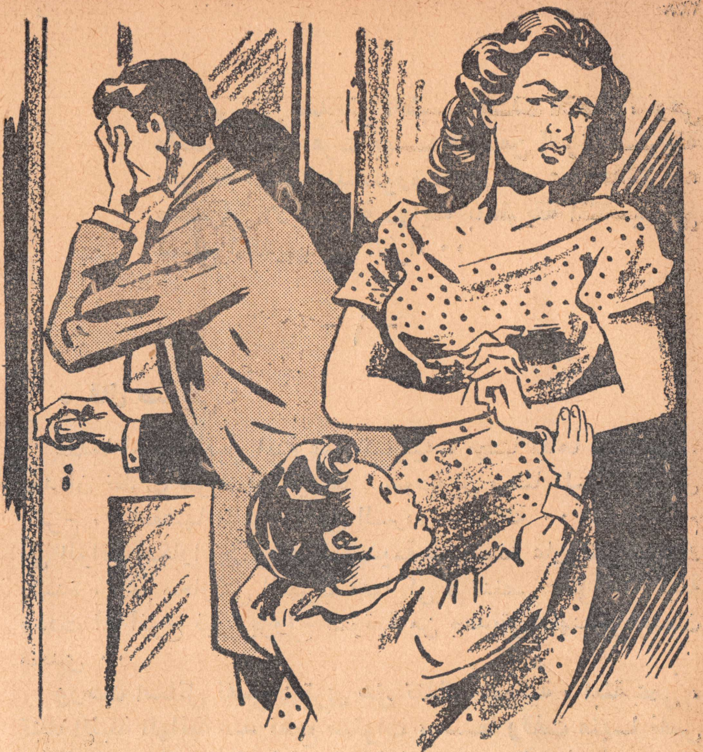
الدرهم المفقود

لوحة للرسام «ميليه»



عصر الايمان (كان ياما كان !)

لوحة للرسام الانجليزى الكبير «لاندسير»



ولده محسن !

قصة مصرية   بقلم : حمدي حافظ

قص على صديقى الطبيب هذه القصة ، وهى مأساة حقيقية مرت بها فتاة من أسرة عريقة معروفة بمدينة المنصورة ، ولم أزد عما حدثنى به صديقى الا صياغة روايته بالطريقة المناسبة كى تصلح لتقديمها الى القراء ..

- ١ -

• قال صديقى :

عندما أخذت أقبل ابنة عمى شوقية ، مهنئا اياها بزواجها ، بعد أن نظرت طويلا الى عينيها السوداوين وهما تلمعان ببريق الفرح ، وشفتيها المفترتين عن السرور والغبطة .. كنت أقاوم فى الواقع أفكارا وذكريات قديمة عميقة عاودتنى اذ ذاك بشدة ، رغم محاولتى التهرب منها كى لا تنغص على هناء ليلة وددت أن أفرح فيها بزواج شوقية من صديقى المهندس عثمان مجدى ..

ورحت اسائل نفسى : ترى هل تتذكر شوقية ، ابنة عمى ، تلك الليلة الهائلة منذ تسع سنوات ، عندما وقفت منها نفس الموقف ، مهنئا اياها بخطبتها الأولى ، وهى تضحك فى مرح وسرور .. تلمع عيناها كما تلمعان اليوم ، وتختلج شفتاها كما تختلجان اليوم .. بل بشدة أعنف منها اليوم ؟!

أيمكن أن تتذكر شوقية الآن ـ وهى فى التاسعة والعشرين ـ نفسها يومذاك ، حين كانت فتاة متفتحة ، على عتبة العشرين ، وقد راحت تتحسس فى أصبعها خاتم الخطبة الذهبى الرقيق الذى قدمه اليها الشاب رمزى عبد اللطيف ، ابن المرحوم عبد اللطيف (بك) حسنين ، الذى « كان » أحد كبار تجار مدينتنا

(المنصورة) ، ثم خانه الحظ فمات فقيرا ، معدما ، وان كانت أسرته قد ظلت محتفظة بكرامتها وأصالة حسبها ؟!

٠٠ أم هل يمكن أن تتذكر شوقية الآن كيف اضطرت لأن تبعد خاتم الخطبة ذاته عن يدها ، خلال سنوات طويلة قاسية ، الى أن تقدم لخطبتها : « عثمان مجدى » ؟!

* * *

◆ **كان** ذلك حوالى عام ١٩٢٥ ، عندما توفى عمى ، بعد حياة طويلة تمكن خلالها من أن يضيف الى الثروة التى تركها جدى لولديه ـ عمى الراحل ووالدى ـ ثروة أخرى لابأس بها ٠ **وكان أهم ما ينغص على عمى أيامه الاخيرة ، ان المرض كان يحول بينه وبين اتمام زواج ابنته الوحيدة شوقية ! ٠٠ وقد كانت حالته تزداد سوءا كلما رآها على مقربة منه ، وجال بخاطره أنه سيترك العالم دون أن تكتمل فرحته الكبرى ٠٠ بزواجها !**

وكان عمى صديقا حميما للمرحوم عبد اللطيف (بك) حسنين طيلة حياته ، التى اختتمها هذا الأخير ـ قبل وفاة عمى بنحو سنتين ـ بنكبة مالية كبرى ذهبت بثروته كلها تقريبا ٠٠ حتى اذا هدته الصدمة ، ورحل نهائيا عن هذا العالم ، حرص عمى على تقديم المساعدة الى أسرته ، سرا ! ٠٠ وكم كان سروره بالغا ـ على الرغم من مرضه ـ حين علم ان رمزى ، ابن عبد اللطيف (بك) ، قد حصل على دبلوم التجارة العليا ، وانه تمكن من أن يلتحق سريعا بوظيفة فى احدى الوزارات بالقاهرة ، الأمر الذى يمكنه من المحافظة على كرامة أسرته ، بعد تلك النكبة المالية المعروفة التى حلت بها ، والتى يتخذها أهل المنصورة مثالا على سوء الحظ !

ثم توفى عمى ٠ وحضر رمزى فى العام التالى الى المنصورة لقضاء أجازته بها ، بين أسرته التى كانت ما تزال تقيم فى المدينة ـ مهد عزها الغارب ! ـ وكانت علاقتى برمزى طيبة

وقوية منذ الصغر ، نظرا للصلة التى كانت تربط والدى بأبيه ، وأسرتنا بأسرته ٠٠ فكان من شأن هذه الظروف أن تسمح لرمزى بأن يتردد علينا كل يوم تقريبا : سواء قبل التحاقه بوظيفته ، حين كان لا يزال طالبا ، يقضى أجازاته الطويلة بالمنصورة ٠٠ أو بعد التحاقه بالوظيفة ، عندما عاد فى أجازته القصيرة التى لم تكن تتجاوز الشهر الواحد ٠٠

ولم يكن بخاف على ، ان هناك نوعا من التوافق بين ابنة عمى شوقية ٠٠ وصديقى رمزى ! ٠٠ فقد كانا ـ بحكم اختلاط الأسرتين ـ يعرفان احدهما الآخر تمام المعرفة ٠٠ بل كان هناك ـ منذ صغرهما ـ شبه اتفاق بين عمى وبين عبد اللطيف (بك) ، على أن يكون كلاهما للآخر ! ٠٠ غير ان القدر لعب بعد ذلك دوره القاسى ، فحلت نكبة عبد اللطيف (بك) المالية ، ثم وفاته على اثر ذلك متأثرا بالصدمة العنيفة التى أصابته ٠ وتلت ذلك وفاة عمى بعد مرضه الطويل ٠٠ وبذلك حال القدر دون تنفيذ اتفاقهما القديم !

★ ★ ★

◆ **على** ان المرء لايستطيع أن يحدد تحديدا دقيقا الوقت الذى تنشأ فيه علاقة حب بين فتاة وشاب ، أو الوقت الذى يتعلق فيه قلب الواحد بالآخر ٠ ولكن الذى حدث ان علاقة رمزى بشوقية توثقت خلال المدة القصيرة التى قضاها فى المنصورة كأجازة سنوية له ٠ وقد لاحظت ان صديقى رمزى لم يكن همه الوحيد زيارتى ، بل انه كان يهتم أكثر بابنة عمى !

وغادر رمزى المدينة ، بعد أن أكد لى ان فى عزمه أن يعود اليها لقضاء نهاية الأسبوع وأيام الاجازات فيها ٠٠ وبعد ان ألمع من زوايا عديدة الى انه يحب شوقية ويود خطبتها ٠ ويبدو ان كبرياءه المحطمة ومركز أسرته المالى بعد وفاة والده وفقد ثروته ، جعلاه يتردد فى أن يصرح لى بكل رغباته فى جلاء ،

خوفا من أن أخدش كرامته برفض صريح !

وكان طبيعيا أن ينفذ رمزى عزمه ، وأن يغذى ذلك الغرام الجديد الذى نشأ بينه وبين شوقية بجزء ليس باليسير من راحته ووقته ·· اذ كان يصل مساء كل خميس الى المنصورة ، ويبرحها فى صباح السبت الى عمله بالقاهرة !

ولم يكن ثمة ما يدعو الى قلقى بشأن علاقة رمزى البريئة بابنة عمى ·· فقد بدا واضحا انه انما يريد أن يتخير الوقت المناسب ليطلب يدها · **ثم ان شوقية كانت فى الوقت نفسه قد تعلقت به هى الأخرى ·· بل انى شاهدتها ، دون أن ترانى أو يلمحنى هو ، وهى تودعه بقبلة على راحة يدها ، ويدها الأخرى تعانق يده فى حنو زائد ، والدموع تترقرق فى عينيها وتنساب على خديها ·· وكانت اذ ذاك ما تزال ترتدى ملابس الحداد !**

وكانت شوقية ذات أنوثة دافقة وحيوية ممتلئة ، لها قامة مهيبة رائعة ، وعينان سوداوان ، وشعر غزير · أما صوتها فكان ذا نبرات حارة متزنة ، يبدو خلالها الحنان والرقة ·· ولست أشك فى ان هذه « المؤهلات » هى التى جعلت رمزى يهيم بها حبا ، ودفعته الى الشعور بأنها شريكة صالحة لحياته ، وانها الزوجة التى ينشدها ·· فلقد رأيته فى مرة أخرى ـ وهى تودعه ، فى حرارة ـ يتناول يديها بين يديه ، ثم يمر بها على جبينه ، ويتوقف لحظة ، كما لو كان يعتقد ان أصابع تينك اليدين تملك قوة خفية من شأنها أن تهدىء من أعصابه وتسكن من روعه ، وتفعل بنفسه فعل السحر !

·· لقد كان حبا طاهرا قويا ولا شك !

فلما أعلنت خطبة شوقية ورمزى ، لم يكن فى الأمر أية مفاجأة بالنسبة لأفراد الأسرتين · بل لم يكن الأمر غريبا على جميع من عرفوا الأسرتين من أهل المنصورة ·· ولما كانت شوقية قد رغبت فى أن تظل مقيمة فى المنصورة ، مهد حياتها

ونشأتها وجبها ، فقد وعدها رمزى بأن يسعى سعيا متواصلا كى ينقل الى وظيفة مناسبة بالمنصورة ، حيث يستقر مع خطيبته ليعدا معدآت الزواج !

وتمنيت لرمزى نجاحا فى مسعاه ، ومستقبلا زاهرا !

★ ★ ★

◆ ويشاء القدر أن تظهر على مسرح ذلك الغرام الهادىء الطاهر ، الذى كانت فصوله قد أوشكت أن تتم فى رفق ولين .. فتاة أخرى !

فقد حدث أن حضرت شوقية احدى حفلات مدرسة البنات الاميرية بمدينة المنصورة ، وأعجبت كثيرا بما شاهدته من أعمال الطالبات وأشغالهن اليدوية ، فتقدمت تهنىء مدرساتهن بتوفيقهن فى اقامة ذلك المعرض الجميل ، ثم اشترت بعضا من تلك المعروضات الرائعة . وقبل أن تنصرف ، رأت ان تنتهز الفرصة فتدعو بعض هؤلاء المدرسات الى تناول الشاى فى منزلها الانيق بشارع « شجرة الدر » .. وكانت بينهن مدرسة جميلة تدعى الآنسة زينب عفت ..

وفى الموعد المحدد ، كانت المدعوات يتجاذبن الحديث مع شوقية ، فى صالون المنزل ، فاذا برمزى يصل فجأة من القاهرة . وسرت شوقية من المفاجأة ، ولم تر بأسا فى أن تقدم خطيبها الى زائراتها – وليتها ما فعلت !! – فبعد أن تبادل رمزى التحيات معهن ، انتقل الجميع الى قاعة الطعام لتناول الشاى . وجاءت جلسة رمزى مصادفة بجوار الآنسة زينب عفت . وحين لاحظ انها تقل من أكل الحلوى والفطائر الصغيرة ، أخذ يهتم بها أكثر من زميلاتها !

ثم تكررت زيارة المدرسات لشوقية ، بعد أن توثقت أواصر الصداقة بينها وبينهن . وفى خلال تلك الزيارات ، لم يلتق رمزى بهن سوى مرة أو مرتين ، أحس بعدهما بأن تفكيره يتجه بعض الشىء الى الآنسة زينت عفت ، التى جلس الى جانبها يومئذ عند تناول الشاى . ولكنه وجد لنفسه عذرا ، حين أرجع ذلك الاهتمام الى الجاذبية الخاصة التى كانت تمتاز بها تلك المدرسة عن زميلاتها ، والى ما كانت تلتزمه فى ملابسها وحركاتها من أناقة ورشاقة و « اتيكيت » !

وجاء الصيف ، وأصدرت وزارة (المعارف) حركة تنقلات بين المدرسات . وشملت الحركة الآنسة زينب عفت ، اذ نقلت الى احدى مدارس البنات بالقاهرة . ووقفت المدرسات يودعن زميلتهن على رصيف المحطة .. كما كانت فى وداعها صديقاتها من أهل المدينة ، ومن بينهن .. ابنة عمى شوقية !

★ ★ ★

◆ وبعد أيام ، وفى أحد شوارع القاهرة ، وجد الاستاذ رمزى عبد اللطيف نفسه وجها لوجه أمام صديقة شوقية .. الآنسة زينب عفت ! وابتسمت

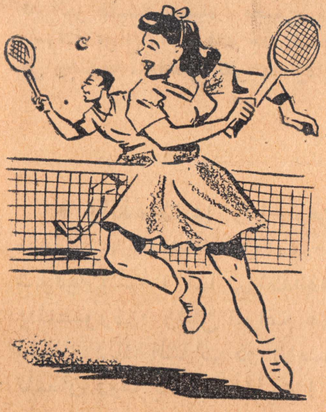
المدرسة للشباب ، فتذكر على الفور انه رآها أكثر من مرة عند شوقية ، ومن ثم رأى - من قبيل الأدب - أن يرد على ابتسامتها بتحية رقيقة • ولكن الفتاة تعمدت أن تطيل الحديث نوعا ما ، حتى اذا شعرت أن الوقت قد حان لانصرافها ، استفسرت منه ، وهى تحييه ، عن المصلحة التى يعمل بها ، وأنبأته بأن لها « خدمة » باحدى الوزارات تريد قضاءها ، وتعتقد أن « الاستاذ رمزى بك » قدير على قضائها لها • ولم يجد رمزى بدا من اجابتها الى طلبها ، فأخبرها بمكان عمله فى « الديوان » الذى يضم مكتبه !

وفى صباح اليوم التالى ، كانت زينب فى وزارة (••••) تسأل عن مكتب الأستاذ رمزى عبد اللطيف • ورحب بها هذا الأخير ، ثم سألها عن نوع « الخدمة » التى يستطيع اداءها لها • وبعد حديث طويل ، أنبأته بما زعمت انها تريد ، ثم تركته على أن تزوره مرة أخرى فى مكتبه •• للسبب نفسه !

★ ★ ★

◆ وانقطع رمزى للمرة الأولى عن الذهاب فى موعده الأسبوعى الى المنصورة ! •• ثم توالى انقطاعه بعد ذلك • وفى تلك الأثناء ، تلقت شوقية منه خطابا يعتذر فيه بأنه شغل ببعض الاعمال الرسمية « المفاجئة » ، فضلا عن انه يواصل السعى كى ينقل الى المنصورة !

والواقع ان رمزى ما كان ليرضى حينذاك بأن يترك القاهرة ، وفيها صديقته الجديدة الآنسة زينب عفت ، الفتاة اللعوب التى أصبحت تشاركه لعبة التنس بنادى المختلط بحى الزمالك ، فى أوقات رياضته ، وتشاركه الجلوس فى الأماكن التى اعتاد التردد عليها فى أوقات راحته !



وكما اننى لم أعرف على وجه التحديد متى بدأ غرام شوقية ورمزى ، لا أستطيع أن أحدد متى نشأ هذا الحب الجديد بين رمزى وزينب ! وان كنت أعرف ان ذلك الحب أنساه القلب الذى تركه فى المنصورة يخفق بحبه •• انساه شوقية التى كانت تجهل كل شىء عما يجرى فى القاهرة ، والتى كانت تلتمس

له شتى المعاذير ، وهى قانعة بالانتظار ، فلم تحاول أن تبحث عن سبب الفتور الذى دب فى خطاباته التى صارت تتلقاها فى فترات ٠٠ متباعدة !

ولم يلبث اليوم الذى كنت أتوقعه أن حل ، دون أن أتمكن من تلافى الضرر الذى وقع فيه ! ٠٠ فقد جاءتنى من رمزى رسالة يقول فيها - بعد مقدمة طويلة - انه يأسف اذ يجد نفسه مضطرا ، لأسباب خاصة وهامة ، الى أن يفسخ خطبته لشوقية !

ولم أدهش ٠٠ تماما كما لم أدهش حين عقدت خطبتهما !

ولكن ٠٠ ترى كيف تتلقى شوقية النبأ ؟

لم تستطع المسكينة أن تحتمل الصدمة ، فوقعت فريسة مرض طويل ، ما لبث أن اشتد حين نمى اليها أن رمزى هجرها ليتزوج من صديقتها اللعوب ٠٠ زينب ! ٠٠ وقد توهمت فى بادىء الأمر - ثقة منها فى حب رمزى لها - ان هذا الزواج لا يمكن أن يتم ٠ الا انها سرعان ما أدركت أنها أخطأت خطأ فادحا حين وثقت فى ذلك الشاب ، فقد قرأت فى الصحف بعد أسابيع نبأ عقد قران الآنسة زينب عفت على الأستاذ رمزى عبد اللطيف ، وان العروس آثرت ترك عملها فى وزارة (المعارف) ، كى « تتفرغ » تماما للحياة الزوجية !!

على ان فترة الصدمة لم تلبث أن مرت بسلام ٠ وصرت أتحاشى أن أتحدث عن رمزى أمام شوقية ، حتى لا أثير كوامن شجونها ٠ وحاولت هى من ناحيتها أن تنساه ٠٠ الى أن وصل الى سمعنا - على الرغم منا - ان زواج رمزى من زينب قد أثمر طفلا سمياه « محسن » ٠٠ وقد كان من العسير أن يمر هذا النبأ بشوقية مر الكرام ، فانه جدد أشجانها ، ونكأ جراحها ٠٠ فبدأ الشحوب يدب فى وجنتيها ، وأخذت نظراتها تزداد حزنا وشرودا ٠٠

- ٢ -

◆ **وانقضت** على زواج رمزى خمس سنوات ٠ وفجأة ، وبغير مقدمات ، تلقينا نبأ وفاته ٠٠ وفاة رمزى ! ٠٠ ولم تصدق شوقية النبأ ، كما لم أصدقه أو يصدقه أحد من أصدقاء رمزى بالمنصورة ٠ ولكن الواقع هو الواقع ٠٠ مات رمزى حقيقة ٠ اختفى ذلك الشاب ذو الابتسامة الحلوة ، والعينين اللتين كانتا تلمعان دوما بالمحبة والمرح !

ورصدت جهدى بعد ذلك للتخفيف من آلام ابنة عمى ،

فأخذت اتنقل بها بين المنصورة والقاهرة والاسكندرية ، باذلا كل ما فى وسعى كى أنسيها ماضى حياتها ، واضعا نصب عينى أن أجعلها تأمل فى حياة مستقبلة جديدة سعيدة ، تعيد اليها نضرة شبابها ، وآمالها ٠٠ ورأيت أن الأمر يقتضى تدخلى الشخصى لايجاد زوج كفء لشوقية ، بعد أن أصرت على رفض فكرة الشروع فى الزواج ثانية ، بتأثير ما حل بها ٠ **وسرعان ما وجدت الرجل الصالح لها ، فى شخص صديقى عثمان مجدى ، الموظف الشاب الذى كان يفكر فى الزواج حينذاك ٠ ولم أفاتح شوقية في الأمر ، وان كنت قد تعمدت أن أدعو عثمان لزيارتنا ٠ ولشدما سررت حين أيقنت ان عثمان قد أعجب بجمال شوقية وأخلاقها ومزاياها ٠ وتضاعفت فرحتى حين لحظت ان شوقية تحترمه ، وتشعر أثناء وجوده وحديثه بنوع من الراحة والهدوء !**

وتطورت العلاقة بينهما تحت ناظرى ٠ وأخيرا ، صارحنى عثمان بأنه يحب شوقية ، وانه يود أن يخطبها ، مؤكدا لى أنه غير طامع فى مالها أو ثروتها ـ اذ ظن انى أشك فى حقيقة حبه لها ـ طالبا منى أن أتولى اقناعها بالموافقة ! ٠٠ على ان الامر لم يقتض منى كبير جهد ، اذ كانت ابنة عمى قد حدست ما أود أن أفاتحها بشأنه ، ومن ثم ابتسمت وهزت رأسها دليل الموافقة !

وبينما كنا فى شغل شاغل بمعدات الزواج ، وقد رانت علينا سعادة هادئة ، اذا بخطاب صغير يصل الى شوقية ، فيعكر هذا الهدوء ، وتلك السعادة !

وكان الخطاب كالآتى :

« عزيزتى الآنسة شوقية ٠٠

« لو لم أكن أحتضر لما كتبت لك هذا الخطاب ، فلم أتعمد يوما ما أن أولمك أو أضايقك يا صديقتى ، ولكن الظروف هى المسئولة عن ذلك ٠٠

« على انى أموت الآن ، وفى طريقى السريع الى نهايتى ، عهدت الى ملجأ (٠٠٠٠) المعروف ، بابنى الصغير الذى أثمره زواجى من رمزى : ولده « محسن » ٠٠ فأرجو يا صديقتى ، بل يا سيدتى ، أن تتولى بعنايتك ولدنا محسن ، متى حم القضاء ٠٠ لقد كنت أعلم يا سيدتى ان هذا الطفل كان يجب أن يكون طفلك أنت ٠ وأعترف ، وأنا على فراش الموت ، ان رمزى كان يذكرك دائما ، ويتمنى لو كنت أنت الأم لطفله محسن ٠ ولقد حاولت مرارا أن أكتب اليك ، حتى حان أخيرا الوقت المناسب ٠٠

« ومهما تظنين يا سيدتى انى اسأت اليك ، ومهما تتصورين انى سلبت رمزى من بين أحضانك ، فان على الآن أن أدفع الثمن ، فأترك وحيدى دون أن يكون له من يرعاه ! ٠٠ اللهم الا اذا عاهدتنى على أن توليه عنايتك ٠ وليس أدل على ثقتى بك وحبى لك ـ بعد أن أحبك رمزى الى النهاية ـ من أن أعهد اليك بابنى وابنه محسن ، فى الوقت الذى ألفظ فيه آخر أنفاسى ٠٠

« ولا أنسى أن أذكر لك يا سيدتى أنه صورة طبق الأصل من والده ٠٠ رمزى ! »

وفى نهاية الخطاب كانت كلمة « زينب » مكتوبة بخط مضطرب ، مرتعد ٠٠ اذ لا شك ان المسكينة كانت تعانى عند وفاتها أزمة نفسية حادة ، وهى تترك ولدها وولده محسن ٠٠ وحيدا ، يتيما !

وتلت التوقيع بضعة أسطر مكتوبة بخط غريب ـ لا شك انه خط أحد رجال المستشفى ـ تفيد ان زينب قد أسلمت الروح فى نفس الليلة التى كتبت فيها هذه الرسالة ، وانه نظرا لأنها كانت قد أبلغت ادارة المستشفى بأن والديها قد توفيا منذ زمن بعيد ، وبأن ليس هناك من يهتم بها بعد وفاة زوجها ، فان المستشفى سوف يقوم بدفن الجثة على نفقته الخاصة !

هكذا كانت خاتمة زينب ، زوجة الاستاذ رمزى عبداللطيف ، التى ذوت آمالها هى الأخرى بعد أن فارقها رمزى .. وقد كانت سببا فى آلامه ، كما اعترفت بذلك فى خطابها !

★ ★ ★

◆ وما أن انتهيت من قراءة الخطاب حتى لذت بصمت عميق ، وأخذت أفكر فى ذلك المصير التعس الذى حاق بزوجة صديقى رمزى ، تلك البائسة التى ماتت بعيدا عن أهلها ، تاركة وحيدها لشوقية ، المرأة التى أحبها رمزى الى آخر لحظة من حياته ، الحب كله .. دونها !

وأخيرا ، نظرت الى شوقية وقلت : « دى حاجة غريبة ومحزنة خالص .. لكن ما أظنش انك حتفكرى فى عمل اللى طلبته منك يا شوقية ؟! »

ولم تجبنى شوقية ، كما لو لم تسمعنى ! .. وما لبثت أن نهضت وأسرعت الى الطابق العلوى ، وقد بدت على وجهها مظاهر اصرار عنيد .. فتبعتها وأنا أصرخ فيها : « انت حتعملى ايه يا شوقية ؟! .. مش معقول انك تجيبى ابن رمزى هنا .. انت رايحة فين ؟! »

فأجابتنى وهى منهمكة فى اعداد حقيبتها : « مش عارفه تمام اللى حاعمله .. ولكن دى حاجة مؤلمة ومؤثرة .. ذنبه ايه الطفل ده اللى عايش دلوقت فى وسط ناس غرب .. فى حته وحشة .. أمه وأبوه ميتين الاتنين ؟! »

و فرت دمعة من عينيها ، فلم أجد مندوحة من تركها تفعل ما تشاء . وودعتها وهى تستقل القطار الى القاهرة ، فى طريقها الى الملجأ الذى أودعت فيه زينب محسن .. ابنها .. وابن زوجها رمزى !

وفى مساء اليوم التالى ، لمحت من النافذة شوقية تنزل من العربة أمام المنزل ، وقد أمسكت بالطفل .. لقد كنت واثقا من أنها سوف تأتى بمحسن ! .. وعندما دخلت غرفة الصالون ، كنت أجلس مع خطيبها عثمان مجدى ، وقد ران علينا صمت كئيب ، بعد أن رأيت أن من الأفضل أن أروى له القصة بحذافيرها ، اذ كنت واثقا من أن شوقية ستأتى معها بالطفل ..

وأسرع عثمان يساعدها فى خلع معطفها ، ثم سألها على الفور : « ومحسن ده .. حيقعد على طول هنا ، والا ايه .. يا شوقية ؟! »

ـ أنا فكرت انى أجيبه يقعد معانا على طول .. مش أحسن كده ؟!

وتقابلت نظراتهما .. وبالرغم من أن الحديث بينهما بدأ هادئا ، الا أننى لمحت فى تلك النظرات كل معانى الكفاح .. والثورة ! .. بينما كان الطفل يتعلق بيدى شوقية التى كانت كل معانى الحنان قد استقرت فى عينيها وهى

تنظر الى الطفل ، وتتأمل معالم وجهه ٠٠ فقد كان حقيقة صورة طبق الأصل من رمزى ٠٠ أول من أحبت !

وعندما أطلت ـ أنا بدورى ـ النظر الى محسن ، الذى لم يكن يتجاوز سنواته السبع ، شعرت نحوه بحنان هائل ٠٠ حنان هو خليط من الشفقة والذكرى القريبة ٠ ووجدت هاتفا خفيا يدفعنى الى الوقوف بجانب ابنة عمى فى كل ما تريد أن تفعله من أجل الطفل ٠٠ مهما تكلفنا التضحية !

وأشار عثمان الى من طرف خفى بأن أنسحب مع الطفل ، لأنه يود أن يتحدث مع شوقية ٠٠ ولم يلبث صوت المعركة أن وصل الى سمعى ، فى الغرفة المجاورة ، جليا واضحا ! ٠٠ معركة بين قوى عنيفة تنتمى الى غريزتين من غرائز البشر : الغيرة ، والذكرى !

ـ انت عارفه اللى بتعمليه دلوقت يا شوقية ؟ ده جنون منك !

ـ ليه يا عثمان ؟ ٠٠ واقدر اعمل ايه غير كده ؟ ٠٠ دى واحدة مسكينة سابت طفل صغير بائس ٠٠ ماتت غريبه وتركته بين ايدين ناس غرب فى ملجأ حقير !

ـ كل ده مفهوم ٠٠ والشفقة واجبة صحيح يا شوقية ٠٠ لكن ٠٠ لكن انت ناويه تخليه معانا على طول ؟

ـ ومين يقدر يعتنى بالطفل ده غيرنا يا عثمان ؟ ٠٠ لا هى ، ولا جوزها اللى مات ، لهم قرايب يقدروا يربوه ويعيشوه معاهم ٠٠ وأمه ما وجدتش غيرى تلجأ له ٠٠ مايصحش انى أكذب أملها ٠٠ يعنى عايزنى أضيع آخر أمل لها فى الدنيا فضل بعدها ؟!

وهنا سادت فترة من الصمت ، قطعها عثمان وهو يتساءل فى هدوء وحزم :

ـ يعنى انت مصرة على أن محسن ده يفضل هنا ؟!

ـ أيوه ٠٠ أيوه يا عثمان !

وأخذ عثمان يروح ويغدو فى الغرفة ، بخطوات حاول أن يجعلها ثابتة ، ولكنها نمت عن اضطرابه وقلقه ٠ وأخيرا ، وقف أمام شوقية ووضع يديه على كتفيها ، ثم قال : « أرجوك ٠٠ أرجوك ٠٠ فكرى شويه يا حبيبتى ٠٠ أنا مش أقل منك رحمة بطفل مسكين زى ده ٠ لكن ، نقدر نساعده من بعيد ٠ نقدر نعطى فلوس وكل شىء للى حيربيه ويعلمه لغاية ما يكبر ٠٠ مش كده ياشوقية ؟ »

ولكن شوقية أجابته فى حزم : « محسن حيفضل هنا ٠ فكر انت يا عثمان » ! ٠٠ واذ ذاك ثار عثمان ثورة عنيفة وألقى اليها بالسؤال الذى كان يضطرم به صدره : « بأى حق يقعد محسن معانا لما نتجوز ونعيش فى بيت واحد على طول ؟! ٠٠ هو ابننا ؟ ٠٠ ولا ابن واحد منا على الأقل ؟! »

ـ لا يا عثمان ٠٠ ولكن ٠٠

وهنا قاطعها عثمان بحدة وعنف : « جاوبينى أولا ٠٠ لو كان محسن ده ابن

واحد تانى غير خطيبك الأول رمزى ٠٠ كنت خليتيه يقعد هنا معانا بالشكل ده !؟» وفوجىء عثمان بجوابها الرزين : « لا ٠٠ ما أعتقدش » ! ٠٠ فثار مرة أخرى وصرخ قائلا فى سخرية أليمة : « أنا فهمت دلوقت كل حاجة ٠٠ انت عاوزاه يقعد وياكى علشان هو ابن رمـزى ٠٠ ده السبب الوحيد فى مخك ، وهو ده السبب الوحيد اللى فى مخى واللى مخلينى مصر على انه ما يقعـدش معانا اذا اتجوزنا ٠ انت فاهمة يا شوقية ؟ ٠٠ أنا ما أقدرش أشوف قدامى ابن رمزى كل يوم ! »

ولم تجب شـوقية ، فعاد عثمان الى متابعة حديثه ، وقد خفت حدة ثورته : « فكرى يا شوقية ٠٠ فكرى فى الأيام الطويلة اللى قعدت أنتظرك فيها ٠٠ أنا كنت عارف علاقتك برمزى من زمان ، ومع ذلك رضيت من كل قلبى انى أخطبك وأتجوزك ٠٠ وبقيت أعمل جهدى علشان أبعد عنك كل حزن و هم ٠٠ كنت عارف انك بتفكرى كتير فى رمزى ، بالرغم من اتفاقنا على اننا نكون لبعض ٠ ومع ذلك اتحملت ٠٠ وحتى لما كنت آجى أبوسك ، كانت شفايفك ترتعش ٠٠ لأنها بتفكر فى شفايف رمزى ٠٠ مش كده يا شوقية ؟ ٠٠ فكرى ٠٠ أرجوك ! »

وانتظر عثمان جوابا منها ، ولكنها لم تفه ببنت شفة ، فاستأنف حـديثه بصوت تعمد أن يكون أكثر هدوءا واتزانا : « بقى احنا عاوزين ننسى رمزى ، وانت تجيبى ابنه محسن هنا ويانا ٠٠ فى بيت واحد ؟! انت فاكره انك تقدرى تبوسيه ، تبوسى وشه وايديه ، من غير ما أفتكر أنا انك بتبـوسى رمزى ٠٠ رمزى بلحمه ودمه ؟! »



وأفاقت شـوقية من صمتها الطويل لتقـول : « ما تفكرش كل التفكير ده يا عثمان ٠٠ كل ده مالوش لزوم ٠٠ أنا واثقة انك تقدر تستحمل الطفل الصغير ده ٠٠ من باب الرحمة على الاقل ! »

وأجاب عثمان بصوت بدا فيه التأثر واضحا : « أنا ما أقدرش أقول أكتر من كده يا شوقية ٠٠ ويؤسفنى انى مضطر لسؤالك دلوقت : عوزه مين فينا ؟ ٠٠ تختـارى مين من الاتنـين ٠٠ أنا والا هو ؟! »

وبالرغم من أن سؤال عثمان كان يحمل فى طياته معنى الانذار النهائى لشوقية ، الا أنها لم تحفل كثيرا بالأمر ، لأنها على ما يبدو كانت قد استقرت على عقيدة ثابتة لن تتحول عنها . ولذلك ما لبثت أن نهضت واقفة وقالت فى هدوء : « أنا مضطرة انى أختاره هو .. أختار محسن .. لأنه عاوزنى .. ومحتاج لعنايتى وحنانى ! »

وبعد أن غادر عثمان الغرفة ، انفلت الصغير الى داخلها ، واتجه على الفور الى شوقية التى كانت قد انخرطت فى نوبة من البكاء .. ولمحت شوقية فى عينى الطفل سؤالا غريبا لا يستطيع أن يعبر عنه ، فضمته الى صدرها بقوة ، وابتسمت ابتسامة مريرة وهى تتمتم : « مسكين .. ذنبك ايه ؟ .. أمك خدت رمزى منى .. وانت ضيعت منى عثمان !! »

* * *

◆ **وكان** عثمان يهم بمغادرة المنزل حين أدركته فى الوقت المناسب . وناديته ، فالتفت الى متسائلا ، وقد بدا على محياه يأس عميق ، ممزوج بنوع من الذهول المضنى ، القاتل .. وقلت له : « انت سبت شوقية بتعيط .. أنا سمعتها بتعيط .. ليه كده يا عثمان ؟ »

فأجابنى فى تأثر وهو يلوح بيديه : « هى اختارت اللى عاوزاه .. اختارته هو .. اعمل ايه بعد كده ؟! »

ـ لا .. خليك أعقل من كده يا عثمان .. هى مش كانت بتختار بينه وبينك ، دى كانت بس مصرة على رأيها فى تربية محسن .. الطفل البائس اللى سابه الزمان من غير أب ولا أم .. ما كانتشى تقدر تعمل غير كده ! .. انت عارف قلب شوقية واحساسها يا عثمان !

فأجابنى فى حدة : « لكن دى عاوزانى أحطم كل احساس عندى وأتحمل أكثر من اللازم ! »

فقاطعته فى لهجة أكثر حدة ، وقد عادت الى ذاكرتى أشياء كثيرة ، شعرت بدافع غريب يحثنى على سردها : « مش ممكن تتحمل أكثر من اللى شافته المسكينة شوقية ! انت لازم تسمع أنا حاقول لك ايه يا عثمان : مرة قابلت رمزى صدفة فى مصر ،

قبل ما يموت بسنتين تقريبا ٠٠ واندهشت لما شفت وشه أصفر وصحته ضعيفة جدا ، فسألته عن السبب ٠ ولكن المسكين ما قدرش يمنع الدموع عن عينيه ، لأنه عرف انى فاهم كل حاجة ، وأنه رجع لرشده ! ٠٠ ولكن بعد ما فات الأوان واتجوز اللى اتجوزها ٠ وقبل ما يمشى قال لى : أنا باموت ٠٠ أنا باموت شوية بشوية !

« ولما قابلت شوقية بعد كده قلتلها ٠٠ قلتلها على الحكاية دى ٠٠ تعرف عملت ايه ؟ ٠٠ قبل ما أقولك عملت ايه لازم تعرف موقفها وظروفها : كان قدامها رمزى ٠٠ رمزى الرجل اللى منحته كل ثقتها وحبها واخلاصها ٠ وقدامها زينب ٠٠ زينب مراته اللى خدته خيانة وغدر منها ٠٠ هما الاتنين حطموا كل أملها وشبابها وأحلامها وسعادتها ٠٠ فكر شوية فى الساعات الوحشة المؤلمة اللى فاتت عليها بعد كده ! ٠٠ انت عاوز تقول انك ما تقدرش تستحمل لأن الغيرة بتحرق نفسك ، مع ان رمزى مات من زمان ٠٠ من سنين ؟! ٠٠ أمال آيه كان حال شوقية ، وهى بتسمع كل يوم عن رمزى وهو عايش ٠٠ وعن أخباره وأخبار مراته اللى سرقته منها !

« تعرف ايه اللى عملته شوقية ؟! ٠٠ تصور انها كتبت سرا لزينب مراة رمزى ، تقول لها بكل اخلاص انها مستعدة تبعت لها كل اللى عندها من فلوس علشان تداوى بيه جوزها ، بعد ما سمعت انه عيان قوى ! ٠٠ كل ده من غير ما يعرف هو حاجة !

« وطبعا زينب ما ردتش ٠ لكن المهم ان شوقية عرضت باخلاص كل اللى عندها ،مع العلم بأن مفيش فايدة كانت حتعود عليها من عملها ! ٠٠ واحدة تانية كانت تفرح وتشمت فيه ، وتعمل كل ما يمكنها علشان ما يقدرش رمزى ينام جنب مراته ، وتنبسط لما تسمع انه عيان أو بيحب واحدة تانية ! ٠٠ لكن

خصال شوقية وتربيتها هى اللى خلتها تعمل كده ، وتعمل كل اللى عملته النهارده · وما تفتكرش فى حاجة تانية يا عثمان ·· ومش هى دى الاخلاق اللى حببتك فى شوقية ؟ ·· ازاى تخلى الخصال دى ذاتها هى اللى تفرق بينكم وتغريك بانك تسيبها ، بعد ما كنتم لبعض ؟! »

★ ★ ★

◆ **وفوجئنا** أثناء حديثنا ــ وكنا قدآتجهنا الى داخل المنزل ــ بصراخ ضعيف صادر من غرفة نوم كانت مخصصة للزائرين : « ماما ·· ماما ·· »

وأنصتنا نحن الاثنان ·· وكان هناك ضوء باهت ينتشر فى أرجاء الدهليز الذى كنا نقطعه ، فى طريقنا الى الصالون · ووقفنا لحظة ·· وما لبث باب غرفة النوم الملحقة أن فتح بهدوء ، وبرز منه محسن ، وهو يفرك عينيه بيديه الصغيرتين وينادى : « ماما ·· بابا ·· ماما » !!

واستطاع أن يرانا خلال الضوء الباهت ·· واقتربت منه قليلا ، لأهدىء من روعه ، ولكنه أخذ يصرخ قائلا : « ماما ·· أنا عاوز ماما ··سابتنى هنا وراحت فين ؟ ·· ماما ·· ماما ·· »

وحاولت أن أمسك به لكى أسكته ، حتى أبعث فى طلب شوقية ، ولكنه أفلت منى ، وتعلق دفعة واحدة بقدمى ·· عثمان ·· وهو لا يزال يردد صراخه ··

ورفعه عثمان قليلا ، وتفرس فى ملامح وجهه لحظات ، ثم استقر به على كتفه ، وأخذ يروح ويغدو ، محاولا اعادة الهدوء اليه ·· فى ذلك الليل الهادىء ، والسكون يلف الكون فى الخارج ·· **وطفحت دهشتى حين رأيت عثمان يربت بهدوء ظهر الطفل الذى استسلم له تماما ، فأخذ صراخه يخفت وهو يزداد تعلقا به ·· بالرجل ذى القلب الطيب الذى رفعه من فوق الارض الى صدره !**

ولاحت فى ذاكرتى قصة قديمة كان عثمان قد رواها لى ··

قصته هو ، بعد أن تركته أمه وحيدا بين الغرباء ، وهو ما يزال طفلا يحبو ! ‥ وسرعان ما اختفت دهشتى من هـــذا التحول العجيب الذى طرأ على مشاعر عثمان !

وفيما نحن نذرع الدهليز الطويل جيئة وذهابا ، اذا بوقع قدمى شوقية يسرع الينا ‥ لاشك انها سمعت صراخ الصغير فآثرت أن تكون على مقربة منه ، خلال ليلته الأولى بالمنزل ! ‥ واقتربت شوقية من عثمان ، ومدت ذراعيها فى رفق وحنان ، لتحمل عنه الطفل ‥

وبينما كان عثمان يهم بنقل الطفل النائم الى ذراعى شوقية ، همس لها وهو يبتسم : « أنا باقدم لك محسن بنفسى يا شوقية ‥ انت فاهمه ؟! ‥ أنا جايبهولك أهو ! » ‥ غير ان الطفل تعلق بكتفى عثمان وعنقه ، وأبى أن يتركه ، فابتسم عثمان وهو يقول : « أحسن انى أروح أنيمه بنفسى ‥ الظاهر انه عاوزنى أنا كمان يا شوقية ! »

وعندما استقر الطفل فى فراشه الصغير ، ورفع عثمان وشوقية بصريهما عنه ، لم يتمالكا نفسيهما من البكاء تأثرا ، وهما يضمان احدهما الآخر فى عناق ملؤه الحب والحنان !

الخالدون



عظماء في عين السياسة

عزيزى القارىء ...

فى الاعداد السابقة قدمت لك فى هذا الباب على التوالى قصص حياة : « ديفاليرا » .. و « غاريبالدى » .. و «لويس باستير» .. «أميل زولا» . . و « ماركونى » ..و «تشايكوفسكى » .. «فمصطفى كمال» .. ثم «شوبان» .. و «جى دى موباسان» و «مختار» و « تشارلس ديكنز » و « بيتهوفن » و «موسولينى» و «شيللى» و « بلزاك» و «بودلير» و «دستويفسكى» و «موليير» وأخيرا «كونفوشيوس» و «جيته» وبوذا والكسندر ديماس و «ميكيل أنجلو» .. وهم أولئك العظماء فى السياسة ، والطب ، والادب ، والاختـراع ، والموسيقى .. والفنون .. الخ

واليوم أقدم لك فيما يلى حيـاة الموسيقي الموهوب «موزار»

وفى الاعداد التالية أعرفك باذن الله بهؤلاء الذين تشتاق الى معرفتهم منذ بعيـد : لورد بيرون ، براونـنج ، شوبرت .. فولتير ، شوبنهاور ، نيتشـه ، أرسـطو .. داروين ، اينشتين .. شكسبير ، اديسون ، فورد .. والتر سكوت ، كولمبوس ، الاسكندر المقدونى ، بطرس الاكبر ، فردريك ، بسمارك .. رفاييـل ، ليوناردو دافنتشى ، وغيرهم ...



من فلتات الطبيعة!

موزار

العبقرى الذى ألف الموسيقى فى سن الرابعة ،
وعزفها امام الملوك فى السادسة!

ولد عبقريا .. وعاش شقيا !

◆ احتفل العالم أجمع فى ٢٧ يناير المنصرم بمرور مائتى عام على مولد الموسيقى الخالد « موزار » — أو « موتسارت » كما ينطق بالالمانية — فتبارت المحافل الموسيقية فى شتى أركان الأرض فى اقامة المهرجانات الكبرى التى عزفت فيها موسيقاه ، وألقيت فيها المحاضرات عن عبقريته وآثاره الخالدة

ويسر « كتابى » أن يساهم بنصيبه « الثقافى » فى الاحتفال بذكرى هذا العلم الشامخ من أعلام الموسيقى — (اللغة الدولية للروح والوجدان ، والرسول الأسمى لنشر المحبة والسلام بين بنى البشر) — فيقدم لقراء العربية فيما يلى قصة حياة هذا العبقرى الذى يمجده العالم اليوم بقدر ما جحده فى حياته وقسا عليه ، حتى انه لم يكن يجد القوت لنفسه ولزوجته ، ولم يخلف وراءه ما يكفى لنفقات جنازته !

« معجزة » خارقة للطبيعة !

◆ « **النغم** هو روح الموسيقى .. انه جواد أصيل رشيق ، يركض فى طرق الصوت الواسعة .. ومن ركضه يتألف اللحن .. انك لا تملك أن تتعلمه — ففى الموسيقى كلما زاد درسك قل محصولك ! — ولكنك تحسه وتشعر به .. »

.. على هـذه الحقائق الأولية تفتق وعى « ولفجانج » فى حداثته ، وكان يلمسها ويدركها عندما يهتف به أبوه : « هيا .. لنعزف لحنا ! » .. كان «ليوبولد موزار» — الأب — الموسيقى الرسمى لأسقف (سالزبورج) .. وكانت زوجته أجمل نساء المدينة .. أما ابنهما «ولفجانج» الصغير فكان نابغة فى العزف على « البيانو » ، **وكان الناس يقـولون ان اذنى الطفل أوتيتا حساسية فذة ، وارهافا خارقا ، حتى لقد كان يستطيع أن يميز أى نغم يصدر عن أية آلة موسيقية ، ويتعرف مكانه من السلم الموسيقى ، قبل أن يتعلم قراءة الحروف والأرقام !**

وبقدر ما كانت أذنا الصبى مرهفتين، كانت عيناه واسعتين، زاخرتين بالحيوية ! ٠٠ كانتا تبـدوان أكبر من أن تكونا لمثل وجهه الصغير ، فكان أهل (سالزبورج) يسائلون أباه : « ألا نبئنا أيها الأب ليوبولد ، ما الذى تراه هاتان العينان ؟ » ٠٠ فكان الأب يلتفت الى صغيره ، ويتوه فى تأمل عينيه ٠٠ **كان فيهما بريق عجيب ٠٠ بريق النبوغ ٠٠ العبقرية الموسيقية ٠٠ كأنما كانت روحه تهتف خلالهما : « لست أملك أن أكتب شعرا ٠٠ وليس بوسعى أن أرسم صورا ٠٠ وانما أستطيع أن أعزف موسيقى ٠٠ اننى موسيقى بالفطرة يا أبت ! »**

ما كان أغربه هذا الصـغير « ولفجانج » ! ٠٠ كان لا يفتأ يطوق عنقى أبيه وأمه بذراعيه الصغيرتين ، ويسائلهما مائة مرة فى اليوم عما اذا كانا لا يزالان يحبانه ؟ ٠٠ وكان يحلو للأب أحيانا أن يداعبه بأن يجيب بالنفى ، فلا تلبث عينا الطفل أن تلمعا وقد ترقرقت فيهما الدموع ، وترتجف شـفتاه ! ٠٠ الى هذا الحد كان قلبه حساسا ، مرهفا ، لا تملك ازاءه حيـلة ٠٠ يكفى نغم ينبعث من بوق كى يبعث فيه اختلاجة ألم !

٠٠ وكانت كل الظواهر تنبىء منذ حداثته بأن الحياة ستكون قاسية بالنسبة له ، فان هذا الحس المرهف لا يرحم صاحبه من الألم والأسى ، ولكن ٠٠ فلتفعل الأيام ما تشاء ٠٠ لم يضيع العمر فى الحسرة على نصيبه المنتظر ؟ ٠٠ انه عبقرى وكفى ٠٠ فلينصرف الى موسيقاه ، وعبقريته !

يعزف للملوك والأباطرة !

◆ **وما أن** بلغ « موزار » الرابعة حتى بدأ يؤلف مقطـوعات موسيقية تعزف على البيانو ـ ما يزال بعضها باقيا الى اليوم ! ـ وفى الخامسة وضـع مقطوعة صعبة ، يتعذر على عازف عادى المواهب أن يعزفها ، ولكنه هو ـ هذا المؤلف الطفل الصغير ـ كان يعزفها ! ٠٠ يا لها من موهبة تثير العجب !

وقيل للأب : هذا كنز ثمين ! خذ ابنك فى جولة تطوفان فيها بمجالس كبار الملوك فى أوربا .. وخذ أخته الصغيرة أيضا ، فهى بدورها نابغة .. ولسوف يتدفق عليك الذهب كالسيل ، ولسوف يجن الناس بالعبقريين الصغيرين فيغرقونهما بالهدايا ، والحلوى ، والقبلات ..

ولم يتردد الأب « ليوبولد » .. **صحبهما الى (ميونيخ) ليعزفا أمام «ماريا تريزا» امبراطورة النمسا .. وفى (هيدلبيرج) جرت أصابع « ولفجانج » الطفل على أصابع الأرغن بسرعة أذهلت الحاضرين وملكت عليهم أنفاسهم !.. وفى (فرانكفورت) التقى النابغتان الصغيران بالشاعر العظيم « جيته » .. وفى فرنسا أبدعا حتى استحوذا على حواس علية القوم الذين كانوا يحيطون بمدام دى بومبادور .. ثم الى انجلترا .. والى هولندا ! .. وكان « موزار » طوال الرحلة يعرض أروع آيات العبقرية ، فيحظى بقبلات الملكات ، وتصفيق الملوك .. وذات يوم عثرت ساقه فسقط على الأرض ، أمام الأميرة « مارى انطوانيت » ـ ملكة فرنسا فيما بعد ـ فتقدمت ورفعته من عثرته ، فقال لها الصبى : « شكرا .. سوف أتزوج منك حين أكبر ! »**

وهكذا صار الصبى الاعجوبة الثامنة بين عجائب الدنيا ! .. قال عنه ناقد موسيقى انجليزى : « كم من موسيقى من موسيقيى البلاط الملكى انتهت حياته ولما يعرف من الموسيقى ما يعادل ما كان لدى موزار من معرفة وهو فى مستهل حياته ! »

وما كان أبدع رأسه ، بشعره المجعد .. كان بديعا رغم كبره ، اذ كان يبدو أكبر من أن يحتمله ذلك الجسد الصغير !.. وكان مليئا بالحكمة ، حتى لقد أخذ أصدقاء أسرته يتهامسون مشفقين من أن تلتهم هذه الشعلة المتقدة كل الوقود الذى كان يقدمه ذلك الجسم الصغير ، الرقيق ..

رحلته الى ايطاليا تنمى مواهبه الخارقة !

• **واذ** كبر الصبى قليلا ، رحل الى ايطاليا ٠٠ أرض الألحان البراقة ، والالهام الفنى ، والسماء البديعة ٠ كانت خير بلد يكفل تنمية مواهب « ولفجانج » ، وتحقيق أحلامه ، فقد كان يصبو الى أن يؤلف « الاوبرات » ، ويرسل ألحانه محلقة فى أجواء المسارح ، حاملة صيته وسمعته الى آفاق الدنيا ٠٠ كل هذا ولما يتجاوز العقد الثانى من عمره ! ٠٠ فهل كان صغيرا بالنسبة لهذه الأحلام ؟ ٠٠ أبدا ، فان « الاوبرات » لم تستعص عليه ، وهو الذى استطاع أن يقود العازفين فى قداس مهيب كان المصلون الذين حضروه لا يكادون يتمكنون من رؤيته فيه ، من فرط ضآلة جسمه ! ٠٠ أبدا ، ما استعصت « آلاوبرا » عليه وهو النابغة الذى بلغ من جبروت ذاكرته أن وعت أنغام لحن دينى كان ينشد فى كنيسة « القديس بطرس » ، ولم يكن قد سجل من قبل ٠ وبلغ من تأثره بهذا اللحن أن عكف بعد أن سمعه للمرة الأولى على تسجيله من الذاكرة فى دقة وأمانة ٠٠ فما كان من البابا الا أن باركه مغتبطا ، وجعله عضوا فى نظام « آلفرسان ذوى المهاميز الذهبية» ولما يتجاوز الرابعة عشرة !٠٠ ومنذ ذاك الوقت عرف باسم « الشيفالييه موزار » ، كما منحته جمعية الموسيقى الوترية « الفيلها رمونيك » - فى بولونيا - عضويتها !

وكانت «الاوبرا» الأولى التى لحنها موزار تدور حول موضوع الملك « ميثريداتيس » ٠ وبلغ من نجاحها أن راح النظارة فى ختامها يدقون الأرض بأقدامهم هاتفين : « يحيا المايسترو الصغير » ٠٠ وكتب أحد النقاد : « ان المؤلف الصغير يدرس الجمال فى الطبيعة ، ثم ينقله الينا موشى بأندر رواء موسيقى ! » ٠٠وأخذ الملحنون الكبار يزمجرون متمتمين : « ان هذا الموسيقى الناشىء لن يلبث أن يلقى بنا الى زوايا النسيان ! »

على ان القصة لا تلبث أن تغدو مدعاة للأسى ، كما يحدث عادة حين تواتى الشهرة صاحبها فى باكورة الشباب ، فاذا ما كبر ، كفت الدنيا عن أن تتطلع اليه كطفل عجيب ، أو معجزة فذة ، وأخذت هتافات الجماهير فى الخفوت ! ٠٠ وقد أحس « موزار » بذلك بعد زمن ، وكان قد غدا شابا ، ذا لحية ، معتدا بنفسه ، مطمئنا اليها ـ بعد أن قضى سنوات فى الدراسة الجادة الدائبة ، منذ فجر عبقريته ـ وكان لا يفتأ يقول لأصدقائه : « أؤكد لكم يا أصدقائى الأعزاء ان أحدا لم يول النواحى الفنية للتأليف الموسيقى ما أوليت من عناية ، فما من أستاذ كبير الا درست مؤلفاته مرارا واستوعبتها »

خيبة أمل !

● **على انه** ما لبث ـ وقد أصبح فى مرحلة الرجولة ـ أن تبين مدى ضآلة تقدير الناس بعضهم لبعض ، فان أيام الضجة التى أحاطت به فى طفولته كانت قد ولت وغدت نسيا منسيا ٠٠ بل لقد شقى بالبيئة التى اضطر الى أن يعيش فيها ، اذ عين رئيسا للفرقة الموسيقية التابعة لأسقف البلد الذى ولد فيه ، بمرتب لم يتجاوز ٢٥ ماركا فى الشهر ٠٠ فضلا عن ان الرجل أخذ يستصغر من شأن موزار ، ويسخر من براعته الموسيقية ، سواء بحجة صغر سنه ، أو لأنه لم يتلق البرامج الرسمية التى كانت تدرس فى معهد الموسيقى ٠٠ وصار لا يفتأ ينصحه بأن يسعى الى « دراسة الموسيقى » دراسة صحيحة ، حتى فاض معين « موزار » ولم يعد يحتمل الاهانة ، فقرر أن يهجر (سالزبورج) ٠٠ ودأعبه الأمل فى ان العالم لا يمكن أن يكون قد نسى الفتى الذى ألف للأوبرا وهو فى الخامسة عشرة ، والذى سلطت عليه أضواء الشهرة ولما يبلغ العشرين ! ٠٠ فودعه أبوه والدموع تجول فى عينيه ، قائلا : « كن مع الله وتشبث به ، فسوف تعرف الكثير من الحقائق المريرة عن بنى البشر ! »

وبالفعل ، قدر لموزار أن يصدم بخيبة الأمل من البداية ، فقد ذهب الى (ميونيخ) حيث كان قد عــزف أمام الحاكم فى حداثته ، وحيث بلغ من اعجاب الرجل العظيم به اذ ذاك ان قبله وحمد الله أن خلق عبقريا مثله ! ٠٠ فاذا به وقد ذهب اليه الآن فى كبره ينشد عملا ، يقابله فى فتور ، ويعتذر له بأن لا عمل لديه يمنحه اياه ٠٠ ثم ينصحه بأن يدرس بضع سنوات ، فى « المعهد » !

ويمم الشاب وجهه شطر (اوجسبيرج) ٠ كان يتمنى لو أن الذين بنى آماله عليهم قد دعوا أقطاب الموسيقيين فى ايطاليا ، والمانيا ، وفرنسا ، واسبانيا ، وانجلترا ، ليتباروا معــه ٠٠ لكنه لم يكن يملك لنفسه حيـلة ، اللهم الا أن يتخــذ من فنه وسيلة لتملق الجماهير بنوع من « الدجل الفنى » ! ٠٠ وما لبثت أن خطرت له فكرة : لماذا لا يلقى دروسا فى الموسيقى ؟ ٠٠ كم من شابة من علية القوم سحرتها عيناه اللتان يختلط فيهمــا اللونان الأزرق والرمادى ، وشعره المجعد ! ٠٠ لسوف تقبل الكثيرات على دروسه ولا ريب ، ولسوف يتيح لكل واحــدة ـ فيما بين الدروس ـ أن تحظى بمراقصته ، فتدور معــه فى حركاته الخفيفة ، الرشيقة ، الرائعة ٠٠ وهكذا راح يمنى نفسه بالثراء ، ولو انه لم يكن راضيا عن نفسه ، فقد خلق ليـكون ملحنا وقائدا لفرقة موسيقية !

وما لبثت أن سنحت له فرصة ، حين تلقى دعوة من «كونت» غنى استحثه على الرحيل الى (ميونيخ) ليعالج تأليف «أوبرا» ألمانية ٠٠ وكانت فرصة مغرية ، قد يترتب عليها خلق مسرح قومى فى المانيــا ٠٠ فسارع الى انتهازها وقد استيقظت فى نفسه الآمال من جديد ، وقضى وقتا يعيش فى هناء ، فى ضياء الأماني ٠٠ بيد آن « الكونت » عجــز عن أن يجمع عــددا من الفنانين يكفي لمساعدة النابغة الشاب على تحقيق رسالتــه ، ففشل المشروع ٠٠

يتنقل من غرام الى غرام !

◆ **واضطر** « مــوزار » الى أن يعــود مرة أخرى الى تلقين الدروس ٠٠ وحظى فى (اوجسبيرج) بحياة لا بأس بها ـ رغم متاعبه المالية ـ فقد التقى هناك بقريبة له متعطشــة الى الحب لاترتوى منه ، فراحت تعب منه وتسقيه معها كؤوس الهوى ٠٠ حتى اذا عن له أن يرحل الى (مانهايم) ، حمل معــه ذكريات العناق العذب والقبلات الشهية ، فكانت تلك الذكريات الناعمة خير عزاء له فى غمرة الفقر الذى لازمه هناك فى (مانهايم) ، أرض الهواء العليل ، الرقيق ، الذى كان يحمل فى نســماته النغم والحياة ٠٠ وفى هذا الجو سرعان ما نسى موزار قريبته ، وانشغل بمداعبة التلميذات اللاتى أقبلن عليه ، وزهرات المجتمع اللاتى جذبتهن اليه موسيقاه الفاتنة ٠٠ **ومن هذه « الافواج » ، انتقى مــوزار واحدة وهبها نفســه ، وخصها بكل عــواطفه الصــادقة ، تلك هى : « روزا كانبيش » ، ابنة أحــد كبار الموسيقيين ٠٠ فقد بدت له الهة تستحق أن يركع لها متعبدا ، وأن يستلهمها الوحى ، ويكتب المقطوعات التى تعبر عن أطوارها ، ويسبح مع كلماتها فى سماء السرور** ٠٠ ولكنه كان قلقــا ، لا يستطيع أن يستقر على حب واحد ، فلم يبق طويلا على غرامها ، سيما حين التقى بفتاة ذات صــوت كأنه رنين الذهب ٠٠ تلك هى « ألويشيا ويبر » ، التى كانت من أسرة فقيرة الى متــاع الدنيا ، ولكنها غنية بحبها للموسيقى ٠٠ وكانت الفتاة تدرس « الاوبرا » ، فاستقبلها « موزار » واحتفل بتوليتها عرش قلبه ، بلحن أهداه اليها !

ولم يعد يعرف للراحة طعما ، فقد كان التفكير فيهــا لا ينى يشغل عقله فى كل ساعة ! ٠٠ وكانت « ألويشــيا » تفكر فى الرحيل الى ايطاليا لتستكمل دراستها ، فأعلن عزمه عــلى أن يتبعها ليكون الى جوارها حتى الرمق الأخير ! ٠٠ ولم يوقظــه

من أحلامه سوى أبيه الذى خف اليه حين تناهت اليه أنباؤه :
كيف يتبع الفتاة الى ايطاليا ويظل فى ركابها ؟ ٠٠ أخادم هو ؟ ٠٠ ومستقبله ؟ ٠٠ أو يرضى أن يتزوج منها فيعيش واياها فى فقر ، وينجب أولادا يعانون الفاقة ؟ ٠٠ لا ، بل يجب أن يظل أعزب ليكون متحررا فى كفاحه من أجل المستقبل ٠٠

ونصحه أبوه بأن يرحل الى باريس ليدرس على أساتذة الموسيقى فيها ، وأن يستعين على عيشه فى العاصمة الفرنسية باعطاء دروس للمبتدئين ٠٠ وكان هم الأب أن يطمئن الى أن ابنه سيمضى فى الكفاح ، لا تشغله صبوات ، أو تعوقه نزوات ٠٠أو فلتشغله النزوات ، ولكن على أن يهبها جسده دون روحه، فما ينبغى أن يثقل روحه بقيد تظل ترسف فيه أبدا ! ٠٠ ومن ثم قرر الأب أن يضحى برآحته ، فتصحب أم «ولفجانج» ابنها لتعنى به فى باريس ٠٠

يدرس الموسيقى للفتيات ٠٠ فى باريس !

◆ **وهكذا** رحل « موزار » مع امه الى باريس ، حيث عانى المشقات فى التدريس لشابات لم يؤتين مواهب صادقة ، ولا ميولا موسيقية صحيحة ، وانما كن يرين الموسيقى من مستكملات الأناقة والمظهر ، فلم تكن لدروسه الثمار التى كان يتوق اليها ٠٠ وكتب لأبيه يقول : « **كل الباريسيات غبيات وتافهات فى مجال الموسيقى ٠٠ اذا عزفن فانما يحرصن على اظهار رشاقة أصابعهن وسرعتها ، على حساب الألحان ، وعلى حساب الأمانة الموسيقية !** » ٠٠ **وهكذا ، لولا بعض المغامرات الغرامية ، وبعض مباريات البلياردو ، لمات سأما فى « مدينة البغال » كما أسماها !**

وفى تلك الاثناء شرع يؤلف « السيمفونيات » ٠٠ ولم يأبه بما اذا كانت هذه « السيمفونيات » ستلقى تقديرا من « اولئك الفرنسيين » أم لا ، فقد أصبح يراهم « بغالا » ينبغى أن لا يحفل

بهم ! .. بل غدا يتمنى أن تتاح له الفرصة كى يهجر باريس .. وسرعان ما ساقت اليه الأقدار حادثين عجلا بهذه الهجرة : فقد ماتت أمه .. وخلا منصب رئيس فرقة موسيقية فى (سالزبورج) ، فأرسل أبوه اليه يستحثه على قبول هذا المنصب .. ولم يتردد هو فى ذلك ، رغبة منه فى الفرار من باريس .. لكنه كان كالمستجير من الرمضاء بالنار ! .. فما هو أن استقر فى (سالزبورج) ، حتى أحس بأن جوها خانق لمواهبه وروحه، وان (باريس) ـ على مساوئها ـ جنة اذا قيست بها !

وواتته النجدة من (ميونيخ) ، فقد استدعى مرة أخرى ليكتب « أوبرا » ـ وكان الحاكم نفسه هو الذى كلفه فى هذه المرة ـ فرحل الى هناك، حيث شرع فى وضع أوبرا «ايدومينيو» التى تستند قصتها الى اسطورة من (كريت) .. وتفتحت آماله من جديد ، فراح يكتب لأبيه عن روعة موسيقاه وتفوقها .. وكان أبوه ـ بما أوتى من خبرة بالحياة ـ لا ينى يحذره من الانسياق للأحلام ، وينصحه بأن لا يفكر فى «عشاق الموسيقى» وحدهم ، بل يجب أن تأتى ألحانه بحيث تروق للعامة الذين لم يؤتوا ادراكا موسيقيا .. فكان يرد عليه قائلا : « لا تخف ، ففى الاوبرا التى أضعها موسيقى لكل طبقات الناس !» .. لقد كان يذيب نفسه فى أنغامه ، وقد عقد العزم على أن تكون « الاوبرا » نجاحا باهرا !

العالم يمجد النوابغ ، ويضن عليهم بالقوت !

◆ **ولكنها** منيت بالفشل .. فاضطر « موزار » الى العودة الى (سالزبورج) والعمل فى خدمة الأسقف « هيرونيمس » .. وكانت تلك من أشق الفترات على نفس «ولفجانج» ، فهو ما كان ليتردد فى أن يركل هذا المنصب فى ازدراء ، لولا انه اضطر الى قبوله ارضاء لأبيه ! .. فقد كانت بينه وبين الأسقف كراهية مشتركة ، حتى لقد كان الأسقف يحرم عليه اقامة

حفلات عامة لحسابه ، نكاية فيه ٠٠ وكان كل تقدير أو تكريم يتلقاه من العالم الخارجى ، فرصة ينحى عليه فيهـا الأسقف بالتأنيب ، وبالمغالاة فى التضييق عليه ! ٠٠ الى أن ساق القدر للموسيقى الشاب فرصة للخلاص ، على مقدمة حذاء ! : فقـد كان فى خـدمة الأسقف موظف عالى المكانة ، ارستقراطى النزعة ، سخط يوما على الملحن الشاب فلم يتورع عن أن يركله فيلقى به الى الخارج ٠٠ الى الدنيا التى حرم المنصب « موزار » منها !

ورحل الموسيقى الشاب الى (فيينا) عقب هذا الحـادث ٠ وكان يومئذ فى الخامسة والعشرين ، قد نضـجت عبقريته ، وامتلأت نفسه ازدراء للناس والدنيا ٠٠ ولكن عينيه كانتا أبدا تشعان ببريق ضاحك ، وقلبه وروحه ظـلا متشبثين بالايمان بالمستقبل المنشود ، سيما وانه أخذ يؤلف بعض المقطـوعات الموسيقية الشعبية التى أنعشت ذكره وشهرته ٠٠

فى تلك الآونة قدر له أن يلتقى أخيرا بالفتاة التى تاقت الى أن تشاركه تقلبات الحظ وايمانه بنفسه ٠٠ فكتب الى أبيـه يقول : « انها ليست أولويشيا ويبر بالتأكيد ، فان ألويشيا قد ذهبت الى ايطاليا ٠٠ أفتكون احدى شقيقاتها ؟ ٠٠ أجل يا أبت ٠٠ لا تبرع ولا تستنكر ٠٠ انها الأخت الصغرى ، كونستانزا »

وكانت هذه على العكس من اختها ، لم تؤت من الجمال قسطا يذكر ، ولكنها وهبت عينان تنفذ نظراتهما ثاقبة الى الاعماق ، وقواما رشيقا متناسق الاعضاء ، ونفسا قوية ، وروحا طيبة ٠٠ ولكى يتفادى الحبيبان اية اعتراضات عائلية ، فرا معـا ! ٠٠ ومن العجيب ان « موزار » وجد فى هذا الفرار الهاما ، فكتب أوبرا « الفرار من سيراجليو » ٠٠ وسرعان ما أقبلت عليه القيم التى طالما تاق اليها فى حنين : الصيت ، والشهرة ، واعجاب الجماهير التى راحت تصفق لهذه الاوبرا فى حماس ملتهب ٠٠

وجنى «موزار» من هذا النجاح ثروة : ثروة من التكريم ٠٠ ولا شيء من المال ! ٠٠ لم تكن حقوق التأليف موضع اعتراف قانونى اذ ذاك ، فاحتفظ مدير المسرح لنفسه بالأرباح ! ٠٠ وكان المؤلف الذى لا يعرف كيف يكون رجل أعمال ، يموت جوعا وسط تصفيق النظارة ٠٠ كانت الدنيا تمجد النوابغ وتضن عليهم بالقوت !

يقاوم الفقر ٠٠ ومفتريات الحاسدين !

◆ **واتبع** «موزار» النجاح الأول ـ ان جاز أن يسمى نجاحا ـ بنجاح ثان ، سجلته أوبرا « زواج فيجارو » ، التى تعتبر تكملة ل « حلاق أشبيليه » ٠٠ واستقبل الجمهور فى (براج) مؤلف الاوبرا بتكريم لم ينسه طوال عمره ، فقد راحوا يرقصون على أنغام « فيجارو » ٠٠ ولم يعد لهم من حديث الا عن « فيجارو » ، ولا موسيقى الا من « فيجارو » ، ولا أغنية الا من « فيجارو » ٠٠ « فيجارو » دائما ٠٠ وكان « موزار » نفسه يرقص ٠٠ وقد فاجأه صديق ذات صباح وهو يدور راقصا فى غرفته بحماس جنونى ٠٠ وقال النابغة الشاب وهو يبتسم فى استحياء : « هذه طريقة اقتصادية للدفء ٠٠ فالبرد قارس ولسنا نملك وقودا » !

على أن الفقر لم يكن العقبة الوحيدة التى كان « موزار » يجهد لتحطيمها ٠٠ فان موسيقيى (فيينا) نقموا عليه نجاحه ، فراحوا يرمونه بسهام من المفتريات المسمومة ، بل حاولوا أن يوغروا صدر الامبراطور ضده !٠٠ وبقدر أمانة « موزار » ونقاء نفسه ، كان افتقاره الى الحيلة والسياسة : فبدلا من أن يرد هجمات حاسديه بمثلها ، راح يصب آلامه أنغاما ٠٠ فكتب أروع أوبراته حتى ذلك التاريخ ، وهى أوبرا « دون جيوفانى » : قصة « دون جوان » الشاب الجرىء ، الذى خاض ألف مغامرة غرامية ٠٠ وفى المغامرة الواحدة بعد الألف ـ وهى محور القصة ـ انقلب خبيثا ،

فاذا به يقتل والد احدى حبيباته ليفر بهـا ، ثم لا يلبث أن يهجرها بحثا عن غيرها ! ٠٠ لكنه لا يستطيع الفرار من فعلته ، ويظل الماضى يلاحقه ، فاذا الرجل الذى اغتاله ينهض من قبره لينزل به العقاب !

وما كان أشبه المؤلف بذلك العاشق الذى انتهى الى مأساة ـ فقد كانت كل جريرة «موزآر» أنه عشق الموسيقى ! ـ ثم ما كان أبعده عن بطل مسرحيته : فهو لم يسىء الى أحد ، ومع ذلك فقد كان الآخرون يدفعون به الى الدمار ! ٠٠ قط لم تزخـر موسيقاه العذبة بمثل ذلك الشجن المحبب الى القلوب ٠ كانت موسيقاه فى « دون جيوفانى » تصور جمال ضوء القمر الفاتن عندما يقع على شجر الصبار الذى ينمو فوق القبر !

وعندما عرضت « دون جيوفانى » للمرة الأولى ، استقبلت الفرقة الموسـيقية « موزار » بصيحات الأبواق ـ وكأنه امبراطور ! ـ وهتف الجمهور : « ليعش موزار » ٠٠ فابتسم الشاب وهو يرد على التحية ، وتمتم فى مرارة : « ما الذى يودون أن يقولوه ؟ ٠٠ ما أحسبهم الا يعنون أن يقولوا : ليمت موزار جوعا ! »

وكان صيته اذ ذاك قد بلغ السنا ٠٠ حتى الامبراطور لم يملك سوى أن يعترف بمجده ونجاحه ، فبسط له يد الود ، وعرض عليه منصبا صغيرا فى بلاطه ! ولكنه ـ ارضاء للموسيقيين الآخرين ـ حرص على أن لا يكون لذلك المنصب قيمة ولا يترتب عليه امتياز ! ٠٠ وتحطم فؤاد « موزار » اذ أدرك أن الامبراطور انما شاء أن ينقذه من الجوع لينقذ نفسه من لوم الجمهـور ، وليظهر فى مظهر المحسن ! ٠٠ وكان « موزار » مضطرا الى أن يبتلع كبرياءه ، وأن يقبل الاحسان ، ولكن ثمة نفوسا طيبة ثارت من أجله : ففى بلدة (سالزبورج) النائية عن (فيينا) سار شيخ متهدم بخطى واهنة الى الأب « ليوبولد موزار » ، وهمس له والدموع تنساب من عينيه : « أقسم بالله ، وأقسم

بشرفى ، ان ابنك أعظم ملحن عاش فى الدنيا !» ٠٠ ولكن كلمات هذا الرجل لم تكن ذات وزن لدى الدنيا ، لأنه لم يكن امبراطورا ، ولا مثريا ذا نفوذ ٠٠ وانما كان زميلا لموزار فى معاناة جحود البشر : كان « جوزيف هايدن » الذى لقب فيما بعد بلقب « أب السيمفونيات » !

شهرة ٠٠ بلا مال !

◆ **واجتاح** فؤاد « موزار » شتاء قارس ٠٠ كان المنصب « الصورى » صدمة قاسية له ، بحيث يمكن القول أنه لولا احترامه لنفسه ما استطاع مضيا فى الحياة ! ٠٠ على أنه لم يلبث أن فقد ذلك المنصب قبل أن ينقضى وقت طويل ــ اذ مات الامبراطور ــ فعاد « موزار » مرة أخرى لا يملك سوى «موسيقاه واحترامه لنفسه» ! ٠٠ وكتب لأبيه يقول : « **بوسعى أن أجوس خلال فيينا كأى متسكع ، لولا أن ثيابى غدت فى حالة تستدعى الرثاء ٠٠ وما أظن خادما يرتدى أقمصة أزرى مما ارتدى ٠٠ وما أفظع هذا لرجل ذى كرامة وكبرياء !** »

وعاد الى تدريس الموسيقى ، لكنه لم يفز بغير تلميذ واحد ! ــ وكان بوسعه أن يحصل على أكثر من تلميذ لو أنه خفض أتعاب التدريس، غير أن شهرته كانت تصده عن ذلك ــ فأخذ يهيم فى المدينة وكأنه نائم فى حلم بغيض ٠٠ ثم مرضت زوجته ، فلزم جانب فراشها ، وراح ينظم المقطوعات الموسيقية ليسلى نفسه ويطرد عنه الكلل من طول الجلوس ٠٠ وكان قبل أن يكتب علامة واحدة من العلامات الموسيقية ، يرسم المقطع بأسره فى خياله !



هكذا كان يؤلف .. ففى أوبرا « دون جيوفانى » مثلا ، أبقى مطلع الأوبرا حتى الليلة السابقة لعرضها ، ثم جلس يكتبه وزوجته تروى له بعض الخرافات المسلية مثل « عـلاء الدين والمصباح » و « سندريلا » .. الخ .. وكم من « سيمفونيات » ومقطوعات سجلها فى ذهنه ، ثم اختزنها فى ذاكرته ليرضى بها حبه للموسيقى .. فلم يكتبها قط للدنيا التى أساءت فهمه !

وكان ينهض فى كل صباح ، فيفارق سرير زوجته المريضة لينطلق في نزهة على ظهر جواده ، بعد أن أنذره الأطباء بأن صحته توشك أن تنهار .. ولكنه كان يترك على وسادة زوجته رقعة بهذا المعنى قبل أن يخرج : « صـباح الخير يا زوجتى الصغيرة الحبيبة .. أرجو أن تكونى قد حظيت بنوم طيب .. حاذرى من أن يصيبك البرد .. لن أغيب ، وسأعود سريعا ! »

وقدر لزوجته أن تشفى ، ولكنهـا كانت فى أقصى حالات الضعف .. وكان فى أشـــد الحاجة الى المال ، فالتمس من الامبراطور الجديد «ليوبولد» أن يستأجره ليعلم أبناءه الموسيقى، ولكنه لم يحظ برد ما .. وعاد ينشط من جديد فى البحث عن تلاميذ .. حتى اذا تناهى اليه أن الامبراطور موشك على الرحيل الى (فرانكفورت) كى يتوج فيها ، قرر أن يسعى الى هنـاك ليعزف موسيقاه للجماهير لقاء بعض المال .. واضطر الى أن يرهن بعض مقتنياته ليحصل على نفقات السفر ، اذ لم يكن يحظى بالسفر دون ما مقابل سوى الموسيقيين الملحقين بركب الامبراطور ! .. واستنزف الفندق والغذاء ما تبقى له ، وما حصل عليه .. فلما آن له أن يغادر (فرانكفورت) لم يجد فى كيسه مالا ، فرهن «نفسه !» لأحد المرابين مقابل ألف فلورين ، مضى بها الى (مينز) ، فلم يكن حظه فيها بأفضل من حظه فى سابقتها .. وأسرف فى الاقتراض ، ثم كتب لزوجته يقول :

« .. وهكذا ترينني معدما مرة أخرى .. لكم بكيت وأنا أكتب لك هــذا .. أما الآن ، فافتحى راحتيك يا زوجتى

الصغيرة ‥ فان فيضا من القبلات ينهمر فوق رأسك » ‥ ولكن ، أكان من خرق الرأى حقا أن يسرف الفتى فى اقتراض المال ؟ ‥ « كيف كان لى أن أعرف قيمة المال ، وأنا لم أحظ منه فى قبضتى يوما بمبلغ كبير ؟ ‥ أواه يا أعز المخلوقات وأحبهن ‥ أواه يا زوجتى الصغيرة ، لسوف ترين ‥ سأسخر منهم جميعا وأكذب ظنونهم ! »

وفى غمرة أساه ومحنته ، لم يكن ينسى أن يداعب زوجته : « لو أنبأتك يا أجمل زوجة بما أفعل بصورتك لضحكت من كل قلبك ‥ فعندما أخرجها من سجنها أقول : « ليباركك الله يا «ستانزرل» ‥ ليباركك الله أيتها الشقية الصغيرة ‥ ذات الأنف الحاد » ‥ واذا رددتها الى مخبأها ، وضعتها فى بطء وحرص ، وأنا أقول : « ننه هو ‥ ننه ‥ عمى مساء يا فأرتى الصغيرة ‥ اهنأى نوما ! » ‥ ان لدى كثيرا من الرجاوات يا زوجتى العزيزة الصغيرة ‥ فأتوسل اليك أولا أن لاتحزنى ، وثانيا أن تعنى بصحتك ولا تأمنى الى هواء الربيع ‥ »

« الموت هو الصديق الحق ، الوفى ! »

◆ **وما لبث** موزار أن عاد الى (فيينا) ، فكتب الى أعضاء بلدية المدينة يلتمس : « بما لى من مواهب كموسيقى ، ومالقيته مؤلفاتى من شهرة فى الخارج ، وما ناله اسمى من تقدير » أن يعينوه « مساعدا متواضعا لرئيس موسيقيى كنيسة القديس اسطفان » ‥ وبهت الأعضاء لهذا الملتمس المتواضع ، فعينوه فى المنصب فورا ‥ كعضو فخرى بدون مرتب !!!

وأخذ ينهار فى بطء ‥ وأصبحت الخيالات القاتمة تراود ذهنه ، وتملكته فكرة الموت ، حتى لقد كتب : « ان الموت هو الغاية الوحيدة ذات القيمة فى هذه الحياة ‥ انه الصديق الحق، الوفى » ‥ ثم انضم الى الماسونيين الأحرار ، لا من أجل مبادئهم الانسانية وانكارهم للذات فحسب ، وانما أيضا لايمانهم

الوثيق بقداسة الموت ! .. وكان ثمة رفيق مثله بين الماسونيين يدعى « شيكاندر » ، كان مديرا مسرحيا ثم أفلس ، ولكنه لم يفلس فى الأفكار ، فسأله باسم الأخوة المقدسة أن يؤلف له موسيقى أوبرا « سحرية » كتبها .. وأوجس « موزار » ، **ولكن الرجل طمأنه وشجعه وأحيا فى نفسه الآمال ، فقد كان طموحا ، لا يعرف لطموحه حدا ! .. ولكي يضمن انصراف « موزار » الى أداء المهمة ، ابتنى له مسكنا صغيرا فى حديقة المسرح ، ودبر له شئون حياته ، وأمده بالخمر والملق والاطراء .. ومن ثم راح «موزار» يستجمع كفاءته ومواهبه المشتتة ، ليسكبها فى « القيثارة السحرية » !**

وفيما كان منكبا على المهمة ، مثل أمامه غريب فى ثياب قاتمة ، وأسلمه رسالة طلب منه صاحبها أن يؤلف لحنا يعزف فى قداس على روح ميت .. وعبثا حاول « موزار » أن يعرف اسم صاحب الرسالة ، فقد تكتمه الغريب .. كل ما عرفه أنه غنى من هواة الموسيقى ، اعتاد أن يسأل كبار الملحنين أن يؤلفوا له ألحانا يضع عليها اسمه .. وأخذ الرسول يتردد على « موزار » يستحثه ، ولكن الموسيقى استغرق فى « القيثارة السحرية » حتى فرغ منها ، فاذا بها تقابل بنجاح هائل .. وبينما تحول « موزار » الى تأليف لحن القداس الحزين ، ظل المسرح يزخر بالرواد .. وعرضت « القيثارة السحرية » مائتى عرض متوالية ! .. ولكن « موزار » لم يصب منها مليما ، بل غاب كل دخلها فى جيوب « شيكاندر » الذى أقام لنفسه تمثالا ، وعزا الى نفسه الفضل كله .. فلم يكن « موزار » يفهم سوى أنه مجرد « معين » ساعده بموسيقاه !!

ولم يملك « موزار » سوى أن يطوى صدره على أساه وألمه وحسرته ، ويعتكف على اللحن الحزين ، وقد غامت على عينيه غشاوة ، وتولاه قنوط بالغ : لم يعد يأبه لغذاء ، ولم يعد يحفل بما كانت زوجته تنبئه به من أن عالم الموسيقى قد اعترف به

أخيرا كملحن مبدع عظيم ٠٠ وبأن نبلاء المجر أرسلوا يهبونه معاشا سنويا قدره ألف فلورين ٠٠ وبأن الأوساط المثرية فى انجلترا أرسلت ترجوه أن يتخذ من بلادهم موطنا ومقرا ٠٠ وبأن أهالى هولندا أرسلوا يلتمسون الأمر ذاته ٠٠ الخ

لم يعد يهتم لشىء من ذلك كله ٠٠ فقد أحس بأن الوقت قد حان كى يفارق هذا العالم ، بعد أن غدا نجاحه وثيقا ، عزيزا٠٠ وأدرك أخيرا سر ذلك الغريب الذى أتاه فى ثوب الحداد يسأله لحن القداس الحزين ٠٠ وأتاه الجواب ذات ليلة : « انما أضع اللحن لنفسى ! » ٠٠ ما حاجته الى تصفيق الأحياء وهو ينصت الى تصفيق أهل عالم الموتى ؟ ٠٠ انهم يرحبون به هاتفين فى همس : « برافو يا مايسترو ٠٠ ليعش الملحن العظيم ! » ٠٠ كانت أيدى هياكلهم العظمية تصفق ، وهم يهتفون : « أعد ! »

يموت معدما ٠٠ ويدفن على نفقة « معجب » !

◆ **واستلقى** شاحب الوجه ، لا عن أسى ، وانما عن سكينة وسلام ٠٠ فقد أطفأت جذوة حياته حمى قاسية ، وهو لم يعد الخامسة والثلاثين ٠٠ ولم يكن قد فرغ بعد من اللحن الحزين ٠٠ ولم يخلف من متاع الدنيا ما تتجاوز قيمته خمسة عشر جنيها !

وتعهد صديق غنى بنفقات جنازته ٠٠ كان من كبار محبى الموسيقى ، ولكنه لم يكن مسرفا ، فلم يشأ أن ينفق أكثر مما يكفى لنقل جسد صديقه الى قبور الفقراء المعدمين ٠٠ وشيعت الجثة الى مقرها الأخير حفنة من الناس ، هبت عليهم خلال الجنازة ريح صرصر راحت تصفع وجوههم ٠٠ ثم تدفق من السماء مطر منهمر ٠٠ ورفعوا ياقات معاطفهم ، وخفضوا حافات قبعاتهم يلتمسون وقاء من المطر والريح ٠٠ ثم أخذوا يتسللون خلسة ، ليسارعوا الىَ دفء دورهم ، فلما بلغت الجثة المقبرة ، كان الحى الوحيد الذى ودعها هو ٠٠ حافر القبور !

أما كونستانزا ، فكانت تحت رعاية طبيب ٠٠ وما لبثت



بعد أيام أن تسللت تسعى الى المقبرة ٠٠ وفى خطوات واهنة كليلة ، راحت تتعثر بين القبور باحثة عن قبر زوجها ٠٠ ولكنها لم تجد علامة تميزه ٠٠ فسارت مترنحة الى كوخ حارس المدفن تسأله بصوت مرتجف : « **هلا أنبأتنى يا سيدى : أين دفنوا زوجى ؟ ٠٠ ان اسمه موزار !** »

وردد الرجل الاسم مستغربا ، ثم قال : « **موزار ؟ ٠٠ ما سمعت قط بهذا الاسم !** »

إقرأ معى :



كتاب الشهر

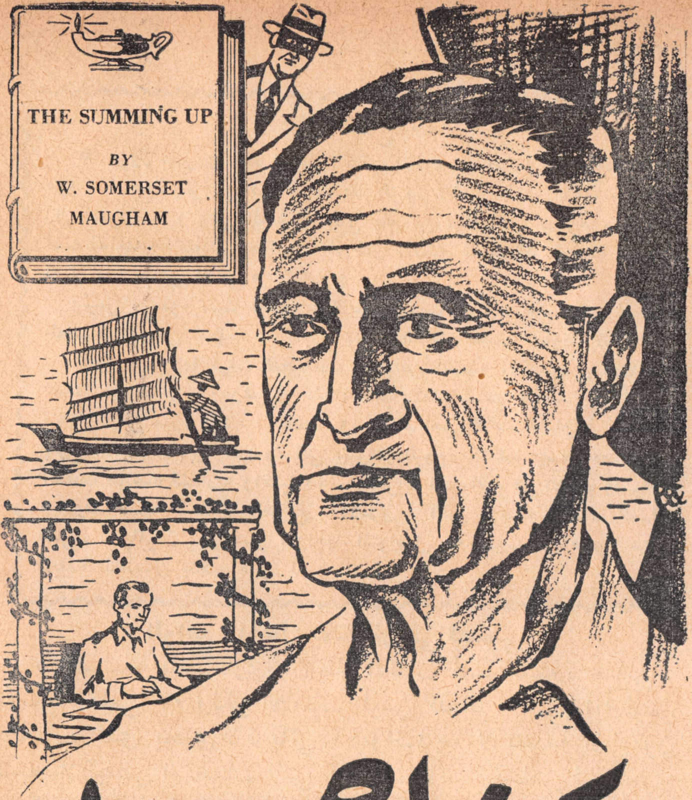
عزيزى القارىء ...

قدمت لك فى هذا الباب فى أعداد سابقة من (كتابى) الكتب الشائقة التالية :

- آراء جريئة فى الحياة : للفيلسوف الانجليزى المعاصر « جود »
- آراء جريئة فى السياسة : لبرنارد شو
- كيف نجحوا فى الحياة : لديل كارنيجى
- الحياة فى موسكو : هارولد ليكوك
- مراهق : البرتو مورافيا
- **آلهة ومقابر وعلماء : سيرام**
- **الالمان ، شعبا وعباقرة : أميل لودفيج**
- **مستقبل زوجك فى يدك : مسز ديل كارنيجى**
- **التاريخ السرى للاحتلال البريطانى : ويلفريد بلنت**
- **أقنعة الحب السبعة : أندريه موروا .**
- **فى داخل أفريقيا : جون جنتر**
- من فرعون الى فاروق : هـ . وود جارفيس

واليوم ، أقدم لك خلاصة تجارب الكاتب الكبير سومرست موم فى الادب والحياة

وفى الاعداد القادمة أزمع أن أقدم لك فى هذا الباب مزيدا من الكتب الممتعة ..



كفاحى !

خلاصة تجارب الكاتب الانجليزى الكبير
سومرست موم فى الأدب والحياة !

تلخيص : محمد بدر الدين خليل

هذا الكفاح ..

◆ يزور مصر فى هذه الأيام الكاتب الانجليزى الأشهر « سومرست موم » ، حيث ينزل فى ضيافة صديقه الزعيم الدينى الكبير « أغا خان » فى أسوان . (وهى الصداقة التى بلغ من توثقها أن « موم » كتب لصديقه مقدمة كتابه « مذكرات أغا خان » الذى قدمت لك خلاصة وافية له فى عدد مارس الماضى من كتابى)

وليس « سومرست موم » بالكاتب الغريب عنك ، فقد قرأت له فى العدد الرابع من «مطبوعات كتابى» النص الكامل لقصته الطويلة الشائقة « الخاطئة » ، كما قرأت تلخيصات لعدد من قصصه الأخرى فى أعداد مختلفة من كتابى .. وهو فى هذا الكتاب الممتع - غير القصصى - يقدم لنا طرفا من سيرة حياته ، بقلمه ، ويروى مراحل كفاحه الشاق فى سبيل بلوغ المكانة الأدبية الرفيعة التى يتبوأها اليوم .. كما يضمن فصول الكتاب خلاصة لتجاربه واختباراته ، ونظراته العميقة ، فى الأدب والحياة .. وقد كتبها بأسلوبه الصريح ، المشرق ، الذى « صنعه » - كما يعترف - بالمران ، والصبر ، والجهد المتواصل .. فليت كل طموح من أدبائنا الناشئين يتخذه قدوة له ومثالا !

الواقع والخيال يختلطان فى قصصى

◆ **قد** يبدو للقارىء ان هذا الكتاب يضم سيرة حياتى ، مكتوبة بقلمى .. ولكن الأمر ليس كذلك . كما انه ليس بالكتاب الذى يحوى ذكرياتى .. وانما هو لا يعدو أن يكون تسجيلا لبعض الأحداث التى كان لها تأثير خاص فى مجرى حياتى ، وما أسفرت عنه من تجارب كنت أجدها ، فى كثير من الأحايين ، صالحة لأن تستخدم كأسس لموضوعات تستحق الكتابة فيها ، فكنت أبتكر سلسلة من الأحداث لابراز هذه التجارب واضفاء الرواء عليها .. كما كنت أتخذ من بعض الأشخاص الذين عرفتهم - معرفة بسيطة أو وثيقة - أسسا لشخصيات رواياتى . **ومن ثم فان الواقع والخيال يمتزجان فى مؤلفاتى الى درجة يتعذر على معها الآن أن أميز أحدهما عن الآخر .. سيما واننى أوتيت ذاكرة ضعيفة ، الى درجة انى لا**

أستطيع أن أتذكر قصة جيدة ما لم أسمعها مرتين على الأقل .. وحتى بعد ذلك ، لا ألبث أن أنساها قبل أن تتاح لى فرصة روايتها لشخص آخر ! .. بل انى لم أستطع أبدا أن أتذكر فكاهاتى ، ومن ثم أجد نفسى مضطرا الى المضى فى ابتكار فكاهات جديدة باستمرار !

وأنا لم أحتفظ قط بمذكرات يومية . ولكم أود الآن لو كنت سجلت يومياتى فى العام الذى تبع أول نجاح لى كروائى مسرحى ، فقد التقيت فى تلك الايام بكثير من الاشخاص ذوى المكانة ، وكانت ثقة الناس فى الطبقة الارستقراطية وكبار ملاك الأراضى (سادة الأرض) قد تزعزت وقتئذ ، ولكن هؤلاء لم يفطنوا الى ذلك ، فظلوا محتفظين باعتدادهم بأنفسهم ، واستمروا يتحدثون - فى بعض البيوت السياسية التى كنت أتردد عليها - كما لو كانت الامبراطورية البريطانية من أملاكهم الخاصة ! .. وكان الروائيون يومئذ ماضين فى اضفاء كثير من الاهتمام على حياة هذه « الطبقة الحاكمة » ! حتى الكتاب الذين لم يعرفوا قط أحدا من اللوردات ، كانوا يرون ان الكتابة عن ذوى الألقاب أمر ضرورى . **بيد ان اهتمام الناس بالطبقة الارستقراطية أخذ يتضاءل بتضاؤل أهميتها السياسية . وأخذ رواد المسارح يتهيأون للاهتمام بمشاهدة تصرفات شخصيات من ذات طبقتهم .. وأصبح السائد أن يحرص الكاتب على ألا يورد فى قصصه شخصيات من ذوى الألقاب الا اذا كانت ضرورية للقصة . ومع ذلك فانه كان ما يزال من المستحيل وقتئذ توجيه اهتمام الجمهور الى الطبقة الدنيا من المجتمع .. بل كانت الروايات والمسرحيات التى تتناولهم تعتبر - بوجه عام - تافهة !**

فى تلك الحقبة التقيت بأشخاص كانت مراكزهم ، وشهرتهم ، وألقابهم ، تجعل من حقهم أن يروا فى أنفسهم رجالا كتب لهم أن يخلدوا فى التاريخ ! .. بيد انى لم أرهم من الذكاء

والالمعية بالقدر الذى كان يصوره لى خيالى ٠٠ كما لم أتبين فى رجال السياسة والحكم المبرزين الذين قابلتهم ، أية مقدرة فذة. ومن ثم استنتجت أن حكم أية أمة لا يحتاج الى درجة خارقة من الذكاء - ولعلنى كنت متسرعا مندفعا فى هذا الاستنتاج - لا ولا كانت الأحاديث التى اعتدت أن أسمعها اذ ذاك من اللباقة كما حسبتها ٠٠ حتى لقد كان يخيل الى أحيانا ان النفع الوحيد للثقافة هو أن تمكن المرء من أن ينطق باللغو بطريقة ممتازة براقة !

وكثيرا ما عجبت للشغف الذى يتلهف به كثير من الناس على التعرف بالمشهورين ، فان الزهو الذى تحسه حين تذكر لاصدقائك انك تعرف المشهورين لا يدل الا على انك قليل الشأن ! ٠٠ ذلك لأن المشهورين يحذقون أسلوبا زائفا فى معاملة الذين يلتقون بهم فى الحياة ٠٠ انهم يظهرون للعالم قناعا يؤثر فى النفوس ، ويحرصون فى الوقت نفسه على أن يخفوا حقيقة ما يعتمل فى نفوسهم !

ولقد ارتبطت - أوثق ارتباط - بعدد قليل من الناس ٠٠ بيد انى اهتممت بالناس عامة ، لا « لسواد عيونهم » ، وانما من أجل عملى ٠ فلم أنظر الى كل رجل - فى حد ذاته - باعتباره « غاية » ، وانما باعتباره «مادة» قد أفيد منها ككاتب ٠٠ وكنت أكثر اهتماما بخاملى الذكر منى بالمشهورين ٠٠ فالأولون يبدون فى أغلب الأحيان على حقيقتهم ، اذ لا حاجة بهم الى أن يتكلفوا مظاهر تستر حقيقتهم عن الدنيا ، أو يبهرونها بها ٠٠ لذلك كان الناس العاديون هم الحقل الخصب للكاتب ، لأن تصرفاتهم غير المتوقعة ، وفرديتهم ، وتباينهم الذى لا تحده حدود ، توفر له مادة لا تنفد ٠ أما « العظيم » ، فهو فى أكثر الأحيان رجل ضئيل ، ينطوى على عناصر متناقضة ٠ وأنى لأوثر - بغير تردد - أن أقضى شهرا فى جزيرة مقفرة مع طبيب بيطرى ، على أن أقضيه مع رئيس وزراء !

لن أعترف بكل أسرارى ، مثل « روسو » !

• **وسأحاول** فى هذا الكتاب أن أنسق أفكارى عن الموضوعات التى أثارت اهتمامى بوجه خاص خلال حياتى .. وان كانت النتائج التى على شاكلة تلك التى انتهيت اليها ، تطفو فى ذهنى كحطام سفينة على وجه بحر مضطرب ! .. فالمشاعر التى اعتادت أن تنتابنى ، والاشياء الغريبة التى رأيتها ، والناس الذين قابلتهم فأثاروا خيالى ، أكثر من أن تدع لى وقتا للتفكير والتأمل !

ولا مفر من أن أقول فى هذا الكتاب كثيرا من الاشياء التى سبق أن قلتها ، شأنى شأن القاضى حين يجمل قضية ما ، فيجمع الحقائق التى ذكرت أمام المحلفين ، ويعلق على أقوال المترافعين ، ولكنه لا يقدم قرائن جديدة ..

ولا مناص من أن يتسم الكتاب بالأنانية ، فهو عن موضوعات تهمنى ، ثم انه يدور عن نفسى .. ولكنه لا يتحدث عن أعمالى . **ولست أرغب أو أعتزم أن أكشف فيه عن خبايا قلبى ، فهناك مسائل يروقنى أن أستبقيها سرا لنفسى ، اذ ليس فى وسع انسان أن يقول عن نفسه الحقيقة الكاملة ! .. ولقد روى «روسو» فى «اعترافاته» أحداثا هزت مشاعر الجنس البشرى ، ولكنه اذ وصفها أضفى على مواهبه وقيمه رواء زائفا ، ومن ثم جعل لها فى كتابه أهمية فوق ما كان لها فى حياته ! .. ومن الناس من لا يلقى بالا الى أعماله الطيبة ، وفى الوقت نفسه يعيش معذبا بأعماله السيئة .. وهذا هو النوع الذى يكتب غالبا عن نفسه !**

فأنا انما أكتب هذا الكتاب لأحرر نفسى من بعض أوهام وهواجس ظلت تحوم فيها أمدا طويلا ، ولست أبغى بذلك اقناع أحد ، بل اننى لا أحفل بما اذا كان الناس يتفقون معى فى آرائى ، فاننى بالطبع أرى نفسى على صواب وحق ـ والا

ما فكرت كما أفكر ! ـ كما اننى أرى الآخـرين على خطأ ، ولا يضيرنى أن يكونوا مخطئين ٠٠ لا ولا يضايقنى أن أرى تقديرى يختلف عن تقدير الاغلبية ، فان لى فى ادراكى الغريزى ثقة !

وأنا مضطر الى أن أمضى فى كتابتى كما لو كنت شخصا ذا أهمية ! ٠٠ واننى لكذلك فعلا ، فى نظر نفسى عـلى الأقل ٠٠ فأنا لدى نفسى أهم شخص فى الدنيـا ، وأن كنت لا أنسى انى ـ من وجهة نظر الادراك العام ـ شخص عديم الاعتبار ، وما كان ليطرأ على الكون أى تغير لو اننى لم أظهر فى الوجود ! ٠٠ ومع اننى قد أنحو فى كتابتى أحيانا الى اعتبار بعض مؤلفاتى خليقة بأن تكون ذات قيمة ومغزى ، الا ان هذه الاهمية انما ترجع الى الحديث الذى أتحدث عنها فى سـياقه ٠٠ ذلك انى **أرى الخلود ـ بالنسبة للانتاج الأدبى ـ لا يدوم لأكثر من بضع مئات من السنين بأية حال ٠ وما أعذب أن يفكر المرء فى ان مؤلفاته قـد تظل مقروءة مستساغة لبضعة أجيال، وأن تجد لها مكانا ـ مهما يكن ضئيلا ـ فى تاريخ الأدب في بلاده ! ٠٠ والواقـع اننى رأيت في حياتي كتابا أثاروا ضجة فى عالم الأدب ، أكثر ممـا أثرت أنا ، ثم لم يلبثوا أن غاصوا فى بحر النسيان**

واذا كنت أتحدث فى الصفحات التـالية عن آرائى كما لو كانت نظريات ثابتة ، فانمـا أفعل ذلك لأنى أرى من الممل أن أقرن كل عبارة بكلمة « أرى » أو « أعتقـد » ٠ عـلى ان كل ما سأقوله ليس سـوى رأيى الخاص ، وللقـارىء أن يتقبله أو يرفضه !

أمى كانت فاتنة ٠٠ وأبى كان بشعا !

◆ عندما بدأت الكتابة ، أقبلت عليها كما لو كانت أمرا طبيعيا للغاية ٠ أقبلت عليها اقبال البط على الماء ! وماتغلبت قط على عجبى من أننى أصبحت كاتبا ، اذ ان أسرتى ظلت أكثر من مائة عام تمارس القانون ٠ وكان جدى أحد مؤسسى جماعة القانون المتحدة ٠ وقد سمعت انه كان فظا ، وانه كان أقبح الناس شكلا وأضمرهم عودا ٠٠ ولو صح هذا لكان الرسام الذى رسم له الصـورة

التى مازالت فى مبنى جماعة القانون المتحدة قد أسرف فى مجاملته !

وقد مات والداى فى صباى : ماتت أمى وانا فى الثامنة من عمرى ، وأبى وأنا فى العاشرة ٠٠ فكل ماأعرفه عنهما وصل الى من أحاديث الناس !٠٠ ولقد نزح أبى الى باريس ـ ولست أدرى السبب ، اللهم الا اذا كان مثل ابنه لا يستقر فى مكان ، بحثا وراء المجهول ! ـ وما لبث أن غدا مستشارا قضائيا للسفارة البريطانية ٠ وكان رحالة ، كثير الاسفار ـ بالنسبة لاهل زمنه ـ يقتنى مكتبة حافلة بكتب الرحلات ، وتحفا أحضرها من طنجة وروودس وتركيا ٠ وقد كان فى الاربعين حين تزوج من أمى ، التى كانت تصغره بعشرين عاما ، وكانت فائقة الجمال ، فى حين انه كان بشع الشكل ! وقد سألتها مرة « ليدى انجليس » صديقتها الحميمة : « انك جد جميلة ، وما أكثر من يعشقونك ، فلماذا تتشبثين بالوفاء لرجل قبيح الشكل ضئيل الجسم ؟ » ٠٠ فأجابتها أمى : «لأنه لايؤذى مشاعرى قط » !

وكانت مشغوفة بقراءة القصص الطويلة ٠٠ وقد عانت من التدرن الرئوى ٠ وما زلت أذكر صفا من اناث الحمير كان يقف أمام دارنا ، ليزودها باللبن الذى كانوا يظنونه فى ذلك العهد نافعا فى علاج ذلك الداء !٠٠ ولقد خطر لها ، حين أدركت ذات يوم انها لن تعمر طويلا ، ان أولادها قد لا يعرفون شكلها بعد موتها ، فدعت وصيفتها ، وارتدت ثوبا للسهرة من الحرير الابيض، وذهبت الى مصور!٠٠ وقد أنجبت ستة أطفال ، وماتت وهى فى فراش الوضع ، اذ كان أطباء تلك الحقبة يرون ان انجاب الاطفال يفيد المصابات بالسل ـ (كذا !) ـ وكانت عند وفاتها فى الثامنة والثلاثين !

ولدت وقضيت صباى فى باريس

◆ وغدت وصيفتها مربيتى بعد موتها ٠ وكانت لى من قبلها ـ وبعدها ـ مربيات فرنسيات ، كما انى بدأت دراستى فى مدرسة فرنسية ، فكان محصولى من الانجليزية ضئيلا ! وما لبثت أن سحبت من المدرسة الفرنسية لأتلقى دروسا يومية فى مسكن القس الانجليزى الذى كان يرعى الكنيسة الملحقة بالسفارة ٠ وكانت طريقته فى تعليمى الانجليزية ان يجعلنى أقرأ الانباء البوليسية من الصحيفة بصوت عال ٠ وما زلت أذكر الذعر الذى كان يتولانى وأنا أقرأ فى جزء تفصيلات جريمة وقعت فى القطار بين باريس وكاليه مثلا !٠٠ ولابد انى كنت اذ ذاك فى التاسعة من عمرى ٠ وقد ظللت أمدا طويلا لا أحسن النطق بالكلمات بلغتى الانجليزية !

وهكذا قدر لى أن اضطر الى تعليم نفسى بنفسى ٠ ولقد راجعت القصص التى كتبتها وأنافى صدر الشباب، لأكشف الاتجاه الطبيعى الذى كان لى قبل ان أضيف الى كتابتى التفكير والتأمل، فتبينت أن أسلوبى كان يتميز بعجرفة لعل مردها الى صغر



سني ونزقي ! على انه لاح لى اننى أوتيت لباقة طبيعية ومقدرة على تأليف الحوار السلس ، حتى ان « هنرى ارثر جونز » ـ وكان كاتبا مسرحيا معروفا ـ قال لأحد الاصدقاء اننى مع مضى الوقت قد أغدو من أكثر كتاب المسرحيات فى هذا العصر توفيقا • وأظنه لاحظ فى أسلوبى اتجاها مباشرا الى القصد ، وطريقة فعالة فى تصوير المنظر الذى تتمثل فيه روح المسرح • وكان أسلوبى عاديا ، ومحصولى من الكلمات محدودا ، ومعرفتى بالنحو والصرف هزيلة ، وعباراتى مفككة •• غير ان الكتابة كانت غريزة فى نفسى بدت لى أمرا طبيعيا كالتنفس ! ولم تكن تصدنى عنها محاولات تقدير ما اذا كنت أجيد الكتابة أو لا أجيدها • ولم يخطر ببالى الا بعد سنوات ان الكتابة فن رفيع يحتاج حذقه الى عناء !

وقد أوصلنى الى هذا الاكتشاف ما كنت ألاقيه من صعوبة فى شرح ما أقصد اليه من معان على الورق • كنت أكتب الحوار بطلاقة ، فاذا تعرضت لصفحة من الشرح ، وجدتنى أتعثر ! •• ولما لم يكن هناك من يساعدنى ، فقد حملت نفسى على أن أكثر من المطالعة •• فقرأت « المقاصد » و « صورة دوريان جراى » ، وبهرنى رواء الكلمات المنمقة التى كانت ترصع صفحات « سالومى » بغزارة •• وأذهلنى فقر ثروتى من الكلمات ، فسعيت الى المتحف البريطانى حاملا ورقا وقلما ، وأخذت أنقل أسماء الجواهر النادرة • ولكن لحسن الحظ ، لم أجد فرصة لاستعمالها • وحفظت كتاب « الموت القدسى » لجيريمى تايلور ، وكنت أنقل فقرات منه ، ثم أحاول أن أكتبها من الذاكرة لأستوعب أسلوبه !

انتاجى الأول كان عن « الاندلس » !

◆ وكانت أولى ثمار هذا الجهد كتيب عن الاندلس ، أسميته « بلاد العذراء المباركة » ، وقد أتيح لى منذ أيام أن أقرأ بعض أجزاء منه كى أنقحها ، ولكن سرعان ما تبينت أن هذا محال !

ولست أدرى أكان شعورا داخليا هو الذى أوحى لى بأن النثر المتكلف لايتفق وذوقى ، أو كان طابع تفكيرى هو الذى قادنى الى أن أوجه اهتمامى الى كتاب عصر النهضة •• كان نثر « سويفت » يسحرنى ، فقررت ان هذه هى الطريقة المثلى

للكتابة وشرعت أحفظ كتابات « سويفت » ، وأنقل بعض فقراتها وأحاول أن أكتبها من الذاكرة كما فعلت من قبل ٠٠ وحاولت ان ابدل الكلمات او ان أغير ترتيبها ، فلم أجد الا الكلمات التى استخدمها « سويفت » هى الوحيدة الممكنة ، وانتهيت الى أن الترتيب الذى صاغها فيه هو الترتيب الوحيد الممكن !

وكان الجهد الذى بذلته جد مفيد لى ، اذ بدأت أكتب فى اجادة أفضل من ذى قبل ٠ وحاولت أن أجعل لعباراتى قالبا خاصا ، ولكننى لم افطن الى ان ما كان يبدو طبيعيا مستساغا فى بداية القرن الثامن عشر ، يبدو غير طبيعى - بل متكلفا - فى بداية قرننا ! ومن ثم اقتصرت يومئذ على تأليف بضع مسرحيات ، وكففت عن أن أشغل نفسى بشىء سوى الحوار ٠ فقد كنت ارغب فى أن أكتب دون ما عثرات لغوية ، بل انى حرصت على أن لا أسرف فى استعمال الكلمات ، واردت أن أقتصر على تسجيل الوقائع فحسب ، وشرعت أسعى نحو هدف مستحيل ، هو أن لا أستخدم فى كتابتى صفات على الاطلاق ٠ اى أن كتابى - كما تصورته - كان خليقا بأن يشبه برقية طويلة هائلة ، اهملت فيها الكلمات غير الضرورية بغية الاقتصاد فى نفقات ارسالها !

ولقد كتبت منذ تلك الايام كثيرا من الكتب ، ومع أنى كففت عن دراسة الأعمال الأدبية القديمة ، الا أننى ظللت أعمل فى داب متواصل على محاولة تحسين أسلوبى ٠ وما أن اكتشفت امكانياتى وحدودى ، حتى بدا لى أن الشىء المعقول الوحيد هو أن أسعى كى أصل الى أبدع ما استطيع فى نطاق هذه الحدود ! ٠٠ كنت أدرك أننى لم أوت موهبة الشعر ، وأن محصولى من الكلمات صغير ، وما منحته من مقدرة على الاستعارة والمجاز بسيط ، وان الخيال الشاعرى فوق مقدورى ! كان فى وسعى أن أعجب بذلك فى انتاج سواى ، ولكن قدرتى على الابتكار كانت تقصر بى عنها ٠ وقد سئمت فى النهاية محاولة ما لم يغد لى طبعا ! ٠٠ على أننى فى مقابل ذلك قد أوتيت قوة ملاحظة حادة ، بحيث يخيل الى أن بوسعى أن أرى أشياء كثيرة يغفلها سواى ! وقد كان بوسعى دائما أن أسجل ما أرى فى عبارات واضحة ، ومنطق سليم ، وكلمات حية ذات وقع ، وان لم تكن جذلة ، تمتاز بالغرابة والتنميق !

الوضوح والبساطة هما طابعا اسلوبى

◆ ولم تكن لى قط طاقة على احتمال الكتاب الذين يطالبون القارىء بأن يبذل جهدا لفهم معانيهم ٠٠ فكثيرا ما يكون الكتاب غامضين فى كتابتهم ، لا لشىء الا لأنهم لم يجشموا أنفسهم عناء تعلم الكتابة بوضوح ! ذلك أنه اذا كان هذا الاسلوب الغزير المنمق موهبة لا تتاح لكل امرىء ، فان البساطة أيضا ليست فطرة ، بل لا بد من مران شاق للوصول اليها ٠٠

واهمية ما للعبارات من وقع ونغم بالنسبة اليك تتوقف على حساسية أذنك . فكم من قراء ، وما أكثر الكتاب المجيدين ، الذين حرموا هذه الحساسية . وانا لنرى الشعراء ينساقون الى الاقتناع بأن تكرار نغم خاص يضفى لونا من الرواء ، ولكنى لا ارى هذا بالنسبة للنثر .. بل اننى أرى السجع والجناس اذا استخدما عمدا فى النثر ، كان لهما فى الاذن وقع غير مستحب .. ان للكلمات وقعا ، ونغما ، ومظهرا .. وبمراعاة هذه الاعتبارات الثلاثة تستطيع أن تكتب عبارة جيدة .. بالنسبة للعين والسمع .. على أننى لا أكتب ما احب ان أكتب ، وانما أكتب ما أستطيع أن أكتبه..فانك اذا استطعت أن تكتب فى سلاسة ، وبساطة ، وعبارات متناسقة النغم ، بلغت الكمال فى الأسلوب . ولكن المغالاة فى مراعاة النغم – وفى تعمد السجع والجناس – خطر ، اذ قد ينتهى الى « بهلوانية » مضنية .. ذلك لأن الاسلوب الجيد يجب أن لا يكشف عن أى جهد أو عناء ، بل يجب أن يبدو ما يكتب كمصادفة سعيدة ترد عفوا ! وعلى هذا الضوء لا أرى فى فرنسا اليوم من يكتب بأسلوب أروع من أسلوب « كوليت » (١)

وقد قرأت أن « أناتول فرانس » حاول أن لا يستخدم سوى أسلوب وعبارات كتاب القرن السابع عشر ، الذين كان يعجب بهم . ولست أدرى ان كان هذا صحيحا ، فان صح فهو يبرر انعدام الحيوية فى كتابات « فرانس » الجميلة ، البسيطة .. اذ على المرء أن يكتب بلغة عصره ، لأن اللغة حية ، متطورة ، دائمة التبدل والتغير . وأعتقد أن علينا – معشر المؤلفين الانجليز – أن نتعلم من زملائنا الامريكيين ، الذين تخلصوا من لغة الترجمة المعتمدة للتوراة ، وكانوا أقل تأثرا بأساطين اللغة القدماء الذين تؤلف تحفهم جزءا من ثقافتنا !..وهؤلاء الامريكيون قد صاغوا أسلوبهم من الكلام الحى الذى يحيط بهم ، ولعلهم لم يفطنوا الى ذلك !

رغم نقائصى فقد استغللت حياتى الى أقصى حد !

◆ وكثيرا ما أسائل نفسى : أوما كنت أصبح كاتبا أفضل مما أنا الآن ، لو كنت كرست حياتى بأسرها للأدب ؟ .. لقد انتهيت فى مرحلة متقدمة من عمرى – وان لم أذكر فى أى سن كنت – الى أن المرء لم يؤت سوى عمر واحد ، ومن ثم يجب أن يستغل هذا العمر الى أقصى ما يستطيع !.. ولم يبد لى أن الاقتصار على الكتابة كاف ، فقد أردت أن أصوغ حياتى بحيث تكون الكتابة عنصرا أساسيا فيها ، على أن يكون الى جوارها كافة ألوان النشاط التى يستطيعها الرجل ، وعلى أن يأتى الموت فى النهاية خاتمة تكملها . وكنت جم النقائص : ضئيل الجسم ، أوتيت قوة جلد ولكنى لم أوت قوة بدنية .. وكنت أتلعثم ، كما

---

(١) كتابى : (ماتت كوليت فى العام الماضى ، وقد قدمت لك فى كتابى اثنتين من رواياتها ، هما : «شيرى» و «جيجى»)

كنت خجولا ، معتل الصحة ، لم أحظ بشىء من المهارة فى الالعاب التى تشغل قسطا كبيرا من الحياة العادية للانجليز ·· وكنت أشعر بازورار عن الرجال الذين فى مثل سنى ، مما جعل من العسير أن آلفهم ويألفونى ! ·· ولقد أحببت من الناس أفرادا ، ولكنى ابدا لم أحفل بالناس فى مجموعهم · ومع أنى تعلمت على مر السنين ان أصطنع جوا من الود اذا ما اضطررت الى الاتصال بشخص غريب ، الا انى لم أبد ميلا لشخص ما من أول نظرة ، ولم أبادر يوما بالكلام شخصا لم أعرفه من قبل ! ·· وكان ضعف بنيتى حائلا دون أن استمتع بالمجالس التى يجمع الكحول شملها ، فقبل أن أبلغ درجة الانتشاء التى تمكن الكثيرين من أن يشعروا بالهناءة ويعتبروا كل البشر اخوة ، تثور معدتى !·· وكل هذه مساوىء بالنسبة للكاتب ، وللرجل ·· على أننى كنت مضطرا الى أن أرضى بها ، وان أفيد منها !

لقد رأى الفيلسوف « ارسطوطاليس » - فى بحثه عن وظيفة الانسان - انه يشترك مع النبات فى النمو ، ومع الحيوان فى الحس ، ولكنه ينفرد بالعقل ، ومن ثم فوظيفته هى النشاط الروحى · ولقد اعتاد الفلاسفة وعلماء الأخلاق أن ينظروا الى الجسد فى ارتياب وامتعاض ، قائلين ان اشباع رغباته متاع عابر لا يدوم طويلا ·· لكن الواقع أن المتعة لا يقلل من كونها متعة انها لا تبقى الى الابد ! ·· ومن ثم رأيت من عناصر النهج الذى رسمته لحياتى أن أجرب كافة ملاذ الحس ، دون أن أخشى الافراط ·· فان الافراط يحول دون أن يستمر الاعتدال حتى يصبح عادة مملة ·· والروح تكون أكثر حرية فى الغالب اذا ما انتشى الجسد باللذة ·· اذ أن النجوم تبدو من المستنقع أكثر بريقا مما اذا رؤيت من فوق قمة التل··وليست بك حاجة الى أن تجوع كى تستمتع بلحم الخراف فى العشاء !

آثامى علمتنى التسامح مع الغير !

◆ على أن المرء اذا ما اختار لنفسه مهنة ، لا يلبث أن يفقد حريته ·· اللهم الا الفنان ، فهو يستطيع - فى حدود معينة - أن يشكل حياته وفقا لما يشتهى ·· وربما كانت للمجرم هذه القدرة أيضا !

ولقد كانت لى أغلاط عديدة ، ضخمة · وفى بعض الأحيان وقعت ضحية لشرك يتعرض له الكتاب بوجه خاص ، وهو أن أقوم فى حياتى ببعض تصرفات الأبطال الذين ابتكرتهم فى قصصى ·· فحاولت اتيان أمور كانت غريبة عن طبيعتى ، وتورطت فيها لأن غرورى كان يحول دون أن أعترف بالهزيمة ! ·· كما أبديت اهتماما كبيرا بآراء الغير ·· وضحيت من أجل أشياء لا تستحق ! ·· ومن ناحية أخرى ارتكبت فى حياتى أمورا أعجز - بحكم ضميرى المرهف - عن نسيانها تماما ! ·· ولست نادما عليها ، لأنى أعتقد أننى مدين لأخطائى الجسيمة بما

تعلمت من تسامح مع الغير .. فلقد كنت فى شبابى متعصبا فى التمسك بالأمانة والاستقامة والصدق ، فلم أكن أعذر أو أغفر لمن يحيد عنها !

وانه ليدهشنا لأول وهلة أن نرى عيوبنا تبدو لنا أقل بشاعة من عيوب الغير .. ولعل السبب هو أننا نعرف كل الظروف التى أدت الى هذه الاخطاء ، ومن ثم نلتمس لأنفسنا العذر فى ما لا نعذر فيه الغير ! وعلى ضوء ما أعلم ، أرانا على صواب فى ذلك ، لأن أخطاءنا جزء منا ، ولا بد أن نتقبل ما فى أنفسنا من سوء مثلما نتقبل ما فيها من خير . ولكنا حين نحكم على الغير لا يصدر حكمنا فى الواقع من أنفسنا ، وانما يصدر من صورة زائفة رسمناها لأنفسنا ومحونا منها كل ما يؤذى غرورنا أو يحط من قدرنا فى أعين العالم !

ولست أدرى كيف لا يخجل أى امرىء من أن يصم سواه بالعيب ، وهو يتأمل أفكاره المكنونة .. ان قسما كبيرا من حياتنا تملؤه الاحلام والتخيلات ، فكم شخص منا يجرؤ على أن يواجه أحلامه لو أنها سجلت من تلقاء نفسها وعرضت عليه ؟ .. ان الناس ينسون الافكار البشعة التى تجول فى خواطرهم ، ويحسون باستنكار اذا هم اكتشفوها لدى سواهم ! .. ولقد روى « جيته » انه فى شبابه لم يطق أن يتصور أن أباه كان محاميا من أبناء الطبقة الوسطى ، اذ كان يرى أن الدم النبيل العريق يجب أن يجرى فى عروقه ! ومن ثم سعى لاقناع نفسه بأن أحد الأمراء لا بد قد مر أثناء ترحاله ، بالمدينة التى كانت تقيم فيها أمه ، فأحبها ، وانه كان ثمرة هذا الحب ! .. ولقد ثار البعض واستنكروا أن يقذف شاعر عظيم مثل « جيته » عفة أمه ، ليثبت فى غرور عراقة أصله ! .. ولقد كان هذا معيبا حقا ، ولكنه لم يكن شيئا غير طبيعى أو غير عادى . فقليلون هم أولئك الصبية الخياليون ، أو ذوو التفكير المتمرد ، الذين لم يحوموا حول فكرة أنهم لا يمكن أن يكونوا أبناء لآبائهم الخاملين ، أو الأغبياء ، رغم مكانتهم هم الرفيعة !!

ولقد وصفت بأننى ساحر ، واتهمت بأننى أظهر الناس فى صور أسوأ مما هم عليه ! وما أظننى فعلت ذلك . كل ما فعلته هو أننى أبرزت معالم يغمض كثير من الكتاب أعينهم عنها . فلقد استرعى التناقض الذى يشوب سلوك الناس اهتمامى ، ولكنى لا أعتقد أننى غاليت فى اظهاره أكثر مما ينبغى . ولعل النقد الذى وجه لى من آن الى آخر يرجع الى أنى لم أستنكر نواحى السوء فى نفوس الشخصيات التى ابتكرتها ، ولا أثنيت على الخير الذى يكمن فيها . وقد يكون عيبا فى أننى لم أفجع قط لزلات الغير ما لم تكن تمسنى شخصيا ، وحتى اذا مستنى فقد تعلمت كيف ألتمس لهم العذر بصددها فى النهاية .. وأعتقد أننى كنت خليقا باللوم لو كنت اقتصرت على رؤية زلات الناس وعميت عن فضائلهم .. أما وأنا لا أملك أن أقيم من نفسي حكما على زملائى

البشر ، فانى أقنع بمشاهدتهم وملاحظتهم · وقد قادتنى الملاحظة الى الاعتقاد ـ اجماليا وبوجه عام ـ بأن ليس بين الخير والشر مثل تلك الفوارق التى يحاول علماء الأخلاق أن يحملونا على أن نؤمن بوجودها !

دراسة الطب هى أعظم مدرسة للكاتب !

◆ لم أكن سعيدا فى المدرسة الاعدادية التى ألحقت بها بعد وفاة أبى ·· وتضاعف شعورى بالتعاسة يوم اضطرنى المرض الى أن أقضى أحد فصلى العام الدراسى ـ وأنا فى الثالثة عشرة من عمرى ـ فى جنوب فرنسا · كانت أمى وخالتى الوحيدة قد ماتتا بالسل ، فلما تبين أن رئتى كانتا مصابتين بنفس المرض ، جزع عمى وزوجته · وعندما عدت الى المدرسة لم أحبها ، اذ كان أصدقائى قد سبقونى فى الدراسة وشغلوا عنى ، وكان أستاذ الفصل يرهقنى بتعسفه··ومن ثم أقنعت عمى بأن من الخير لرئتى أن أقضى الشتاء فى (الريفييرا) ، ثم أذهب الى ألمانيا حيث أواصل دراستى تمهيدا للالتحاق بجامعة (كمبريدج) · وكان عمى ضعيفا لينا ، وحججى قوية دامغة ! ·· كما آزرتنى امرأة عمى اذ كانت ألمانية ! ·· على أننى عندما عدت من ألمانيا ـ وقد بلغت الثامنة عشرة ـ كان عزمى قد استقر على آراء معينة بصدد مستقبلى ، اذ كنت قد تذوقت الحرية للمرة الأولى ، فلم أطق التفكير فى قيود (كمبريدج) · واتجه التفكير الى الحاقى بوظيفة حكومية ، فلما لم يتسن ذلك ، تقرر نهائيا أن أصبح طبيبا

ولم تكن مهنة الطب تروق لى ، ولكنها كانت تتيح لى فرصة الحياة فى لندن ، واكتساب ما كنت أنشد من خبرة بالحياة ، فالتحقت بكلية مستشفى « سان توماس » فى خريف سنة ١٨٩٢ · ولم أول دراستى فى العامين الأولين الا القدر الذى مكننى من اجتياز الامتحانات ، اذ كنت أنفق كل فراغى ـ وشطرا من الوقت الذى كان يجب أن أخصصه لدراساتى الطبية ـ فى القراءة والكتابة ! ·· ولكنى حين عملت بالعيادة الخارجية بعد عامين ، بدأت أشعر باهتمام بمهنة الطب ·· وازداد هذا الاهتمام حين عملت فى عنابر المرضى ، فقد أصبحت على اتصال بأهم ما كنت أنشده بالحياة ، والمواد الخام لكتاباتى ! ولا بد أننى ـ خلال السنوات الثلاث التى قضيتها فى المستشفى ـ استطعت أن أشهد كل نوع من المشاعر التى تخالج الانسان : رأيت كيف يموت الناس ، وكيف يحتملون الألم ، ورأيت شكل الأمل ومظهره ·· والخوف ·· والارتياح ·· وخطوط اليأس الداكنة حين ترتسم على الوجه ·· والشجاعة ، والرزانة ·· رأيت كيف يشع الايمان فى عيون أولئك الذين كانوا يؤمنون بما كنت أراه مجرد وهم ·· ورأيت البسالة التى تجعل الانسان يستقبل خلجات الموت فى سخرية ، لأن كبرياءه تمنعه من ان يظهر أى ضعف أمام من يحيطون به !

ولست أعرف مرانا للكاتب أفضل من أن يقضى بضع سنوات فى مهنة الطب !

٠٠ انك قد تعرف الكثير عن الطبيعة الانسانية فى مكتب المحامى ، ولكنك تلتقى هناك بأناس كاملى السيطرة على أنفسهم ٠ أما الطبيب – وطبيب المستشفى بوجه خاص – فيستطيع أن يرى طبيعة الانسان عارية ، مجردة ٠٠ اذ أن الخوف يصدع كل تظاهر وتكلف !

على أنك ما لم تؤت العينين اللتين تريان ، فلن تتعلم شيئا ! ٠٠ اذ ينبغى أن تكون متفتح الذهن ، وأن تكون مهتما بالمخلوقات البشرية ٠ ولا أستطيع أن أنكر أنى أعتبر نفسى محظوظا فى هذا المجال ، لأننى – رغم ازوراري عن الناس – لم أسامهم قط ، ولم أحفل بما اذا كانوا يميلون الى أو لا ، وانما اعتدت أن أصغى اليهم وأجيد الاصغاء ، دون أن أتكلم ٠٠ فلست أحب أن أفضى للغير بما لدى من معرفة !

ولست أزعم أن السنوات التى قضيتها فى مستشفى « سان توماس » قد زودتنى بمعرفة تامة بطبيعة البشر ٠ بل لست أرى فى وسع أحدان يزعم أنه أوتى هذه المعرفة ٠ ولقد قضيت أربعين عاما أدرس الطبيعة البشرية ، عمدا وعن غير قصد ، ومع ذلك فما زلت غير مطمئن الى أننى عرفت الناس ! ٠٠ بل ما زلت أراهم غير جديرين بأن أطمئن اليهم ! ٠٠ وانى لأوثر أن أتوقع منهم فعل الشر على أن أتوقع منهم عمل الخير ! وهذا هو الثمن الذى ينبغى على من أوتى روح اللطف والفكاهة ان يدفعه ٠ فان هذه الروح تقودك الى ان تستمتع وتتفكه بما ترى فى طبيعة البشر من تناقض ، كما تقودك الى أن لا تثق فى جلائل الاعمال ، بل تبحث عما وراءها من حوافز غير طيبة ! ٠٠ ثم أن روح الفكاهة تعلمك التسامح ، لأنك تقنع بتفهم دوافع تصرفات الناس ، فترثى لهم وتصفح عنهم ، بدلا من أن تحاول الحكم على قيمة هذه التصرفات من الناحية الخلقية ! ٠٠ ولقد اعتدت منذ التحقت بمستشفى « سان توماس » أن أرى الناس كما رأيتهم اذ ذاك ، وأن أرسمهم على تلك الصورة ٠٠ فانى أوثر دائما أن أستعين فى الشخصيات التى أرسمها بنماذج حية !

الحب « حيلة » نسجتها الطبيعة لبقاء النوع !

❖ والى جانب ما أمدنى به تعلم الطب من معرفة بطبيعة البشر ، فانه زودنى ببعض المعرفة بأصول العلم وأسلوب البحث فى ميدانه ٠٠ فقد كانت دنيا العلم التى أفسحت لى دراسة الطب ثغرة لألقى نظرة عليها ، دنيا « مادية » ٠٠ وسرنى أن أكتشف أن ذهن الانسان ، الذى هو نتاج أسباب طبيعية ، ليس غير وظيفة من وظائف المخ ، تخضع كباقى أعضاء الجسم لقوانين الأسباب والآثار – أو المسببات والنتائج – التى تشبه بدورها القوانين التى تخضع لها حركات النجوم والذرات ٠٠ وفى حماسة الشباب واندفاعه أعجبت بنظرية « البقاء للأصلح » ٠٠

وداخلنى اعتقاد بأننا حيوانات ضئيلة ، واقعة تحت رحمة قدر لا يعرف الشفقة ٠٠ واننا مسوقون الى الاشتراك فى صراع لا ينقطع من أجل البقاء ، دون أن يكون ثمة ما نتطلع اليه فيما بعد سوى ٠٠ الهزيمة !

وتعلمت أن الناس لا يصدرون فى تصرفاتهم الا عن أنانية ٠٠ وان الحب « حيلة خسيسة » نسجتها الطبيعة لبقاء الأجناس والانواع ! ٠٠ وكنت أرى الدنيا تسير من سىء الى أسوأ ، فلذ لى التفكير فى أن العالم سوف يصير الى جيل تكون فيه العلوم والفنون والحرف نسيا منسيا ، ويلتف فيه الانسان بجلود الحيوان ، منكمشا فى الكهوف ، يرقب اشتداد البرد واقتراب ليل الأبدية ! ٠٠ وهكذا كنت متطرفا فى تشاؤمى ٠٠ ومع ذلك فانى ، بما أوتيت من نشاط وافر، كنت أغترف من مباهج الحياة !

ولقد أوتيت عقلا منطقيا صافيا ، ولكنه ليس قويا كما يجب ، وكم صبوت الى أن يتحسن ! ٠٠ فلقد كنت ألقى عناء وعنتا لأنه يعجز عن أن يحقق لى ما فوق ما يتسع الوقت لكتابته ! ٠٠ بل اننى لأذهب الى القول بأنى لا أستطيع يعوزنى قط موضوع لكتابتى ٠٠ وانما كنت أملك فى رأسى دائما من القصص فوق ما يتسع الوقت لكتابته ! ٠٠ بل اننى لأذهب الى القول بأنى لا أستطيع أن أنفق ساعة فى صحبة امرىء ما دون أن أجمع مادة تكفى لكتابة قصة واحدة مستساغة ٠٠ على الأقل !

على أننى رغم ما لدى من تنوع الابتكار ـ وهو أمر ليس بالغريب لأنه ناشىء عن تنوع البشر الذين أصورهم ـ لم أوهب من قوة الخيال سوى قدر بسيط ٠ لقد اعتدت أن أستوحى شخصياتى من الأحياء ، وأضعهم فى المواقف المحزنة أو المضحكة التى توحى بها طباعهم وخصالهم ٠ بل اننى خليق بأن أقول أنهم هم الذين ابتكروا قصصهم التى كتبتها ! ٠٠ ولكننى عجزت دائما عن تلك «الشطحات» التى تحمل المؤلف على أجنحة الخيال الى أجواء سماوية ٠٠ فلقد كان خيالى دائما يتعثر فى حفرة ادراكى لما هو محتمل ، وما لا يحتمل !

انغمست فى القراءة ٠٠ ثم انغمست فى الحياة !

• وتتمثل قيمة الثقافة أول ما تتمثل فى تأثيرها على الشخصية ، فهى لا تساوى شيئا الا اذا ارتقت بالشخصية وعززتها ٠٠ فمن الوجهة النظرية ، ليس فى قراءة ألف كتاب ما يفوق فى الميزة حرث ألف حقل ! ٠٠ اذ العبرة فى الحالين بالمعرفة الخاصة : المعرفة بالقراءة ، والمعرفة بالحرث ! ٠٠ فكل انسان ادرى بعمله ، ومن الحماقة ان يظن المثقف ان معرفته هى

المعرفة الحقة .. فان الحق ، والخير ، والجمال ، ليست بالمعانى القاصرة على اولئك الذين تعلموا فى مدارس غالية النفقات ، وترددوا على المكتبات ، وارتادوا المتاحف !

لقد كنت أعرف الفرنسية والألمانية وقسطا من الايطالية وأنا فى الثامنة عشرة من عمرى ، ومع ذلك فاننى لم أكن متعلما الى درجة تذكر ، بل كنت شديد الشعور بجهلى ، فأخذت أقرأ كل ما يصادفنى .. وأظن أن هذا اكسبنى قدرا من المعرفة العامة يفيد كل روائى . وكان شغفى ونهمى أكبر من أن يسمحا لى بأن اخصص وقتا متسعا للتفكير فيما قرأت .. كنت لا أكاد أفرغ من كتاب ، حتى ابدأ غيره ، فى لهفة أى شاب يذهب الى مباراة رياضية ، أو أية فتاة تذهب الى مرقص !.. ويسألنى الصحفيون – من آن الى آخر – عن أحفل لحظات حياتى بالانفعال وجيشان العواطف .. ولولا الخجل لقلت لهم انها اللحظة التى بدأت اقرأ فيها « فاوست » لجيته !.. بل انى ما زلت حتى الآن احس أحيانا بالدماء تلهث فى عروقي وانا اقرأ الصفحات الاولى من أحد الكتب .. فالقراءة بالنسبة لى ترويح عن النفس ، كالحديث ولعب الورق لدى سواى !.. بل هى أكثر من هذا ، انها ضرورة ، ولو حرمت منها فترة ما لتولانى ما يتولى المدمن اذا حرم من المخدر !

وهكذا عشت اقرأ واقرأ ، حتى شعرت بأن العمر ينقضى ، وان مهمتى هى أن أعيش .. وعندئذ خرجت الى الدنيا لاننى رأيت ذلك امرا ضروريا ، لكى أجمع الخبرة التي لا استطيع بدونها أن أكتب !.. لكننى كنت انشد التجربة ايضا من أجل التجربة ، اذ لم أر كافيا لى أن أغدو كاتبا فحسب ، وانما كان النهج الذى رسمته لحياتي يطالبني بأن أقوم بأكبر دور استطيع القيام به فى هذه المغامرة الخيالية العجيبة .. مغامرة أن أكون انسانا!..أردت أن اشعر بالآلام المعهودة ، وان استمتع بالملاذ المشتركة التى تكون جزءا من نصيب الانسان العادى فى الحياة!

ولنعد الى القراءة ، لأقول انني رغم كثرة ما قرأت ، أعتبر نفسى قارئا رديئا ٠٠ ذلك لأنى اقرأ ببطء ، ولا استطيع القفز بين السطور ٠٠ كما انه يشق على أن أترك كتابا قبل أن أفرغ منه ، مهما يكن رديئا ومهما يكبدنى من ضجر ! ٠٠ ثم اننى لا اقرأ كتابا بدافع الحب له ، وانما اقرأه من أجل عملى ومنفعتى ٠٠ فليس من شأنى ان أحكم على الكتاب الذى أطالعه ، وانما انا انصرف الى استيعاب ما استطيع استيعابه منه ، واطرح ما لا قدرة لى على هضمه وامتصاصه ٠٠ فأنا لست عالما ، ولا طالبا ، ولا ناقدا ، وانما أنا كاتب محترف ، لا اقرأ الا ما ينفع مهنتى ٠ ولا حاجة بكاتب القصة الى أن يكون خبيرا بأى موضوع ، عدا موضوع مهنته ! ٠٠ ومن ثم فعلى الروائى أن يلم بقدر من المسائل الكبرى التى تشغل بال الانسان ـ محور مهنته ـ ولكن يكفيه فى ذلك أن يعرف قدرا بسيطا ، عاما ، بحيث يتحاشى التعمق بكل ما فى وسعه من حيلة !

ويجاملنى بعض الشبان المشغوفين بالكتابة ، فيسألوننى أحيانا ان ارشدهم الى بعض الكتب التى ينبغى ان يقرأوها ٠٠ ولكنهم قلما يقرأون ما انصحهم بقراءته ، اذ يبدو أنهم قليلو الشغف بآثار السلف ، فهم لا يعبأون بالمؤلفات القديمة ٠٠ بيد ان للأدب طرزا وأشكالا وأساليب ٠٠ والدراية بمؤلفات الماضى الكبرى تفيد كمعدل أو مقياس صالح جدا لادراك قيمة الأدب المعاصر ٠٠ وانى لأتساءل أحيانا : هل يرجع الى الجهل بالادب السالف ، جدب بعض المؤلفين الشبان ، رغم ما اوتوا من سلاسة وبراعة واساليب فنية ؟ ٠٠ ان الواحد منهم ليكتب مؤلفين أو ثلاثة لا تمتاز بالرواء فحسب ، وانما ايضا بالنضوج ، ثم يكف فجأة عن الكتابة ٠ وليس فى هذا ما يزيد الثروة الادبية للبلاد ! ٠٠ ان الكاتب لا يغدو خصبا منتجا الا اذا جدد نفسه ، ولن يجدد نفسه الا اذا زود روحه بتجارب جديدة ٠ وليس أوفر موردا لتجديد النفس من الاطلاع المثمر على الآثار الأدبية

العظيمة التى ورثناها عن الماضى

شغفت بالأسفار ٠٠ واللغات !

• **مما** لا شك فيه اننى أحب انجلترا ، ولكنى ما أحسست مطلقا بالغبطة لوجودى فيها ! فهى عنــدى بلاد أرتبط فيها بالتزامات لا أحب أن أتحملها،وبمسئوليات ترهقنى وتمضنى!٠٠ وبعض الكتاب قد يجدون الحرية فى اذهانهم ، أما أنا فلأننى أضعف منهم خيالا ، اجد الحرية فى الأسفار !

كنت فى العشرين من عمرى حين زرت ايطاليا لاول مـرة ، لستة أسابيع ٠٠ ثم ذهبت اليها فى العام التالى ٠٠ وفى تلـك الاثناء لم يلبث اسمى أن ظهر ، اذ نشرت رواية لى صـادفت نجاحا غير مرتقب ، فخيل الى أن مستقبلى قد تحدد ، **ومـن ثم هجرت الطب لاغدو اديبا ٠٠ وسافرت الى اســبانيا وأنا فى الثالثة والعشرين ـ ولكن يبدو اننى كنتاكثر جهلا من الشبان الذين فى هذه السن فى أيامنا الراهنة ! ـ وقد الفيت الحيـاة هناك من البهجة بحيث لا ينبغى معها ان اقصر كل اهتمامى على الأدب ٠ وكانت خطتى ترمى الى أن اقضى عاما فى اسبانياأتعلم خلاله الاسبانية، ثم أذهب الى روما لاستكمل معرفتى بالايطالية، واتبع ذلك برحلة الى اليونان حيث اعتزمت أن أتعلم اليونانية الحديثة ـ كتمهيد لتعلم اللغة القديمة ـ ثم ارحل فى النهـاية الى القاهرة لاتعلم العــربية !** ٠٠ ولكنى مغتبط لانى لم أحقق هذا البرنامج ٠ فبعد أن ذهبت الى روما ، عدت ثانية الىأسبانيا، اذ حدث هناك ما لم أكن أتوقعه : أحببت (أشبيلية) والحياة التى نعمت بها فيها !٠٠ فصرت أعود اليها عاما بعد عام ٠ كانت نعمة ان أعيش فى (اشبيلية) وأنا فى زهرة الشباب !٠٠ وكانت النتيجة اننى لم اقرأ « الاوديسة » الا بالانجليزية ، ولم اقرأ « الف ليلة وليلة » بالعربية !

وعندما سادت الطبقــة المثقفة روســيا ، شرعت في تعلم

الروسية ، ولكنى كنت اذ ذاك قد فقدت حماس الشباب ، فلم اوغل فيهـــا الا الى القدر الذى مكننى من قـــراءة مسرحيات « تشيكوف » ، ثم لم البث ان نسيت ما تعلمته منها !٠٠ وانى لأرى الآن أن مشروعاتى هذه كانت نزوات تافهة ، فليست العبرة بالكلمات وانما بمعانيها ، وليس ثمة نفع « روحى » فى أن ألم بست لغات ٠٠ اذ لن يستطيع انسان ان يتقن الحديث بلغة بلد آخر الى درجة الكمال ، وان يعرف اهله وآدابه معرفة وثيقة ، ما لم يقف حياته كلها على تعلم هذه اللغة !٠٠لا أستثنى من ذلك سوى اللغة الفرنسية ، لانها اللغـــــة المشتركة بين المتعلمين،ولان لها أدبا عظيما ـ فان البلاد الاخرى،عدا انجلترا، اوتيت كتابا عظاما اكثر مما اوتيت ادبا عظيما ـ ولان نفوذها الادبى كان يشمل العالم باسره الى ما قبل عشرين عاما مضت !

محاولاتى الأولى فى الكتابة للمسرح

◆ **أعرف** كتابا مسرحيين يترددون على المسارح التى تعرض فيها مسرحياتهم فى كل ليلة ٠٠ وانى لارتاب فى انهم يفعلون ذلك رغبة فى الاطمئنان الى سير المسرحية ، وانما اعتقد انهـم يسعدون بالجلوس بين « الكواليس » وفى غمرة احاديث الوسط المسرحى ٠٠

أما أنا ، فلم أكن قط على هذه الشاكلة ٠٠ **وان كنت لن أنسى المتعة المفاجئة ، المثيرة ، التى استشعرتها وأنا أسمع ـ أثناء عرض مسرحيتى الاولى ـ رجالا ونســـاء كبار السن يرددون السطور التى جرى بها قلمى ! ٠٠ ولذ لى أن أرى كيف ينمـو الدور على يدى الممثل من سطور صامتة جامدة ، الى الشخصية التى رأيتها بعين الخيال وأنا أكتب المسرحية !**

وكم كانت ليالى الافتتاح لمسرحياتى الأولى مفعمـــــة بالقلق والانفعال ! ٠٠ كيف لا وقد كان يتوقف عليها مستقبلى ؟! كنت قد شرعت فى كتابة المسرحيات ، كما هو حال كل كاتب ناشىء،

لأنها لاحت لى أسهل علاجا من الرواية ٠ وكان محور مسرحياتى محوطا بالاكتئاب والحزن ، كما أنها كانت تنتهى بأسى ، وقنوط، وموت ! ٠٠ وكنت قد أتممت خلال العامين أو الثلاثة التالية لرحلتى الى ايطاليا ، عدة مسرحيات قصيرة أرسلتها الى بعض مديرى الفرق ، لكنها ردت الى ثانية ! ٠٠ وقد ثبط هذا من عزيمتى ٠ كان ظفر الكاتب الناشىء بتمثيل مسرحية له اذ ذاك أشق وأصعب مما هو اليوم ٠ وكان المسرح الفرنسى لا يزال مزدهرا ، والاقتباس عن الفرنسية أمرا شائعا ٠٠

وخطر لى ان فرصتى الوحيدة لأصل بمسرحياتى الى المسرح ، هى ان ابنى لنفسى شهرة ككاتب روائى ! ٠٠ فلم اكد انشر روايتين كاملتين ومجموعة من القصص القصيرة الناجحة ، حتى عكفت على كتابة اولى مسرحياتى الطويلة - وكان اسمها : « رجل يعتد بالشرف » - ثم ارسلتها الى ممثل شهير ، فلما ردها الى بعد ثلاثة أشهر أو أربعة ، ارسلتها الى آخر ، فأعادها الى بدوره ! ٠٠ ومن ثم عكفت على تنقيحها ٠ وكنت فى تلك الأثناء قد نشرت روايتين أخريين صادفت احداهما قدرا لابأس به من النجاح ، وأصبحت اعتبر كاتبا ذا مستقبل ، فلما ارسلت مسرحيتى بعد ذلك الى « جماعة المسرح » ، قبلتها دون تردد ٠٠ كما نشرت المسرحية فى مجلة المسرح الاولى يومئذ : «الفورتنايتلى ريفيو» ، ولم تكن قد نشرت قبلها سوى مسرحية واحدة ، فكان هذا شرفا كبيرا لى !

مسرحياتى الاربع التى مثلت فى وقت واحد !

◆ **وقوبلت** مسرحيتى باهتمام النقاد ٠ أما القدامى منهم فقد اسرفوا فى ذمها ! واما اولئك الذين تأثروا بأدب « ابسن » فقد اعتبروها عملا يستحق التقدير ٠٠ ومن ثم ظننت اننى تغلبت على الصعاب ٠ وكنت قد لاحظت اثناء « البروفات » ان بعض مناظر الغزل فى الفصل الأول تشيع الفكاهة فى النفس ، فعولت على ان اكتب مسرحية فكاهية ٠ وبالفعل

كتبت « ارغفة وسمك » ، ولكن أحدا من مديرى الفرق لم يكترث بها ! ٠٠ **وخطر لى ان خير فرصة امامى هى ان اكتب مسرحية فكاهية أجعل الدور الأول فيها لممثلة كبيرة ، عسى ان تؤثر على مدير الفرقة فيقبلها ! ومن ثم كتبت : « ليدى فردريك » ٠ وكان أهم منظر فيها ــ وهو المنظر الذى اكسبها النجاح فيما بعد ــ يدور حول رغبة البطلة فى ان تثبت لعاشقها انه مخدوع فى جمالها ، فنراها تدعوه الى مخدعها ليراها دون ما زينة ولا تبرج ! ٠٠ لكننى لم اجد ممثلة تقبل القيام بهذا الدور !** ٠٠ وحين كتبت بعد ذلك « مسز دوت » ، لاقت عين المصير ٠ ومن ثم جربت ان اضع مسرحية يكون الدور الأول فيها لرجل ، فكتبت « جاك سترو » ٠٠ وأوشكت فى النهاية ان أيأس ، لولا ان اعجب « جولدينج برايت » بمسرحياتى ، فتكفل باظهارها ٠٠ واستطاع فى سنة ١٩٠٧ ــ بعد ان كنت قد كتبت ست مسرحيات طويلة ــ ان يظهر « ليدى فردريك » على مسرح « كورت » ٠ ثم لم تنقض ثلاثة اشهر حتى كانت « مسز دوت » تعرض على مسرح «الكوميدى» ، و « جاك سترو » على « الفودفيل » ، و « الرحالة » على مسرح « ليريك » !

ولم اجن كثير مال من تلك المسرحيات ، فان حقوق التأليف فى تلك الأيام كانت ضئيلة ٠ على ان ما درته على انقذنى من ضائقتى ، وطمأننى الى مستقبلى ، وأكسبنى شهرة ــ اذ كانت لى اربع مسرحيات تمثل فى وقت واحد ! ٠٠ كما سعى بعض المبرزين الى التعرف بى ٠٠ وهكذا جاء نجاحى رائعا وغير متوقع ، وان لم انفعل له بقدرما شعرت بالارتياح ! ٠٠ واذكر اننى كنت اتناول العشاء ذات مساء فى النادى ، حين سمعت أحد اعضائه يتحدث مع ضيف له عنى ٠٠ وكان عضو النادى يزهو بأنه يعرفنى ، رغم اننا لم نكن على تعارف ، فراق لى هذا وأثر فى نفسى كثيرا !

ومع ان الرأى العام استقبل مسرحياتي بتحمس ، لا فى انجلترا وأمريكا وحدهما ، بل وفى اوربا أيضا ٠٠ الا ان النقاد لم يخففوا من تحاملهم على ! ٠٠ وقد عاب أكثرهم انصافا ، روح السخرية التى شاعت فى مسرحياتى ٠٠ ووصفها أكثرهم **قسوة بأنها رخيصة ، تافهة ، واننى بعت روحي من أجل المال والشهرة ! ٠٠ على اننى تحملت فى جلد ، لأننى كنت ادرك ان هذه ليست نهاية القصة ٠٠ كنت اريد نهاية معينة ، وقد سلكت الطريق الذى يفضى بى اليها ، وفى سبيل ذلك حرصت على ان لا احفل بشيء !** وظللت اكتب مسرحيات اكثر لذعا من « رجل يعتد بالشرف » ، واشد سخرية من « ارغفة وسمك » ٠٠ واتهمنى النقاد بأنى اهبط بالأدب المسرحى الى مستوى العامة ! ٠٠ والواقع اننى لم افعل هذا تماما ، فقد كانت مسرحياتى موضوعة لتروق للناس ولتصل الى هدفها فى الوقت ذاته !

ولم اشأ ان افقد سيطرتي على الجمهور ، فبادرت بكتابة مسرحيتين أخريين ، أشد جرأة ، واكثر تمشيا مع الفطرة من الأخريات ٠٠ واذ ذاك تعرضت لحملة اقوى من جانب النقاد ! ٠٠ بيد ان احدى المسرحيتين ـ وهى « نبيلوب » ـ كانت ولا بد تنطوى على شيء من الابداع ، اذ انها حين مثلت فى برلين بعد عشرين عاما ، استأثرت بالموسم كله !

احبنى الجمهور ٠٠ وتجاهلنى المثقفون !

• **وفى** تلك الأثناء تعلمت جل ما استطعت ان اعرفه فى حياتى عن فنون الأدب المسرحى ٠٠ وحظيت بسلسلة متواصلة من النجاح ، فرأيت ان الوقت قد حان لأنتج شيئا جديا ٠٠ اردت ان اختبر مدى قدرتى اذا عالجت موضوعات اكثر تعقيدا ٠٠ كما كنت أرغب فى معرفة الى أى مدى استطيع ان اتمشى مع الجمهور فوضعت « الرجل العاشر » و « سادة الارض »

٠٠ ولم تفشل احداهما ، او تصيب نجاحا ، اذ انهما لم تكونا واقعيتين فى صراحة ، ولا خياليتين فى جلاء ٠٠ وكان ترددى مضرا ، اذ لم يرض الجمهور عنهما ٠ ومن ثم استرحت عامين ، ثم كتبت « ارض الميعاد » ٠٠ وبهذا كتبت عشر مسرحيات فى سبع سنين ٠٠ فتوطدت مكانتى لدى الجمهور ، وان تجاهلتنى الطبقة المثقفة !

وكانت الحرب الأولى قد اندلعت ، واتيح لى خلالها ان احظى ـ من آن الى آخر ـ بقدر كبير من الفراغ ، فكان التأليف المسرحى يروح عن ذهنى عناء العمل الذى كنت أؤديه ٠ ومن ثم كتبت سلسلة متلاحقة من المسرحيات ، بدأتها فى سنة ١٩١٥ بمسرحية « أفاضلنا » ، واختتمتها فى سنة ١٩٣٧ بمسرحية « الزوجة الدائمة » ٠ وكان معظم هذه المسرحيات فكاهيا ، كتب على نسق كان شائعا فى عصر النهضة ، وانتهجه بعد ذلك « جولدسميث » و « شريدان » ، فى انجلترا ، مما دل على انه يروق للمزاج الانجليزى ! ويصفه الذين لا يحبونه بأنه « كوميديا » متكلفة ، فى حين انه « دراما » ، فى الحديث لا فى الحركة ٠٠ فهو يتناول ، فى سخرية ، عبث دنيا الطبقة الراقية ٠٠ ورذائلها ٠٠ ولكن فى غير وعظ !

ولقد قرأت معظم ماكتب عن فنون كتابة المسرحيات ، ولكن خير طريقة تعلم الانسان تأليف المسرحيات ، هى ان يشهد بنفسه مسرحية تمثل على المسرح !٠٠ فان هذا يبصره بطريقة كتابة العبارات التى يسهل على الممثلين القاؤها ، وبمدى المحافظة على وزن العبارة ووقعها فى الأذن ، دون ان يذهب ذلك باسترسال الحديث ٠ وعندى ان سر التأليف المسرحى يمكن اجماله فى حكمتين : الزم موضوعك ، وقف حينما تستطيع الوقوف ٠ والحكمة الأولى تتطلب ذهنا منطقيا لايتيسر لغير قليل منا ٠ ذلك لأن كل فكرة تقود الى فكرة اخرى ، ومن الممتع الاسترسال مع الأفكار ، ولكن على الكاتب المسرحى

ان يتجنب ذلك أكثر مما يتجنب القديس الخطيئة ! وهذه قاعدة هامة فى الرواية أيضا ، ولكن اتساع المجال فى الرواية يسمح بشىء من التخفف منها ٠

وتوجيه اهتمام القارىء أو المشاهد الى المسرحية هو الفن الذى يثير به المؤلف اهتمامك بأقدار اناس معينين ، فى ظروف معينة ، ويحافظ على تعلقك بهم حتى يصل الى المخرج الذى يريده من تلك الظروف ٠٠ فاذا تركك تشغل عنهم فلن يقدر له أبدا ان يجتذب اهتمامك اليهم ثانية ! ومن القواعد النفسية ان الاهتمام يعلق بالاشخاص الذين يقدمهم المؤلف فى بداية مسرحيته ويعزز ادوارهم ، فاذا تحول الاهتمام بعد ذلك الى شخصيات أخرى تدخل المسرحية فيما بعد ، أحس مشاهد المسرحية باستياء !

والمؤلف المسرحى المتمكن يقدم موضوعه فى بداية المسرحية ما استطاع ، فان كانت الحبكة المسرحية تتطلب ان لايقدم شخصياتها الرئيسية الا فيما بعد ، **فان الحديث الذى يدور بين الشخصيات التى ترفع عنها الستار ، يجب ان يجتذب انتباه النظارة الى تلك الشخصيات الرئيسية ، حتى يؤدى تأخر ظهورها الى زيادة ترقب الجمهور لها ٠ ولم يقدر لكاتب ان يتبع هذه الطريقة بدقة تفوق دقة « شكسبير » !**

والآن انتقل الى الحكمة الثانية : فمهما يكن المنظر رائعا ، يجب على المؤلف أن يقتضبه اذا لم يكن ضروريا لمسرحيته ٠ وهذه القاعدة اكثر لزوما الآن منها فى اى وقت آخر ، لأن النظارة أصبحوا اكثر ذكاء ، واسرع مللا وضيقا منهم فى اى فترة أخرى من تاريخ المسرح ، لاسيما والسينما قد تقدمت!

جمهور المسرح ٠٠ حيوان عجيب !

✦ والمسرحية تعاون بين المؤلف والممثلين والنظارة ، والمخرج ٠٠ فالمسرحية التى توضع للقراءة ليست سوى نوع من الرواية يكتب فى حوار ٠ ومهما تكن للمسرحية من ميزات ، فان عدم رضاء النظارة عنها يذهب بقيمتها كمسرحية ٠٠

وكل من له صلة بالمسرح يعرف المدى العجيب الذى يصل اليه تأثير الجمهور على المسرحية ٠٠ بل ان نظارة الحفلات الصباحية قد يأخذون المسرحية على غير ما يأخذها عليه رواد الحفلات المسائية ! ٠٠ وانفعالات الجمهور : اهتمامه ، وضحكه ، من عناصر الحركة فى المسرحية ، اذ انها تخلق ما يخلقه فى مشاعرنا جمال شروق الشمس من أحاسيس !

وجمهور المسرح حيوان عجيب ! ٠٠ انه ماكر أكثر منه ذكى ، اذ ان طاقته العقلية أقل من طاقة الافراد الذين اوتوا أوفر قسط من رجاحة الفكر ٠٠ رغم انتمائهم اليه ٠ أى ان المقدرة العقلية لافراد الجمهور تتفاوت ، فهى درجات ٠٠ وهذه حقيقة لابد للمؤلف من أن يراعيها ويعالجها ٠٠ وعندى ان صاحب الذكاء اذا كان ينشد فكرة فى المسرح ، فانه ينم عن ذكاء أدنى مما يرتقب منه ! ذلك لأن الفكر شىء خاص ، شخصى ٠ انه نتاج العقل ٠ فهو يتوقف على عقلية الفرد وتعليمه وتربيته ٠ وانتقال الفكرة من ذهن الى آخر مسألة خاصة أيضا ، تتوقف على نفس هذه العوامل ٠ أما الجمهور فيتأثر بالايحاء العام ، والايحاء العام لا يستثار الا بالانفعال ٠٠ لا بالفكرة !

ثم ان الآراء والافكار لا تنمو كالحشائش البرية ، بل ان مبتكرى الآراء الجديدة نفر قليل فى كل جيل ٠٠ وهناك فارق بين التأمل الفكرى ، وبين القدرة على التفكير المبتكر والافكار الجديدة ٠٠ ولقد كان المؤلفان المسرحيان الوحيدان اللذان خلدا اسميهما فى عصرنا كمفكرين هما « ابسن » و « شو » ٠٠ وكانا محظوظين ، فان بزوغ نجم « ابسن » صادف حركة تحرير المرأة من المكانة المتواضعة التى ظلت ترسف فى أغلالها أمدا طويلا ٠٠ كما ان بداية « شو » صادفت ثورة الشباب على التقاليد الممضة التى خلفها العهد الفيكتورى ، ومن ثم كان فى متناولهما موضوعات جديدة يمكن عرضها فى أسلوب مسرحى مؤثر !

وفى رأيى ان الرواية المسرحية قد نحت نحوا خاطئا حين قادتها الدعوة « الواقعية » الى أن تهجر الشعر المنمق ٠٠ فان الشعر يضفى على الموضوع طابعا من القدم يسمو بأثره الروحى ٠٠ وعندما غدت السينما ناطقة ، كانت المسرحية النثرية أضعف من أن تدافع عن نفسها ٠٠ ولا يسعنى الا أن أصرح بما أعتقده من ان المسرحية النثرية التى وقفت عليها شطرا كبيرا من حياتى ، لن تلبث أن تموت عما قريب ٠٠ فان الفنون الضئيلة التى تعتمد على أخلاق العصر وطباعه وعاداته أكثر من اعتمادها على الحاجات الضرورية الكامنة فى نفس الانسان ، تأتى وتروح !

انصرافى عن المسرح ٠٠ الى القصة المكتوبة !

◆ هذه الآراء التى كانت تطوف مبهمة فى ذهنى ، لم تلبث أن زادت من عدم رضائى عن المسرح ، فقررت فى النهاية أن أنصرف عنه ! ٠٠ لقد كتبت أولى

مسرحياتى الطويلة فى سنة ١٨٩٨ ، وآخر مسرحياتى فى سنة ١٩٣٣ .. وليس بوسعى أن أجزم بما اذا كنت قد تحررت نهائيا من المسرح ، لأن المؤلف عبد لما أرانى مضطرا الى أن أسميه الوحى أو الالهام ، لأننى لا أجد كلمة أكثر تواضعا أطلقها عليه !

وقـد كانت أولى رواياتى المكتوبة هى : « ليزا ، فتاة لامبيث » .. وكان الناشر قد كلفنى بكتابتها وأنا فى المرحلة النهائية من دراسة الطب ، فعكفت فى الأمسيات على كتابتها .. وكان ذلك الناشر متعنتا مع المؤلفين ، فاستغل شبابى وقلة تجاربى ، وابتهاجى بنشر كتاب لى ، ليقيدنى بعقد لا أحصل بمقتضاه على شىء من أتعاب التأليف ، الى أن يبيع عددا كبيرا من النسخ ! وقد كان يعرف كيف يروج لبضاعته ، فدفع بروايتى الى عدد من ذوى النفوذ الأدبى ، فسرعان ما تناولها النقاد على نطاق واسع .. وألقى كبير أساقفة (وستمنستر) موعظة بصددها ! .. وكان نجاحها سببا فى أن أهجر مهنة الطب بمجـرد اجتيازى الامتحان النهائى . ولم ينقض شهر حتى رؤى اعادة طبع الرواية ، فلم أشك فى أن من السهل أن أكسب عيشى من التأليف . لكنى صدمت بعض الشىء عندما تلقيت اثر عودتى من أشبيلية ـ بعد عام ـ اذنا مصرفيا من « الناشر » باتعاب التأليف ، فاذا بها .. عشرون جنيها !

وما زالت « ليزا » مقروءة الى اليوم ، ولكن اهم ميزة فيها انما تعزى الى ما كان لى من حظ الاتصال ـ أثناء دراستى الطب ـ بجانب من الحياة لم يستغله الروائيون كثيرا .. ولم أكن اذ ذاك أعرف شيئا عن التأليف والكتابة ، رغم انى كنت قرأت كثيرا بالنسبة الى سنى .. وقـد كانت روايات وقصص « جى دى موباسان » هى التى خلفت فى نفسى اقوى الأثر حين أعددت نفسى للكتابة . وكنت قد بدأت أقرأها وأنا فى السادسة عشرة . واستطعت أن أنتهى من معظمها قبل أن أبلغ العشرين ! .. ولا أملك سوى الاعتقاد بأن « موباسان » كان أستاذا ينبغى أن يحتذى أكثر من الروائيين الانجليز الذين كانوا يؤثرون على الناشئين فى ذلك العهد . وقد وصفت فى « ليزا » ـ دون مبالغة أو اضافة ـ الناس الذين كنت التقى بهم فى العيادة الخارجية للمستشفى ، والذين كنت أزورهم فى الحى وأنا أعمل فى قسم الولادة .. وكان افتقارى الى الخيال ـ الذى ينمو بالمران ـ سببا فى انى وصفت فى صراحة ، ودون وشى ، ما رأته عيناى وما سمعته أذناى .. ولم يكن نجاح الكتاب سوى مصادفة سعيدة !

على الانسان ان يهرب من النجاح .. لا ان يلاحقه !

◆ وألح على الناشر فى أن أكتب رواية أطول من الأولى عن الطبقة الدنيا .. ولكنى لم أوافقه على رأيه ، اذ كنت طموحا ، وكنت أشعر ـ وان لم أدر ماتى

هذا الشعور - بأن المرء يجب ألا يلاحق النجاح وانما يجب أن يهرب منه ! ٠٠ وكنت قد تعلمت من الفرنسيين ان الانسان يجب أن لا يتوفر على القصص الاقليمى ، كما كنت قد فقدت اهتمامى بالطبقة الدنيا بعد أن وضعت عنها كتابا٠ ومن ثم كتبت قصة تدور وقائعها فى ايطاليا فى عهد النهضة ٠٠ وما أحسب الا ان الناشر أحس بخيبة أمل حين تلقى هذا الكتاب !

ولست بحاجة الى ان أتحدث عن الروايات التى كتبتها فى السنوات القلائل التى تلت ذلك ٠٠ كانت احداها فاشلة ٠٠ والأخريان عبارة عن تحوير لمسرحيتين أخفقت فى أن أدفع بهما الى المسرح ٠٠ وفيما عدا ذلك ، كانت الكتب التى وضعتها فى السنوات العشر التالية بعد احترافى الأدب ، أشبه بتدريبات أردت بها أن أتمكن من مهنتى ! ٠٠ وكم تمنيت فى بعض الأحيان لو اننى لم أوفق الى نشر كتابى الأول فور تأليفه ، فاننى اذ ذاك كنت سأضطر الى المضى فى دراسة الطب ، فكنت أزداد خبرة بالناس٠وكم أتحسر لأننى - فى ذلك الوقت المبكر - لم أجد من يرشدنى ، ولو وجدت لوفرت كثيرا من الجهد الذى ذهب فى غير جدوى !

ولقد قمت بعدد من التجارب المتباينة فى ميدان الكتابة ٠٠ من ذلك تجربة كانت يومئذ تجديدا مبتكرا ، اذ خطر لى ان أسلوب الروائيين فى ابتداع شخصيتين أو ثلاث والاقتصار على مغامراتهم وأحداثهم ، وكأن العالم خلو من غيرهم ، أو كأن ليس فى الدنيا من أحداث سوى ما يجرى لهم ، لا يعطى سوى صورة جزئية من الواقع ! ٠٠ ومن ثم خطر لى ان المرء قد يرسم للحياة صورة أكثر صدقا ، لو انه مزج عدة قصص متساوية الأهمية ، تدور فى فترة واحدة ، وفى عدة أوساط مختلفة ٠٠ ومن ثم صورت أكبر عدد من الشخصيات التى لم تكن تربط بينها سوى خيوط رفيعة واهنة ٠٠ وأسميت الكتاب « المرح » ٠٠ وكان أكبر عيوبه ان استمرار التتابع الذى يجذب اهتمام القارىء كان يعوزه !

الكاتب : أهو حر ٠٠ أم عبد ؟!

◆ ان التأليف مهنة ممتعة الى درجة لا تدع مجالا للدهشة من اقبال الكثيرين عليها ٠ فهى مثيرة ، ومتنوعة ٠ والكاتب حر فى ان يعمل فى أى مكان وفى أى وقت يروق له العمل فيه ٠٠ وهو حر فى ان يخلد الى الخمول اذا أحس بمرض أو سأم ٠٠ الخ

ولكن لهذه المهنة مساوئها أيضا ٠ من هذه المساوىء انك وان كانت الدنيا بأسرها - بكل من فيها وبكل مناظرها وأحداثها - تعتبر مادة لك ، الا انك لا تستطيع ان تعالج منها سوى ما يحرك زرا خفيا كامنا فى طبيعتك !٠٠ وهكذا نرى ان الكاتب قد يجوع الى درجة الموت فى غمرة الرخاء ! ومن المساوىء ان

الكاتب المحترف يجب ان يحوز اعجاب القراء على الدوام ، فما لم يجد عددا كافيا منهم ، مات جوعا ! •• ولقد يضطر ، تحت حكم الظروف ، الى كتابة ما لا يروق له ما دام يروق للقراء ، وما دام سيحصل من ورائه على عيشه •• ومع ذلك فلدى الكتاب شعور يؤكد لهم ان الجمهور خليق بأن يعجب بما يكتبون ، فاذا لم تلق كتبهم رواجا ، ألصقوا العيب بالرأى العام لا بما كتبوا !

ومن السهل القول بأن الكاتب جدير بأن يجد له عملا يدر عليه عيشه ، وان يقصر الكتابة على ما يسمح له به هذا العمل من فراغ •• وقد كان هذا فرضا على الكاتب فى الماضى ، كما انه ما يزال فرضا عليه فى البلاد التى ليس فيها جمهور كبير من القراء !

على ان الكاتب لا يقتصر فى الكتابة على الوقت الذى يجلس فيه الى مكتبه ، وانما هو يكتب طوال يومه •• يكتب حين يفكر ، وحين يقرأ ، وحين يمر بتجربة •• فكل شىء يسمعه أو يراه يعتبر ذا قيمة لغرضه ••

والأساليب الفنية للكتابة ليست أقل عناء وصعوبة من أساليب الفنون الاخرى ، ومع ذلك فهناك من يتوهمون ان أى امرىء يستطيع ان يؤلف كتابا ، لمجرد انه يعرف كيف يقرأ أو يكتب خطابا ! وان الكتابة لتبدو أحب وسائل الترويح والتسلية لدى الجنس البشرى ، وهناك أسرات بأسرها تقبل عليها •• فالمرأة تؤلف الروايات فى فترة الحمل •• والنبلاء الذين أمضهم الضجر ، والضباط المتقاعدون ، والموظفون المحالون على المعاش ، يقبلون على القلم اقبال السكير على الخمر ! •• ولقد ينتج أحد الهواة كتابا ذا قيمة ، ولكنه لن يستطيع أن يعقبه بآخر •• ذلك لأن من الفوارق بين الهاوى والمحترف ، ان الأخير يملك القدرة على التقدم •• والتقدم يحتاج الى عمل دائب شاق لا يقوى عليه سوى المحترف !



على ان للاحتراف أخطارا •• فالكاتب المحترف لا يملك أن يقعد عن الكتابة عندما لا يشعر بميل اليها ! •• فهو اذا انتظر حتى يواتيه الالهام لم ينتج الا قليلا ، ومن ثم فعليه أن يخلق المزاج الذى يمكنه من الكتابة ، وان يروض الهامه ويذلله لقلمه ، بأن يحدد لنفسه ساعات منتظمة للعمل ، حتى تصبح

عادة ٠٠ فلا يلبث اذا ما حانت هذه الساعات ان يشعر باصابعه تتوق فى شغف الى القلم ، فاذا أمسكت به أخذ يكتب من تلقاء نفسه « أوتوماتيكيا » ، فلا تلبث ان تنساب الكلمات فى يسر ، وان تجر معها الأفكار !

النجاح ٠٠ هو الخطر الأكبر على الكاتب !

◆ ولكن أعظم الأخطار طرا ، خطر لا يقوى على تجنبه سوى نفر قليل ٠٠ انه النجاح ! فهو أصعب شيء يستطيع الكاتب ان يتغلب عليه ويروضه ٠ وهو اذا ما ناله بعد عناء وكفاح ، لا يلبث ان يشعر بأنه ينصب الفخاخ ليوقع به ويقضى عليه ! ٠٠ ان النجاح لا يقود الى الغرور والأنانية ، كما هو شائع ، وانما الى التواضع ، والتسامح ، والعطف فى الغالب ٠ ان الفاشلين هم الذين يتجهون الى الحقد والقسوة ، أما النجاح فيهذب من خلق المرء ٠٠ ولكنه لا يهذب من خلق المؤلف فى كل الأحوال ، وانما قد يحرمه من القوة التى مكنته من ان ينجح ! ٠٠ على ان الشخصية الفردية للكاتب الناجح تتكون من تجاربه ، وكفاحه ، وآلامه ، وما خاب من آماله ، وجهوده فى أن يهيىء نفسه لدنيا تناصبه العداء ! ٠٠ ولكن تأثير النجاح يهدىء من نشاط هذه الفردية ٠٠ بل ان النجاح كثيرا ما يفصل صاحبه عن المادة التى مكنته من ان ينجح ، ويدخله عالما جديدا ، فلا يلبث أن يتأثر بالحفاوة التى يلقاها ، وبالحسان اللاتى يعترضن طريقه ٠٠ ولا يلبث ان يعتاد حياة غير التى ألفها واقتنص فيها نجاحه ! ٠٠ وتثير هذه الدنيا الجديدة خياله فيكتب عنها ٠٠ ولكنه يراها فى الواقع من الخارج ، ولن يقوى مطلقا على ان ينفذ الى جوفها ويصبح جزءا منها ٠٠ وكم من كاتب أجاد وهو يكتب عن الوسط الذى نشأ أو عاش فيه ، فلما ارتقى بهالنجاح الى صحبة أهل الأدب ، وعلية القوم ، والأغنياء ، والحسناوات ، حاول أنيكتب عن هذا الوسط الجديد فلم يكتب الا الغث الذى لا قيمة له !

وعلى هذا ، فما أحكم الكاتب الذى يلزم الحذر ازاء النجاح ٠٠ انه يجب ان يتلقى المديح الذى يهيله عليه الغير بسبب هذا النجاح فى تحفظ ، وان يستقبل المسئوليات التى يلقيها عليه فى توجس ، وان يتجنب ألوان النشاط التى يجرها النجاح فى ذيوله فتعرقل الكاتب وتؤخره !

على ان كل هذه المساوىء والأخطار ، تقابلها ميزة واحدة يبلغ من عظمتها انها تحيل كل الصعاب ، والصدمات ، والضائقات ، الى توافه ٠٠ تلك هى الحرية الروحية ! فالحياة للكاتب مأساة ، وموهبته فى الخلق والابتداع تجعله يحول كل ما يلقاه فيها الى مادة لانتاجه ٠٠ لقد ارتكب « ارسطوطاليس » الذنوب والزلات ، وحاقت به التعاسة والشقاء ، ولم ينعم بحبه ٠٠ ولقد قاسى من العيوب البدنية ، ومن الأمراض ، ومن الأحزان ، ومن الاذلال والهوان ٠٠

ولكن كل شىء استحال ـ بفضل قدرته ـ مادة لكتاباته .. وبفضل هذه الكتابات تغلب على كل ما لاقاه !

تطوعى فى الحرب الاولى .. وعملى فى الجاسوسية !

◆ عندما أحرزت النجاح ككاتب مسرحي ، عولت على ان أكرس ما بقى من حياتى لكتابة المسرحيات .. كان رأسى مليئا بالمسرحيات التى أنوى كتابتها .. ومع ذلك فلست أدرى ما الذى أثار همومى وجعلنى أذكر مآسى حياتى السالفة: موت أمى ، وتهدم الاسرة ، وتعاستى فى سنى الدراسة الاولى .. الخ .. وقد أصبحت هذه الهموم كلها عبئا يثقلنى ، حتى قررت ان لا سبيل الى ان اقصيها عن بالى الا اذا كتبتها فى شكل رواية .. واسميت الكتاب : « جمـــال من الهشيم » ، ولكنى وجدت غيرى قد سبقنى منذ عهد قريب الى هذا العنوان ، فاستبدلت به : « العبودية البشرية » Of Human Bondage .. ولم يكن الكتاب مجرد سيرة ، بل كان مزيجا من الحقيقة والخيـــال .. الحقيقة ممثلة فى الأحداث والوقائع ، والخيال فى المشاعر والأحاسيس والانفعالات .. واذ ذاك ، وجدت نفسى أتحرر من تلك الهموم والذكريات التعسة الى الأبد ! .. وشرعت أتأهب للبداية من جديد ..

وكنت أشعر بالسأم من كل شىء .. كنت قد نلت كل ما أشتهى من الحياة .. فلم أعد أدرى أية وجهة أتجه .. وكنت فى الأربعين من عمرى . ثم وقع حادث خارج عن ارادتى ، وضع حدا لهـــذا القلق الذى غشينى . فقد اندلعت نار الحرب ، فختمت فصلا من حياتى ، وبدأت فصلا جديدا .. اذ بادرت بالتطوع فى وحدة من وحدات سيارات الاسعاف ، ورحلت الى فرنسا .. ونعمت بالحياة الجديدة .. كان من دواعى التسلية لى ـ انا الذى لم أعتد ان أتلقى أوامر مذ غادرت المدرسة ـ ان اكلف بشتى المهام ، حتى اذا أنجزتها شعرت بأن ما تبقى من وقت ملك لى !

ولقـــد التحقت فيما بعـــد بادارة المخابرات السرية .. وراق العمل لخيالى القصصى ، فأخذت أنظر الى المغامرات والأساليب كمادة قد تغدو ذات نفع لى يوما ما .. فلما انتهت خدمتى ، سافرت الى أمريكا أنشد الجمال والخيـــال .. وقد وجدتهما ، ولكنى وجدت شيئا آخر لم أتوقعه قط .. وجدت نفسا جديدة لى .. دخلت دنيا جديدة ، فاذا كل غريزة روائية فى نفسى تهب لتستوعب هذه الجدة والطرافة !

مهمة سياسية فاشلة .. ومرض .. ورحلات !

◆ وقدر لى ان اوفد الى (بتروجراد) فى مهمة سياسية محفوفة بالأخطار .. وكنت مزودا بمال وفير ، وأربعة من التشيكيين الأوفياء ليعملوا كوسطاء ،

بينى وبين « مازاريك » الذى كان تحت امرته فى مختلف ارجاء روسيا نحو ستين ألفا من مواطنيه ٠٠ وكان على ان اتصل بالأحزاب المعادية لحكومة روسيا، للعمل على استبقاء روسيا فى الحرب ، والحيلولة بين البلاشفة وبين الاستيلاء على مقاليد الحكم بمعونة ألمانيا وأنصارها ٠٠ ولا داعى لأن أذكر اننى أخفقت فى هذه المهمة اخفاقا يثير الرثاء !

وعدت الى انجلترا ، فتملكتنى حمى أحالت ليالى ضنى مرهقا ٠٠ وعشت عامين بين المرض والنقاهة ٠٠ ولكننى اكتشفت لأول مرة فى حياتى متعة ملازمة الفراش فى غرفة خاصة بأحد المصحات ، محوطا بصمت شامل ٠٠ كانت دنيا غريبة ، وجدتها حين استطعت ان اغادر الفراش بعض اليوم واختلط بزملائى المرضى ٠٠ وما أرانى الا عرفت يومئذ الكثير عن طبيعة البشر ، مما لم أكن لأعرفه لو لم أنزل بالمصحة !

وعندما أبللت من مرضى ، كانت الحرب قد وضعت أوزارها ، فرحلت الى الصين ٠٠ وتبينت اذ ذاك مدى النفع الذى أستطيع ان افيده من الأسفار ٠٠ كانت هناك حرية الروح من ناحية ٠٠ والالمام بكافة أنواع الناس ـ مما يفيدنى فى مهنتى ـ من ناحية أخرى ٠ وقد قمت بعد ذلك برحلات الى كثير من البلدان، وعبرت كثيرا من البحار ، وانتقلت بشتى وسائل المواصلات ، وكنت دائما مفتوح العين ألتقط كل شخصية ، وكل غريب ٠٠ وتعودت ان ارحب بكل تجربة تصادفنى ٠٠ وكنت أعود من كل رحلة وقد تغيرت بعض الشىء عما كنت ٠٠ ولم اكف عن الأسفار الا لاننى شعرت انها لم تعد تتيح لى أكثر مما أتاحت !

اعلان

تقبل عطاءات عن توريد فقط عدادات للمياه للمجالس البلدية التابعة للمراقبة الاقليمية للشئون البلدية والقروية بالدقهلية لغاية ظهر يوم السبت ١٩٥٦/٢/٢٥ بمكتب السيد مراقب المراقبة الاقليمية للشئون البلدية والقروية بالمنصورة ٠ ويقدم الطلب على ورقة دمغة فئة خمسين مليما للحصول على مستندات المناقصة نظير دفع مبلغ ٢٠٠ مليم (مائتى مليم) وكل عطاء غير مصحوب بتامين ابتدائى قيمته ٢٠/٠ من العطاء لا يلتفت اليه

٣٦٢٠

مجلس بلدى السنبلاوين

اعلان

تقبل العطاءات بمجلس السنبلاوين البلدى لغاية ظهر يوم ٢٥ فبراير ١٩٥٦ عن توريد نمر صاج للمنازل ولافتات صاج للشوارع ٠ وتطلب الشروط والمواصفات من المجلس على ورقة تمغة فئة الخمسين مليما مقابل دفع مبلغ ١٥٠ مليما خلاف أجرة البريد وكل عطاء غير مصحوب بتامين ابتدائى قدره ٢٠/٠ من قيمة العطاء لا يلتفت اليه

٣٦٣١

وزارة الصحة العمومية

تقبل العطاءات بقسم الثقافة الصحية والخدمات الاجتماعية بالوزارة لغاية الساعة الثانية عشرة ظهر يوم ٩ فبراير سنة ١٩٥٦ ، عن اعادة مناقصة طبع نشرات صحية وصور رمزية بالالوان ٠ وتطلب قوائم الشروط والمواصفات الفنية من القسم المذكور على ورقة دمغة فئة خمسين مليما ، وثمن القائمة الواحدة ٢٥٠ مليما بخلاف أجرة البريد ٠

٣٦٤٧

اعلان مناقصة

تقبل العطاءات بمجلس السويس البلدى حتى ظهر يوم الاثنين ١٩٥٦/٢/٢٧ عن توريد الاتى :

مسامير وحدايد وادوات لصيانة محطة الكهرباء

وتطلب الشروط والمواصفات من المجلس على ورقة تمغة فئة خمسين مليما نظير دفع مبلغ ٢٥٠ مليما للنسخة خلاف اجرة البريد ٠ وكل عطاء لا يرفق به تأمين ابتدائى قدره ٢ ٠/٠ من قيمته لا يلتفت اليه ٠

٣٦٥٦



الفنانة التى فقدها العالم

مستنجيت

ملكة ليالى باريس ...
التى كانت حياتها اقرب إلى الأسطورة !

انتصار فى الحياة .. وفشل فى الحب !

◆ من لا شيء ، أصبحت كل شيء ، حتى ان زيارة باريس لم تكن تكتمل لاحد ، ما لم يسع الى رؤية « مستنجيت » ! .. فلقد هفت منذ حداثتها الى ان تتركز عليها الأنظار والأضـــواء ، فاتجهت الى المسرح . ولم تكن لديها ثروة من جمال ـ كما « تزعم » فى مذكراتها ! ـ فاعتمدت على عقل لامع جبار ،مكنها من ان تستحدث ـ فى ملاهى باريس ـ فنونا أجلستها على عرش ليالى العاصمة اللاهية ، أكثر من ربع قرن من الزمان !

وفى أوائل الشهر الماضى ، انطفأت جذوة الراقصة الكبيرة والممثلة المسرحية الشهيرة : « مستنجيت » .. وماتت ملكة ليالى باريس ، فبادر « كتابى » الى طلب هذا الكتاب الذى سجلت فيه مذكراتها ، خصيصا بالطائرة ، ليطلعك على حياتها التى « أفشت » دقائقها بقلمها .. حياة لم تكن كلها أضواء وانتصارات .. فان النجاح الذى أحرزته «مستنجيت» لم يجنبها الخيبة فى دنيا الحب ! .. ليس هذا فحسب ، وانما كانت حياة مستنجيت حياة الفن المسرحى والاستعراضات والملاهى فى نصف قرن !

أبى كان يعبد أمى .. ويخشاها !

◆ **ولدت** ، أنا « جين بورجوا » ، لأب بلجيكى وأم فرنسية ، فى (انجيان ـ ليه ـ بان) ـ احدى الضواحى القائمة فى أطراف باريس ـ حيث استقر والدى وأنشأ محلا لتنجيد الأثاث ، فى شارع (دو ديبار) .. وكان أبى رجلا هادئا ، أخص ما أذكره عنه أنه كان يعبد أمى فى صمت ـ ولعله كان يخافها قليلا ، اذ كانت امرأة فذة ، صغيرة الجسم ، صلبة الرأى ، مرحة ، سريعة البديهة ، لا تعرف التعب ! ـ ولعلنى أخذت عنها ميلى للمسرح ، بما يتطلبه من نشاط لا حد له ، ومقدرة على الضحك والبكاء وحمل الناس عليهما ! .. وقد كانت هذه الصفات متوفرة فى أمى ، وفى أنا الاخرى . ولعلها كانت تبغى الظهور على المسرح فى صباها ، وان كانت قد قاومتنى ما وسعها عندما أعلنت فيما بعد عن آمالى !

ومات أبى وأنا جد صغيرة ٠٠ فمضت امى فى الحياة وحيدة ، تدير العمل فى المحل ، وتعولنى وشقيقين ، كان أصغرهما أحبهما الى ٠ كنت أصحبه الى المدرسة ، وافرض عليه سلطانى ، وألبسه ثياب البنات اذا عاقبته ! ٠٠ اما أخى الآخر ، فكان زميلى الدائم : نسرق التفاح معا ، ويستر كل منا ذنوب الآخر ٠٠ وقد رأيته يقتل فى الطريق أمام عينى ، اذ دهمته عربة من عربات توزيع اللبن !

حاولت امى حمايتي من أصدقاء السوء ٠٠ ولكن !

◆ **والتحقت** بمدرسة للراهبات ٠٠ كانت الدروس صعبة وكثيرة ، ولكن التحصيل قليل ، كما يحدث لكافة أطفال العالم ! ٠٠ وكنت حين افرغ من المدرسة ، أتولى مهام البيت ، فأعد المائدة للعاملات فى محل التنجيد ، واحضر الريش والحشو اللازمين للعمل ، وانظف الأثاث واطهره بالحرارة ٠٠ وكنت احاول الهروب من هذه الأعمال ، ولكن امى كانت شديدة صارمة ٠٠ ومع ذلك فانى كنت افلح أحيانا فى الفرار لأنطلق مع جماعات من الأطفال فى الريف ، نتسلق الأشجار ، ونقتطف الثمار الفجة ٠٠ فاذا عدت الى البيت ، تلقيت الثمن ضربا ! **وكان لأمى الحق فى ذلك ، اذ حدث مرة ان ولدا فى الثانية عشرة ، واختا له ، صحبانى وثلة من الأطفال الى الغابة ، وأفهمانا الامور الغامضة فى حياة الكبار ! ٠٠ ولما عدت الى البيت أنبأت أمى ـ اذ كان من عادتى ان اخبرها بكل شيء ـ فبادرت الى اتخاذ اللازم ، وكان هذا اللازم عبارة عن « علقة » ساخنة تركت اثرها فى جسميهما لعدة أسابيع ! ٠٠ كذلك حدث مرة أن اعتاد رجل أن ينتظرنى كل يوم عند انصرافى من المدرسة ، فيتعقبنى ٠٠ ولم اكلمه قط ، ولكنى أخبرت أمى فى سذاجة ، فحملت مظلتها وسبقتنى ٠٠ وما لبثت ان سمعت صوت ارتطام ، وصرخة ٠٠ ولم أر التعس بعد ذاك اليوم !**

والواقع اننى كنت ساذجة ، بريئة النفس !

ولا أزال اذكر اننى شغفت بسيرك متجول ، حتى غدا شغلى الشاغل ، فكنت أراقب أفراده وهم يتنقلون بين خيامهم العتيقة فى غير ساعات العمل ، وأنا مبهورة الأنفاس ٠٠ وكان يسعدنى ان أساعدهم فى غسل الأطباق لأكون بينهم ، أزهو بالتظاهر بأننى منهم ٠٠ وكنت أسلى الراهبات فى المدرسة بما أرويه عن حياة « السيرك » ، فلم يؤنبننى قط ٠٠ بل أعتقد ان العزيزات البائسات كن يستمرئن حديثى ، فقد كانت حياتهن خالية من كل بهجة !

النصيحة التى كانت سبب نجاحى !

◆ **وكنت** أحمل قوائم الحساب الى عملاء أمى ٠٠ وذات مرة ، أوفدتنى أمى الى المغنية النابهة الصيت « آن تيبو » ٠٠ وألفيتها فى حديقة دارها بين جمع من السيدات الجميلات ، الأنيقات ، فتقدمت منها وقلت متلعثمة : « سيدتى ٠٠ أنا جان بورجوا ٠٠ جئت من أجل ٠٠ » ٠٠ فقاطعتنى هاتفة : « آه ٠٠ أأنت الصغيرة التى تريد الظهور على المسرح ؟ » ٠٠ وأخذت تنتقد شعرى ومظهرى ، وكلما هممت بأن اذكر لها ما جئت من أجله، راغت بلباقة ، وراحت تبين لى ان النجاح على المسرح يتطلب مظهرا يروق للعيون ، وان ليس للمواهب قيمة تذكر ، فان معظم الفنانات اللامعات لم يؤتين مواهب ، ومع ذلك كان الرجال يتهالكون عليهن ، ويغمرونهن بالهدايا والمجوهرات والمال !

وكانت صادقة ، فانى لم أكن جميلة ، ولكنى أوتيت موهبة واحدة : الحيوية والخفة ٠٠ اما ما بقى ، فكان على ان اخلقه خلقا ٠٠ وهذا ما فعلته ٠٠ حتى ساقى ـ « أجمل ساقين فى العالم » ـ جاءا من ثمار تفكيرى ، اذ كنت دائما أحدد لنفسى غرضا أعمل دائبة لبلوغه ، ماضية فى طريقى لا أعبأ بشىء ، ولا بأحد ٠٠ وهذا ما عزز مركزى فى الحياة المسرحية الفرنسية التى لم يكن



« قيل اننى لم أكن جميلة ، ولكن كانت لى شخصية ! »



مستنجيت ...
ملكة ليالى باريس

لها حدود ولا قيود ! .. وأذكر بهذه المناسبة ان امى أرسلتنى يوما الى الجزار فى طلب نوع معين من اللحم ، فغشنى ، مما أغضب أمي وحملها على ان تأمرنى بارجاع ما أعطانى .. وسرت الى الحانوت لا ألوى على شىء ، ثم طوحت باللحم فى وجه الرجل دون ما كلمة ! .. وقد حاول بعد سنوات ان يخطبنى ، اذ أدرك اننى امرأة أعمال أنفعه فى ادارة عمله ، بيد اننى آثرت ان أعمل لحساب نفسى ، فكونت فرقة من أطفال الحى ، ورحنا نهلهل كوميديات « موليير » .. وكنا نتقاضى من رواد مسرحنا ـ وجلهم أهلنا وجيرتنا ـ أجرا زهيدا ..

أضربت عن الطعام لأعمل فى المسرح !

• **وكان** ذلك أول كسب لى .. وعرفت بعد ذلك ان على ان

أعمل اذا شئت ان انال ما أبتغى ٠٠ وان العمل مع الشعور بالبهجة والاستمتاع ، هو الغنى ٠٠ فالفن هواية وشغف ! ٠٠ ولقد كنت أشتهى دائما العمل فى المسرح ، بل ان أمى تؤكد لى اننى مذ كنت فى الثالثة من عمرى اعتدت ان أتخذ من مفارش المائدة ثيابا أظهر فيها بغير مظهرى ! وسواء صح هذا أو لم يصح ، فان المؤكد أننى حين بلغت العاشرة جاهرت أهلى برغبتى فى احتراف المسرح ٠٠ لكنهم لم يحملوا كلامى على محمل الجد فى البداية ، فلما ألحفت ، حبسونى فى البيت !

وكان من المستحيل ان اقنع بالحياة فى البيت ، فأخذت أبكى، واهدد بالهرب مع فرقة « السيرك » ٠٠ ثم أضربت عن الطعام، فبدأ أهلى يجزعون ! والواقع انهم كانوا يعارضوننى عن اقتناع، اذ كانوا يخالون الممثلات يرادفن الغانيات الفاجرات ، وما خطر لهم ان تمثيل بعض الانفعالات على المسرح ، يطفىء شهوة المرء الى ممارستها فى الحياة ! ٠٠ ولا بد ان التعاسة التى رانت على حين عارضونى ، أقنعتهم فى البداية بأننى كنت جادة ، فعملوا على ان أتلقى دروسا فى الكمان ، لادخال شىء من البهجة والأمل على نفسى ٠٠ وهكذا بدأت أتلقى الدروس على يدى « بوساجول » المسن ـ عازف الكمان فى « الاوبرا » ـ مع زميلتين من (انجيان) فى مثل سنى ، فكنا نستقل القطار معا الى باريس ، ونعود سويا ، والأحلام ترافقنا ٠٠ أحلام المجد والشهرة !

كنت اعاكس الشبان واخرج لسانى للشيوخ !

◆ **ودرست** الغناء كذلك على « بوساجول » ٠٠ وكنت اذا غنيت ، ثبتت يدى فى خاصرتى ، وأرفقت الالقاء باشارات كانت تثير ثائرة أستاذى ٠٠ ولكنها كانت الطابع الذى خلقته لنفسى ٠٠ كما اخترت الاسم الذى كنت أرجو ان أتخذه على المسرح ، اسم « دوقة موغمورنسى » ، حتى اعتاد ناظر محطة الضاحية ان ينادينى ب « صاحبة السمو » ! ٠٠ بيد اننى ما لبثت ان سئمت

استاذى ، فكنت أنطلق وزميلتاى الى حدائق « التويللرى » نلعب ، ونعاكس الشبان ، ونخرج ألسنتنا للكهول ٠٠ كما اعتدنا ان نذهب الى ملهى « الطاحونة الحمراء » – « المولان روج » – لننسى أنفسنا ونحن نحدق فى الراقصات ، مستمتعات بالانفعالات التى تسرى فى جو المكان ٠٠ وكثيرا ما كنا نسهو عن الزمن ، ثم نعود لنجد أهلنا فى انتظارنا ، فتأخذ كل منا نصيبها من الضرب !

وحدث ان رقت يوما فى عين شيخ بادى الميسرة ، اعتاد ان ينتظرني بعربته في كل يوم عند المحطة وأنا مقبلة على باريس لتلقي الدروس ، فيقلني في عربته الى بيت « بوساجول » ٠٠ وذات مرة ، استطاع رغم مقاومتي ان يقبلني ، فخيل الى ان هذا كان كافيا لأن أغدو حاملا ، وأسرعت الى أمي باكية ٠٠ وفى اليوم التالى ، رافقتنى أمي وخالتي ، حتى اذا رأتا السيدالشيخ، انهالتا عليه ضربا وسبابا !

وما لبثت ان كففت عن دروس « بوساجول » ، اذ قلت لأمى ان الكمان انهك قواى ، وكاد يقوس ظهرى ، فعشت فترة على غذاء جيد ،وكنت اخرج كل اصيل الى الحقول ، فأجوس خلال الريف مع رفاقى ، وانظم الحفلات الموسيقية فى الهواء الطلق ٠٠ وكنت أرتاد « كازينو انجيان » ، وأتسكع عند أبوابه المفضية الى « الكواليس » لأشهد الفنانات ٠٠ الى ان شعرت يوما بأن لا بد لى من مال لأبنى مستقبلى ، فسرت الى مدير « الكازينو » ، وكان فى خلوة يتناول عشاءه ، فاقتحمت عليه خلوته ، لأرجوه ان يسمح لى باقامة مقصورة صغيرة لبيع الزهور لدى باب المسرح ٠٠ ووافق ٠٠ وسرعان ما انتعشت تجارتى ، وأصبحت أحظى بفرص دخول غرف الممثلات لأحمل اليهن الباقات من المعجبين !

وشهدت المسرح الحقيقى لأول مرة حين دعيت فى عيد ميلادى الثالث عشر الى مشاهدة مسرحية كانت ناجحة فى تلك الأيام ،

فرأيت للمرة الاولى الممثلين وهم يظهرون فى شخصيات غير شخصياتهم ٠٠ ولكنى لم أحتمل الفواجع التى توالت فى النهاية، فأجهشت بالبكاء ٠٠ وأخذ صوتى يرتفع حتى طردنى مدير المسرح من القاعة !

وكنت أسعى فى الصباح الباكر من كل يوم الى سوق (ليه هال) لأشترى الزهور ، فأحتك بالحمالين ، وأنصت الى ثرثرة الطاهيات وربات البيوت ، وأتعلم لهجات الطبقة العاملة فى باريس ٠٠ اننى كلما استرجعت الماضى ، تبينت ان ثمة رغبة جامحة كانت تحدو بى فى تلك الفترة الى دراسة الناس الذين قدر لهم فيما بعد ان يكونوا عملائى ! كانت تتملكنى الرغبة فى ان أمكث ما استطعت فى زحام العاصمة وصخبها ، رغم ان رقابة أمى صارت فى تلك الآونة أشد وأعتى مما كانت من قبل ـ اذ كنت أجتاز السن « الشائكة » ، وان كنت أذكر ان المراهقة لم تكتنفها مشاعر أو انفعالات بقيت فى نفسى ، اللهم الا اننى كنت استمرىء غمزات الشبان ، دون ان أكلمهم أو اعرهم انتباها ! ـ على اننى فى الخامسة عشرة من عمرى بدأت أعنى بمظهرى ٠ وأذكر اننى سمعت مرة ملاحظة عن صدرى ، فلما عدت الى البيت أخذت أفحصه باهتمام : كان كبيرا ، ومن ثم رحت ألفه كل ليلة ـ لمدة شهر ـ فى « لبخة » من « السبانخ » ، وهى طريقة تعلمتها من راهبات مدرستى القديمة، ولكنها لم تفلح فى ان تنقص من ضخامة صدرى ملليمترا واحدا !

اكتسبت اسمى المسرحى فى عربة قطار !

◆ وما لبثت ان سئمت بيع الزهور ـ لأنه لم يقربنى من المسرح خطوة واحدة ـ وعدت الى دروس الكمان والغناء ، ولو كتبرير لذهابى الى باريس مرتين فى الاسبوع ، مع الزميلتين السابقتين ٠ وكنت قد اتخذت زيا جديدا ، يتألف من « تايير » من المخمل ، وحذاءين بأزرار ، وقبعة عريضة تثبت بشريط يعقد تحت ذقنى ٠٠ وكانت زميلتاى قد أطلقتا على اسم « مس البيت » ـ وهو اسم بطلة « أوبرا » مشهورة ـ وكثيرا ما سارتا وأصدقاؤنا حولى وهم يهتفون : «مس

آل ـ ييت ٠٠ مس آل ـ ييت ! » على نسق هتاف الناس لأبطال الكرة ! ٠٠ وعرفني رجال محطة الضاحية بهذا الاسم ٠٠ حتى قدر لى ان أعثر على اسم ثالث فى القطار : فقد اعتاد ان يستقل العربة التى كنت اسافر فيها من (انجيان) الى باريس ، كاتب من مؤلفى « الاسكتشات » الاستعراضية يدعى « سان مارسيل » ، قدر له فيما بعد ان يساعدنى فى الحصول على أول عمل فنى ٠٠ وكان فى تلك الأيام قد فرغ من تأليف أغنية اسمها « فرتا نجيت » ٠ وفيما كان يهمهم بها يوما ، دخلت أنا العربة ، وكان ماضيا فى الهمهمة : «هذه فرتان ٠٠ فرتان من ؟٠٠ فرتانجيت » ٠٠ فلما رآنى ، هتف مبتسما : « أهلا بمس آلييت » ٠٠ ثم تابع همهمته : « هذه تان ـ تان ـ جيت ٠٠ مس آلييت ٠٠ مس تان ـ تان ٠٠ مس تانجيت ! » ٠٠ ثم التفت الى قائلا : « اذا قدر لك ان تظهرى على المسرح يوما ، فيجب ان تسمى نفسك « مس تانجيت »

وهذا ما فعلته عندما حصلت على أول عمل لى ـ بمساعدته ـ فى « كازينو دى بارى » ٠ ولم يكن الكازينو اذ ذاك على عظمته الحالية ، بل كان أقرب الى المقاهى التى تعزف فيها بعض الموسيقى ، وتقدم فيها برامج غنائية ٠ وكان الفنانون والفنانات يجوسون خلال الموائد ويسامرون الرواد ٠ ثم كانت هناك « العصفورات » ٠٠ الراقصات الصغيرات الأجسام ، ذوات السيقان الرشيقة ، والأقدام الدقيقة ! ٠٠ وكانت « نمرتى » فى « الكازينو » لا تستغرق سوى أربع دقائق ، ولكنى كنت أستغل كل لحظة فيها ٠٠ مقابل فرنكين فى الليلة !

وهكذا خرجت الى الدنيا الواسعة ٠ ولكنى لم أتجاوز الغناء فى المقهى ، اذ لم تكن لدى فكرة واضحة عما أسعى اليه ٠ كنت أتحسس طريقى كفنانة تؤدى « النمر » فى « الصالات » ، فليس ثمة دور مكتوب ، ولا اخراج منظم ، بل ان نجاحك يتوقف على مدى ما تبذل من جهد وابتكار ! لذلك كنت أتردد على متاجر الموسيقى ، فأبتاع آخر التسجيلات ٠٠ وكانت مهمتى الحقيقية فى تلك الأيام تتمثل فى ان اراقب زميلاتى فى صمت من خلف « الكواليس » وأنتقد فيهن ما أرى ان لا يصدر عنى اذا وصلت الى ما كنت اتوق الى الوصول اليه من عمل فنى ! ٠٠ ولم يحدث أبدا ان قلدت سواى ، فما خلقت ميالة للتقليد ، وانما كنت أفتح عينى لأتبين النواحى الحسنة والنواحى السيئة ٠ ولم أتعرف فى تلك الأيام على كبار الفنانين ، بل لم أكن أجرؤ على ان أتحدث اليهم ، فقد كانوا فى نظرى ٠٠ أنصاف آلهة !

« وزير الحشمة ! » و « النمر » العارية !

● وحدث فى ذلك العهد ان صادر وزير ـ أطلقوا عليه فيما بعد اسم « وزير الحشمة ! » ـ حفلا فنيا كان يتضمن ظهور بعض راقصات عاريات فى شكل الحوريات ، فشاعت اذ ذاك « موضة » الاسكتشات التي تتحايل الفنانات

فيها على مراوغة القانون ، بأن تخلع الواحدة ثيابها قطعة اثر قطعة أثناء «النمرة» التى تؤديها ، حتى لا يبقى سوى أصغر ستر يصونها من يد القانون ! ٠٠ ولما كان رواج الملاهى يتأثر عادة حين تتدخل « الحشمة » ، لذلك صدرت الأوامر الى أجمل فنانة فى كل فرقة بأن تعمل على خلع ملابسها ولو مرة واحدة فى كل ليلة ! ٠٠ أما أنا فتركت هذه المهمة لفتيات « الكورس » ، لسبب بسيط : هو ان أحدا لم يطلب منى خلع ثيابى ! ٠٠ وكنت قانعة بأن أظل ألقى أغانى بنجاح لا بأس به !

ومع ذلك فقد كان لى معجبون ٠٠ ففى الحفلة الصباحية - فى يوم الخميس من كل أسبوع - كان المعجبون بى من تلاميذ المدارس يأتون ويقدمون لى باقات الزهور الرخيصة ٠ وكنت أعود الى (انجيان) فى كل ليلة ، على أننى لم ألبث ان استأجرت غرفة قريبة من الملهى ، لأقضى فيها الليالى التى يفوتنى فيها آخر قطار ٠ وسرعان ما أصبحت تلك الغرفة ملتقى الطلبة ، وصاروا يتولون فيها الاعمال المنزلية ، ويفترشون الأرض عندما أبيت فيها ٠٠ فقد جعلوا من أنفسهم حراسا وحماة لى ، وكانوا فى أيام العطلات يحملوننى على الأكتاف ويطوفون بى الشوارع ، كما لو كنت ملكة !

الحياة بين « الكواليس » !

◆ وفى ملهى « تريانو » تذوقت حيـــاة « الكواليس » على حقيقتها للمرة الاولى !٠٠ كانت حياة قاسية ، على كل انسان ان يعتمد فيها على نفسه ، وان ينتزع لنفسه الفرص انتزاعا ! حتى اختيار الأغانى كان يتطلب صراعا وعراكا ٠٠ واذكر اننى تشاجرت مع مغنية - من أصل اسبانى - على أغنية ، فصدر لى الأمر بأن أنزل عن تلك الأغنية ! ولكنى انتويت فى نفسى أمرا ، فلما ظهرت الاسبانية لتلقى الأغنيـــة للمرة الاولى ، وهى أكثر ما تكون أناقة ، فوجىء الجمهور بى أظهر فى « شال » مهلهل ، وأشرع فى القاء الاغنية ذاتهـــا ! ٠٠ وضحك الجمهور ، بينما تملك الغيظ غريمتى ٠٠ ولكنى مضيت فى الغناء ونجحت نجاحا لم يدع لادارة المسرح فرصة للكلام ٠٠ وفزت بالاغنية !

واذكر اننى كنت اذ ذاك أقطع غنائى لألقى ببعض الفكاهات ، أو لأعلق على بعض الحضور بلهجة لاذعة ٠٠ ومع ان الاحتكاك بالجمهور لا يكون دائما مبعث سرور ، الا انه كان جزءا ضروريا من أجزاء العمل ! ٠٠ والاستحواذ على جمهور من الطبقة العاملة ، من أشد الأمور ارهاقا ٠ على أن المنافسات والمشاجرات بين « الكواليس » كانت أقسى منه وأعتى ، حتى انها لم تكد تترك فى المرء بقية من العقل ليفكر فى عمله ! ٠٠ وأظننى فى غنى عن القول بأننى ما لبثت ان أخذت نصيبى فى هذا الميدان ٠ ولم يكن منظرى اذ ذاك مغريا ، لأنى كنت أحرص على أن

أرتدى ثوبا من الحرير الأسود ، يكسونى من عنقى حتى اخمص قدمى ٠٠ ومع ذلك فقد أغرى هذا المنظر يوما أحد زملائى فى الملهى على ان يغازلنى فى قحة ٠ وكنت لحظتئذ أمسك بسكين استعرتها لأقطع بها خبزا ، فرفعتها فى يدى ٠٠ ولاذ الرجل بالفرار مذعورا !

والواقع اننى كنت اذ ذاك فتـــــاة طيبة ، فلم يكن من الســهل ان احتفظ بنقائى ، اذ كنت أحاصر بالعروض البعيدة عن الشرف ٠٠ غير انى كنت على استعداد لأن افرط فى كل شىء ، الا شيئا واحدا ٠٠ هو الذى كان ينشـــده أصحاب العروض !!

ابنى الذى أخذوه منى !

◆ وفى سنة ١٨٩٧ ، بدأ ارتباطى الطويل بملهى « الدورادو » ٠ وما لبثنا ان غدونا فى مستهل القرن الجديد ٠ على انى أعترف بأننى لم أكن بين «مغريات باريس » فى سنة ١٩٠٠ ، اذ كنت صغيرة ، ومغمورة ٠ كنت أحـــلم بملهى « المولان روج » ، لكننى لم أكن أعرف عنه أكثر مما كان يعرف عامة الناس : انه من المرافىء الاولى التى يجنح اليها كل من ينشد اللهو من دوقات الدنيـــا وأمرائها ! ٠٠ وكانت الراقصات المشهورات يجلسن على عرش المجتمع الباريسى مع عشاقهن من الأمراء ، محوطات بالمال والجواهر ٠٠ أما أنا فلم يكن لى مكان أمى قالت لى انها ليست بالمكان اللائق بالفتيات اللاتى يحترمن أنفسهن ، وانما فى تلك الأوساط ٠ بل انى كنت اغمض عينى حين أمر بحانة « مكسيم » ، لأن كانت ملتقى عشاق باريس ! ٠٠ على اننى لم أكن أشعر بشىء من الشـقاء لحرمانى من هذه الحياة البراقة ، اذ كانت لى مسراتى الخاصة ، على نطاق أقل ٠٠ كنت أدعى الى الحفلات والمآدب ، ولكننى كنت أرفض على طول الخط ٠٠ وكنت يومئذ على علاقة بشاب برازيلى جميل ، رقيق ، مرهف الاحساس ، يدعى « دى سيلفا » ، قدر له ان يكون أبا لابنى !

كذلك كان لملهى « الدورادو » رواده المخلصون له ، وأذكر منهم انجليزيا كان يشغل مقعدا معينا فى كل ليلة ، وقد زارنى ليلة فى غرفتى بين «الكواليس» وقدم لى بعض الزهور ٠٠ وكان اسمه « اوسكار وايلد » - الكاتب الانجليـزى المشـــــهور ! - وكنت اذ ذاك حبلى ، ولكن الأمر لم يكن ظاهرا ، فظللت أؤدى أدوارى ٠ وعندما وضعت ابنى ، رضيت أسرة أبيه الارستقراطية أن تعترف به ، بشرط ان تنتزعه منى ٠٠ فقبلت بعد نضال ! ٠٠ وما ان اطمأننت بعد النقاهة الى ان الحمل والوضع لم يؤثرا فى قوامى ، حتى عدت الى الغناء والرقص ٠ وقد منحتنى تجربتى تلك مع صديقى البرازيلى ، شيئا آخر الى جانب ابنى : لم يعد أهلى يحفلون بسيرى ومسلكى ! ٠٠ صـــحيح ان أمى كانت مهتمة بعملى ، تمحصنى النصح وتصنع لى الثياب ، ولكنى لم أعد أفضى اليها بكل شىء ٠٠ واذا



ابن مستنجيت « ليوبولد » ووالده



مستنجيت وولدها

كنت قد كذبت عليها ، فانما أردت ان أجنبها الهموم والأسى !

وقد قضيت عشر سنوات فى « الدورادو » ٠ ذهبت اليه نكرة ، وغادرته وقد نضجت للشهرة ! ٠٠ على ان مستقبلى كله كان يقوم على اسس أرسيتها خلال تلك الفترة : تعلمت ان أكون مخلصة لنفسى ، وبدأت أدرك امكانياتى ، كما عرفت فى نهاية تلك الفترة ما الذى كنت أبغيه من الفن ٠ ولقد عدلت اسمى خلال عملى فى « الدورادو » ، فبدلا من « مس تانجيت » ضممت المقطعين وجعلته « مستنجيت » ٠٠ وكنت القى أغانى وأنا جالسة على « كوشة » الملقن ، ماضية فى مشاجراتى مع أفراد الفرقة الموسيقية ٠٠ وفى تلك الاثناء ظللت أحلم بالظهور على مسرح « سكالا » الذى كان فى مواجهة « الدورادو » ، وكان يعتبر أرقى منه مستوى ، وان كانت مديرة الملهيين واحدة ٠٠ وما لبثت ان صارحت المديرة برغبتى ، فسمحت لى ، وأعارتنى ثوبا من أبدع أثواب الملهى ، كان وقفا على كبيرة فنانات « سكالا » ! ٠٠ على انى لم أكد أظهر على المسرح ، فتعزف الموسيقى ، وأفتح فمى للغناء ، حتى وجدت صوتى لا ينبعث ! ٠٠ وحاولت ، فلم أقو على ان أغنى أكثر من سطرين ، ثم غادرت المسرح وسط صمت جليدى ! ٠٠ وكان ذلك آخر عهدى بملهى « سكالا » ٠ وأدركت قيمة رواد

« الدورادو » الذين كانوا خليطا من كل نوع وطبقة . بيد أنى فى الوقت ذاته كنت أغلى كالمرجل ، غيظا وحنقا ، وساءت معاملتى لكل شخص ، حتى لم أعد أطاق .. واضطررت ـ ازاء شماتة زملائى ـ الى أن أستخدم نفس أسلحتهم .. و « مقالبهم » !

حيل ومؤامرات من أجل النقود !

◆ وكنت حتى ذاك الحين لا أحفل بالنقود ، ولا أحسب لها حسابا ، بل أنفقها فى اسراف ، دون وعى .. على انى ما لبثت ان تبينت ان ليس بوسعى ان أمضى فى هذا البذخ ! وعمد صديق لطيف ، مرح ، من أصدقائى ـ يدعى « دوتار » ـ الى ان يجعل من نفسه سكرتيرا لى . واتفقنا على خطة لاجتلاب النقود : فكان اذا سعى أحد المعجبين الى باب غرفتى بين « الكواليس » ، منعه من الدخول .. حتى ينفحه المعجب بشىء من المال ! .. وفى آخر الأسبوع ، كنا نقتسم الدخل ! .. وحدث مرة ان اتفقت مع أحد باعة القبعات على ان يقف تحت نافذة غرفتى .. فاذا زارنى معجب ، تناولت قبعته ، وأخذت أقلبها بين يدى ، ثم أقول له : « لقد آن الأوان لتبتاع قبعة جديدة » ، وأبادر فأطوح بها من النافذة .. ليتلقفها شريكى !

والتقيت مصادفة ذات مرة بممثل من « الدورادو » يدعى « درانيم » فى ملهى « اوليمبيا » ينشد عملا .. وسرعان ما خطرت لنـــا فكرة : فلما ذهبت الى « الدورادو » فى ذلك المساء ، أوحيت ـ فى لباقة ودهاء ـ الى مديرة الملهى بأن أصحاب « أوليمبيا » على وشك أن يغروا «درانيم» على الانضمام الى ملهاهم ! .. ووقعت المديرة فى الشرك بسهولة ، فرفعت مرتب « درانيم » الى مائة فرنك فى اليــــوم .. ومرتبى الى خمسين ! .. ومع ذلك فقد ظللت أقيم فى غرفتى المتواضعة ، ولم أكن اكثر من الخروج ، حتى لا أضطر الى الانفاق على أحدث الازياء .. على انى كنت فى بعض الأمسيات اخرج مع شاب يدعى « جان كوكتو » ـ الذى أصبح من كبار الكتاب الفرنسيين ـ وأصدقائه .. وقد كتب عنى مرة : « انها تمثل أطيب ما فى مدينتى (باريس) .. وهى تثير فى نفسى الوطنية التى لا أخجل منها .. » .. ولقد كنا نبتهج لوجودنا معا ، فلا نشعر بالدنيا المحيطة بنا . وكان وأصدقاؤه يتعلقون بمؤخرة عربتى ، وذيول ستراتهم الطويلة تمسح وحل الطريق ، وهم يضحكون تحت المطر المتساقط !

تدوس على بساط من ورق « البنكنوت » !

◆ وكانت أول رحلة هامة الى الخارج ، هى تلك التى قمت بها الى روسيا . وقد اقترحتها على صرافة « الدورادو » ، فرحبت بالفكرة ، من فرط ما سحرنى ما كنت أعلمه عن « ارشيدوقات » روسيا ، والحرس الامبراطورى ، و «الفودكا»

.. وكانت الصرافة ـ التى عينت نفسها مديرة لأعمالى ـ تشدد على الخناق ، فتمنعنى من قبول الدعوات ، أو استقبال الزائرين ! وكانت تفرش لى أرض الحجرة بورق « البنكنوت » ، وتسألنى ان اطأها حافية القدمين ، كى تجلب لى الحظ .. ومع ذلك ، كدت لا أجد نفقات عودتى الى باريس !

وفى سنة ١٩٠٩ زرت لندن لأول مرة .. فظهرت أسبوعيا على مسرح « الفارايتيز » ، وكنت ألقى أغنية موجزة ، و « نمرة » راقصة أكشف فيهما عن ساقى .. وحين انتهت مدة رحلتى الفنية ، عدت قافلة الى ملهى « الدورادو » بباريس . ولقد نسيت كيف كنت أقضى يومى فى ذلك العهد . كل ما أذكره اننى كنت أستيقظ فى ساعة متأخرة ، وآوى الى فراشى فى الساعة الثانية عشرة مساء ، أو الواحدة صباحا .. وكنت فيما بين هذين الموعدين ، أقوم بالتجارب أو التمثيل .. وكنت أحيانا أدعى الى العشاء فى مطعم صغير ، فأخلع حذاءى وأضع قدمى على صفحة فضية ـ فأنا دائما أخلع حذاءى ، لان هذا مفيد لكعبيهما ..

وبالاختصار ، كانت حياتى يومئذ مرضية الى حد ما .. كان اسم «مستنجيت»



صورة لمستنجيت
فى شبابها الباكر



ساقا مستنجيت اللتان كانتا
خطرا داهما على شركات التامين !

قد توطد ، ولكن فى مجال جد محدود ٠٠ وما لبثت ان أصبحت شيئا فشيئا « ملكة الدورادو » ، ولكننى كنت أريد أن أكون ملكة فى آفاق أخرى ! ٠٠ كنت أغنى ، وأرقص ، وأقوم بحركات بهلوانية ، وأبكى الناس واضحكهم - ولم أسمع بأن امرأة فعلت ذلك كله فى وقت واحد ! - ولكنى لم أتقن هذه البرامج كلها اعتباطا ، ولا فجأة ٠٠ فلكى أتخلص تدريجا من الغناء فى المقاهى الموسيقية ، اتجهت الى التمثيل الكوميدى ، وبدأت اقدم « اسكتشات » فردية تتخلل برامج الأغانى ٠ ولقد أنبأنى المخرج - فى أول تجربة لهذا النوع - بأننى لم أوت المواهب الفنية لذلك ، ولكن مهمتى لم تكن تهدف الى عرض مواهبى الفنية ، وانما لخلق مكانة « مستنجيت » ٠٠ التى تبتكر من الحركات ما يروق لها !

المعجب الذى راح ضحية غرامى !

✦ وما لبثت أن سئمت « الدورادو » - بعد أن قضيت فيه عشر سنوات - فسعيت الى مدير فرقة التمثيل بمسرح « الفولى دراماتيك » ، وما زلت ألح عليه حتى قبل ان يسمح لى بأن أجرى تجارب فى التمثيل لمدة أسبوعين ٠ وسرعان ما اعجب بى ، حتى انه عرض على عقدا لثلاث سنوات ، بأجر يقل كثيرا عما كنت أتقاضى فى « الدورادو » ، ومع ذلك فاننى قبلته مغتبطة ٠ ولكى يجعلونى أرهب الأدوار الرئيسية ، عرضوا على أحد الأدوار الاولى فى مسرحية « سيدة حانة مكسيم » من تأليف « فيدو » ، وكانت الفرقة ستقدمها فى (بروكسل) بعد ثلاثة أيام ! فاضطررت الى ان أستذكر دورى فى القطار ٠٠ ونجحت بتفوق سر له « فيدو » ، كما طمأن المؤلفين الآخرين ٠٠ ثم مثلت بعد ذلك سلسلة من المسرحيات الهزلية ، و «الاوبريت» ، مما أثار اهتمام الصحافة والرأى العام بى !

وكان بين المعجبين بى شاب خجول ، متهيب ، انساق الى حبى ٠ وقد ملت اليه الى درجة لم تسمح لى بأن أعبث به ، فصددته ! ولكنه كان يعود الى ليلة بعد ليلة ٠٠ وحاول يوما ان يقبلنى عنوة ، فعضضته فى قسوة عنيفة اذ اننى لا أحتمل أن يمسنى أحد دون ارادتى ، فأنا امرأة تحب أن يكون لها الخيار !

وتنفست الصعداء اذ ابتعد عنى ذلك المعجب ٠٠ لكنى لم ألبث ان وجدته فى انتظارى ذات ليلة خارج باب الممثلين ، فأخذ يكلمنى فى مرح ، حتى اذا استقررت فى القطار ، قال لى : « أما زلت رافضة ؟ » ٠٠ فأكدت له رفضى ٠ وظل أسبوعين يسألنى كل ليلة فأؤكد الرفض ٠٠ الى ان كانت ليلة دفع الى فيها والقطار يتحرك علبة صغيرة ، قائلا : « افتحيها بعد موتى ! »

وفى اليوم التالى ، علمت انه انتحر ! ٠٠ وبيدين مرتجفتين ، فتحت العلبة ، فاذا فيه ساعة ، وحافظة للساعة ، وخاتم ٠٠ وعلى كل منها نقش اعترافا بحبه ! وأحسست فجأة بوحدة طاغية !



الممثل الفرنسى الشهير « فرناندل » كما بدا مع مستنجيت فى احد استعراضاتها

بداية النجاح الحقيقى

◆ بعد سنة ، نقلنى مديرا مسرح « الفولى دراماتيك » الى ملهاهما الآخر « بوف باريزيين » ، حيث توفر الكاتب « ريفاد » على التاليف لى ٠٠ وأخذت أغنى باختيار ثيابى ، وصبغ ادوارى بشخصية خاصة ٠ كنت أعلم ان غانيات (المادلين) مثلا بالغات الجمال ، فاذا كان على ان ألعب دور غانية ، فقد يجوز ان أظهر بمظهرهن ، ولكننى أبدا لم أحاول تقليدهن ، بل كنت أؤثر ان أتصور نفسى غانية ٠٠ كنت أصبغ الدور بشخصيتى ٠٠ وهذا سر اختلافى عن الممثلات الاخريات ! ٠٠ ولقد أفدت فى هذا المجال بما اكتسبته وأنا صغيرة ، حين كنت أنصت الى لهجات الباعة والنساء فى السوق ٠ وكان من اثر نجاحى ان عرض على المؤلف الكوميدى الناجح « روبير دى فلير » الدور الأول فى تمثيلية فكاهية اسمها « بغل بوريدان » فى ملهى « جيمناس » ٠٠ فتحللت من العقد الذى كان يربطنى بملهى « فولى دراماتيك » ، وسرعان ما كنت أشترك فى تجارب

الرواية الجديدة ، واستمتع برؤية اسمى مكتوبا بالأضواء على واجهة الملهى ! وكانت تلك أول مرة أشعر فيها حقا باننى قد اصبحت كوكبا ! ٠٠ غدوت أخيرا فى الطريق المفضية الى النجاح !

وأخذت الاحظ ما طرأ على من تغير : كنت لا أزال نشيطة ، خفيفة ، جريئة ! على اننى أصبحت أستمرىء الحديث مع المثقفين ، ولم أعد أغمض عينى اذا مررت بحانة «مكسيم» أو أحرم نفسى من حياة المجتمع الباريسى الراقى ٠ حتى غراميات بنات الفن بالامراء والملوك لم تعد تبهرنى ! ٠٠ وأذكر ان « دوق دورليان » ـ المطالب بعرش فرنسا ـ كان وقتئذ يقدم زميلتى « اميلين دالنسون » الى أصدقائه الانجليز قائلا : « ابنة العم دالنسون ! » ٠٠ وكان بين « كليو دوميرود » وبين « ليوبولد » ـ ملك بلجيكا ـ صداقة وثيقة جعلت القوم يسمون ذلك الملك « كليوبولد » !

واعتدت ان أذهب الى مقهى « دى بارى » فى ذلك الحين مع « فيدو » ٠٠ ثم مع « ادوارد السابع » ملك الانجليز ، حيث كنا نتناول العشاء فى منتصف



الفنانة الكبيرة بين «شريكيها» فى استعراض بمسرح كازينو «دى بارى»



الزى المفضل لمستنجيت فى استعراضاتها

الليل ، فى جو من الترف الباذخ .. ولم أكن أهفو الى الرحيل الى الخارج ، فقد كان خيرة الامريكيين ، والبرازيليين ، يلهون فى باريس .. لذلك كنت أرفض كل دعوة للرحيل مع فرق فرنسية الى الخارج ..

وكانت السينما قد بدأت تثير ضجة جذبت اليها كثيرا من الممثلات ، دون ان يدرين انها ليست سوى مسرح مصور .. لذلك سرعان ما تألمن اذ رأين أنفسهن فى صور مشوهة على الستار ، حتى ان « ساره برنار » وقعت مغشيا عليها حين رأت نفسها فى « غادة الكاميليا » !

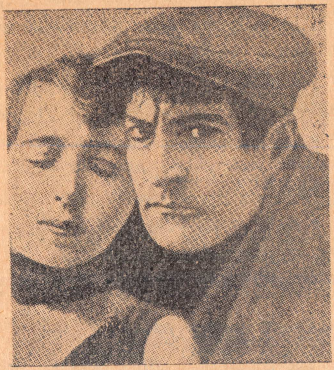
رقصة الرعاع غيرت مجرى حياتى !

● وكانت « لاشالوبيه » ـ رقصة رعاع باريس « الأباش » التى ظفرت برواج عالمى ـ نقطة تحول فى حياتى . كنت اذ ذاك موزعة بين المسرح الحقيقى و « الصالات الموسيقية » ، ولكنى ما لبثت ان قررت الاتجاه الى الأخيرة ، على نطاق أوسع مما كان قائما ـ وهو ما عرف فيما بعد ب « الاستعراض الكبير » ، وما أظن أحدا يمارى اذا قلت اننى خالقته ! ـ فعلى اثر نجاحى فى « بغل بوريدان » ، اتصلت بمخرج مسرح « الطاحونة الحمراء » ـ المولان روج ـ الذى كان يعرفنى من قبل ، وكان يعد استعراضا لمسرحه باسم « استعراض المرأة » ، فأعطانى دورا فى هذا الاستعراض . وفيما كنت أشترك فى التجارب ، راح يذرع الأرض بين « الكواليس » ، ثم قفز فجأة الى جوارى وقال : « دعينى أرى مدى مرونة قوامك ! » .. وراح يقوم ببعض حركات التثنى ، فأحذو حذوه ، وسرعان ما ابتكر لى رقصة « لاشالوبيه » : رقصة مليئة بالتثنى والترنح .. عنيفة وناعمة .. قاسية وحنون .. فيها فرار ومطاردة .. حنين وشهوة .. وقد أكسبنى نجاحها صيتا بعيدا ، وتهافتت على العروض المغرية من مسارح الاستعراضات!

وذات ليلة ، جاءنى رجل ضئيل الجسم ، أشقر الشعر ، يبين الخبث فى عينيه الضيقتين ، فعرض على عقدا لأربع سنوات ، لأظهر فى الكوميديات الموسيقية على مسرح « الفاريتيه » . ولم يكن الرجل سوى المدير المسرحى الذائع الصيت « صمويل » .. ومن العجيب انه كان قد عرض على العمل معه قبل ذلك ، ثم فشل الاتفاق لانه أراد ان أبدل اسمى .. اما فى هذه المرة ، فكان يسعى وراء اسمى ! .. وكان « صمويل » واسع الادراك ، فلما لاحظ ـ فى سنة ١٩١١ ـ اننى بدأت أمل مسرحه « الفاريتيه » ، أتاح لى فرصة الظهور فى « الفولى برجير » ، حيث نعمت بالغرامين الأكبرين فى حياتى مجتمعين : الظهور فى الاستعراضات الكبيرة .. وموريس شيفالييه ! ـ كما سيجىء الحديث عنهما فى أوانه



مستنجيت مع صديقها الممثل «ايرل ليزلى»



مستنجيت مع زميلها «ماكس ايرلى» فى رقصة الأوباش

ملوك .. فى حياتى !

◆ لم يشعرنى أحد من الملوك الذى عرفتهم ، بأنه ملك ! .. كان ادوارد السابع لا يختلف فى مظهره عن أى انسان آخر .. وقد التقيت به فى الفترة التى كنت أؤدى فيها رقصة « لاشالوبيه » ، فأعجب بها . وكان يفضل باريس على انجلترا ، ويتخذ من « الفاريبتيه » مكانا مختارا لسهراته فى معظم الليالى . وكان يعتبر ملك الأزياء فى نظر الباريسيين ، فكانوا يقلدونه فى كل شىء .. وأذكر انه نسى مرة ــ وهو ولى للعهد ــ ان يضم طرفى سترته بالزر السفلى فيها ، فاذا كل الرجال يفعلون ذلك .. وثنى مرة طرفى ساقى (البنطلون) تجنبا للبلل ، فأصبحت هذه الحركة (موضة) ! .. بل انه ظهر على خشبة المسرح بشخصه ، دون ان يفطن الجمهور : ففى مسرحية «فيدورا» ــ لساردو ــ كان على « ساره برنار » ان تظهر فى أحد المناظر وهى تبكى الى جوار جثة أمير قتيل .. فظهر ولى وعهد بريطانيا عدة مرات فى دور الجثة !!

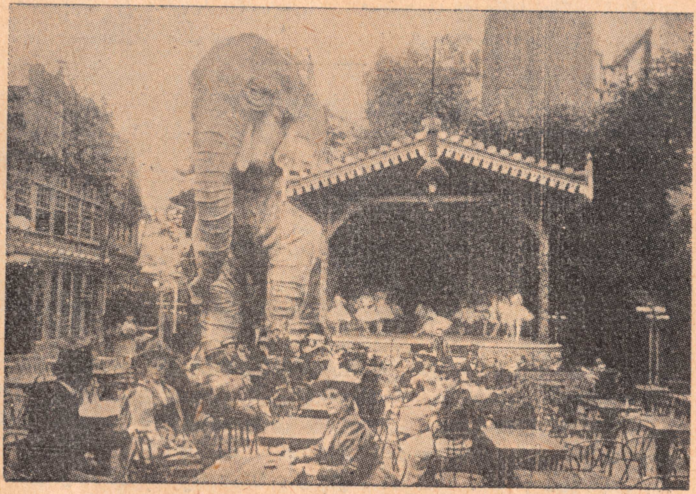
على انه عندما أصبح ملكا ، كف عن التردد على « كواليس » المسارح . وحدث ان التقت به يوما الممثلة « ريجان » الفرنسية ، فى (ستوكهولم) ، فاقبلت عليه فى وسط الطريق مهللة ، لكنه تجاهلها ومضى .. وفى اليوم

التالى ، تلقت مشبكا ماسيا وبطاقة جاء فيها : « لم يعد لادوارد السابع حق معرفة أصدقاء ولى العهد ٠٠ ولكن ولى العهد يقدم لك تحياته » !

ولا أزال أسمع صوته العميق ، وهو يقول لى باللهجة العامية الفرنسية التى كان يجيدها : « سوف تعرفين العالم كله بباريس يوما ما ٠٠ فان المرء لا يعرف باريس الا عن طريق نسائها ! ان عاملات المتاجر هنا لسن أجمل من مثيلاتهن فى لندن أو روما ولكنهن ينفردن بعبير خاص ، ومشية فاتنة ! » ٠٠ وقد أوحت الى عباراته هذه ببعض مقاطع أغنية « هذه هى باريس » ! ٠٠ ولقد كان «ادوارد السابع » يبدى اهتماما بآمالى ومشروعاتى ، كلما التقى بى ٠ وكان هو الذى علمنى لغة التلميح والاشارة على المسرح ٠٠ وتفاديا لتقولات الناس ، اعتدنا ان نلتقى فى مسكن احدى صديقاتى ٠ وحدث يوما ان نسى الملك عصاه هناك ، فوجدها زوج الصديقة ، وكاد الأمر ينتهى بفضيحة !

أمير روسى يشرب ١١٢ كأسا !

◆ اما علاقتى بالفونسو الثالث عشر ـ الاسبانى ـ فكانت من لون آخر ٠



ملهى «الطاحونة الحمراء» بباريس كما كان يبدو فى أوائل هـذا القرن

وكان اول تعارفنا عجيبا : فقد زارني احد رجال حاشيته يوما في مسكني ، لينبئني بأن الملك والملكة سيشهدان العــرض في تلك الليلة ! ومن ثم عنيت بمظهري ، واخذت طيلة التمثيل أتطلع الى المقصورات ، ولكنه لم يات •• واخذ زملائي وزميلاتي يتغامزون ويسخرون ، واشتد هزؤهم بي حين هبطت الستار في النهاية ولما يظهر الملك ، فما كان مني الا ان صحت في غضب : « اذا كان هو ملكا ، فانا الاخرى ملكة ! » •• واذا بي أرى الرجل الذي أوفده الملك في الصباح ، ينتظرني ليقدم عنه وعن الملكة اعتذارا ، ويذكر ان العربة الملكية في انتظاري لتحملني اليهما • لكني لم اكد أستقر في العربة حتى أمرت السائق بأن يتجه بي الى مسكني ! •• وعبثا حاول رسول الملك ان يحتج ، فلما هبطت أمام بيتي ، قلت له : « ابلغ شكري لجلالته » ! •• وقد التقينا بعد ذلك بأسابيع قلائل ، فضحكنا لما حدث •• واعتدت ان ألتقي بالفونسو بعد ذلك في (دوفيل) من آن الى آخر ••

ومن المعجبين الاوفياء بي « جوستاف الخامس » ملك السويد • وكان يفد الى المسرح ثلاث مرات في الاسبوع ، لكنه كان يتجنب ان يشعر به الناس • وكان يجلس مع ابنته في احدى المقصورات متواريين ، فاذا ما عثرت عليه عيناي أثناء التمثيل ، ابتسم خفية وهز رأسه •• كذلك أرسل لي قيصر روسيا « نيقولا الثاني » ، الامير « اورلوف » يدعوني الى (بطرسبورج) ، لكن الحرب حالت دون رحيلي • وكان « اورلوف » مغرما بأحجار الزمرد ، ومما يروى عنه ان الحرس القيصري الروسي والحرس الامبراطوري الألماني تنازعا فخر القدرة على عدم التأثر بالخمر ، فأوفد الحرس الأول « اورلوف » مندوبا عنه ليتبارى مع مندوب عن الحرس الثاني •• وبعد الكأس الثمانين ، فقد المندوب الألماني رشده •• أما « اورلوف » فشرب مائة واثنتي عشرة كأسا ! •• وفي اليوم التالي أصيب بنوبة من الشلل ، فاضطر للاستعفاء من الخدمة العسكرية ، ووفد على باريس ليقضي ما بقي من عمره في دعة !

رئيس جمهورية يموت وهو يشد شعر عشيقته !

◆ وكان « ميلان » ملك الصرب يؤثر هو الآخر باريس على عاصمته • وقد نزل عن عرشه لابنه فيما بعد ، واغتاله حرس قصره ذات ليلة ! •• اما الأمير « جيكا » - المطالب بعرش ألبانيا اذ ذاك - فقد تزوج من ممثلة فرنسية ! •• بل ان أحد رؤساء الجمهورية الفرنسية كان « دون جوان » كبيرا ، وكان على علاقة بسيدة اعتادت ان تتسلل الى قصره من الباب الخلفي ، فتدق الجرس بشكل خاص ، ليفتح لها بنفسه •• وذات يوم ، سمع الجرس ، فابتلع قرصا من دواء كان يتناوله كلما زارته ، وأسرع يفتح الباب ، واذا القادم كبير أساقفة باريس !

.. وظل طيلة الزيارة يأتى بحركات عصبية ، من تأثير القرص ، حتى اذا انصرف كبير الاساقفة ، فوجىء بالعشيقة تصل ، فتناول عدة أقراص أخرى .. ولكن الجرعة كانت أقوى من ان يحتملها ، فمات وهو يشد شعر السيدة ، التى راحت تصرخ فى ذعر وألم .. وكان ذلك الرئيس يدعى « فليكس فور »

وكانت سنوات ١٩١٢ و ١٩١٣ و١٩١٤ فترة زاخرة بالعمل ، وحافلة بالأحداث : من ذلك أننى التقيت بشيفالييه .. وان الاشاعة زوجتنى منه بالرغم منى !.. واننى ظهرت فى عدد من المسرحيات والأفلام - اذ كانت جهودى السابقة قد بدأت تؤتى ثمارها ، وأخذت أطمئن - بين آن وآخر - الى نوع من التفاؤل والابتهاج بالحياة .. ولو أن الحرب لم تلبث أن شرعت تقضى عليه !

وفتح مسرح «سكالا» - أمنيتى القديمة - ذراعيه لى ، فنسيت اخفاقى السابق. واستغرقت التجارب التى سبقت ظهورى فى هذه المرة سبعة أسابيع.. وكنت فى الوقت ذاته لا أزال أؤدى أدوارى فى «الفاريتيه» ، خضوعا لأحكام العقد .. وكان من جراء نجاح استعراض مسرح «سكالا» ، أن ظل يعرض حتى شهرمايو سنة ١٩١٣

وبعد ذلك الاستعراض ظهرت فى أحد الافلام ، ثم عدت الى الفاريتيه لأظهر فى «صالون الجمال» ، ولكنى ما لبثت بعد ثلاثة أسابيع أن اضطررت لأن أسلم نفسى الى مبضع الجراح ، لازالة الزائدة الدودية . وكان اضطرارى لملازمة المستشفى فرصة طيبة للراحة، امتدت من يونيه سنة ١٩١٤ ، حتى أغسطس.. وعندما غادرت المستشفى ، كانت الملاهى قد أغلقت أبوابها ، اذ أعلنت الحرب !

غرامى مع « موريس شيفالييه »

◆ عرفت «موريس شيفالييه» أول مرة حين زارنى فى غرفتى بملهى «الدورادو» ، وكان يومئذ فى نحو الخامسة عشرة والنصف من عمره !.. ثم رأيته بعد ذلك بثلاث سنوات أو أربع ، وكان يؤدى بعض «النمر» فى ملهى ليلى بمونمارتر . كان يغنى وكأنه يهمهم لنفسه ، فى اعتداد بهرنى ، وجعلنى أرى مستقبله أمرا مؤكدا .. ثم قابلته مرة أخرى فى « الفاريتيه » حيث كنت أعمل ، وكان يبتسم لى فأبتسم له!.. ثم توليت منصبى كممثلة أولى فى «الفولى برجير» وأخذت أظهر وسط حاشية من الاولاد والبنات، وهالة من ريش النعام، والسلم الذى كان من التقاليد اللازمة فى أدوارى .. وهناك سرنى أن أجد «موريس» بين أفراد الفرقة !

ثم اختير «شيفالييه» ليكون زميلا لى فى رقصة اسمها «الفالس القلاب» ، كنا نقلب فيه أثناء رقصنا كل قطعة من الأثاث وندفع بها الى خارج « الكواليس » ،

حتى اذا بقى البساط ، التففنا به ، ورحنا ندور فيه حتى ننحدر الى ماوراء «الكواليس» !٠٠ وكانت التجربة التى أجريناها خطرة ، فان التفافنا فى البساط ، ورائحة الغبار ، والعطور ، والبدن الدافىء ، جعلتنا نرتجف ٠٠ والتقت عيوننا فى الظلام ، فأخذ قلبانا يخفقان فى عنف ٠٠ وضمنى موريس٠٠ وتبادلنا قبلتنا الأولى !



الممثل الفرنسى الشهير « موريس شيفالييه » ٠٠ عشق مستنجيت فى شبابه !

ولم أعرف فى حياتى الخوف من ليلة العرض الاولى ، كما عرفته فى أولى ليالى عرض هذه الرقصة ! والخوف من المسرح أقرب الأشياء الى « الكابوس » الرهيب٠ انه شعور لايعرفه سوى المقامر ، ولكنى لم أكن مقامرة ، بل اعتقدت أن أحب الفوز دائما ٠ وكنت أخشى على «موريس» لا على نفسى !٠٠ ولكننى ما لبثت أن رأيته واقفا يغنى ، متمالكا نفسه ، وقد أنصت اليه الجميع وكأنه سلط عليهم لونا من السحر ٠٠ كان يمسك الجمهور بين أصابعه !٠٠ اذ ذاك ، أدركت انه خليق بالنجاح ، فتعهدته بالتدريب والتهذيب

جعلت « شيفالييه » انسانا !

◆ **والشائعات** التى ذاعت عنى وعن «شيفالييه» عجيبة ! لم يكن خطأ منى ولا منه أن اشتهرنا معا كزميلين ، فقد ظللنا نمثل سويا ، ونغنى سويا ، ونرقص سويا ، حوالى عشر سنوات !٠٠ وكانت صورنا ورسومنا وأخبارنا تنشر فى الصحف٠٠واذ كنا قد وقعنا معاهدة حب رسمية أمام الجمهور ، لذلك أرى من الخروج عن اللياقة والتواضع أن أتحدث عن حياتنا الخاصة ، وعن الساعات التى قضيتها فى تعليمه كيف

يغدو النجم الذى خلق ليكونه ! لقد كان مبذرا وبوهيميا حين عرفته ، لكنه ما لبث أن أثبت أنه عملى أكثر منى ، فاغتنى فى أمريكا ، وفارق بوهيميته .. على أنه فى تلك الأيام كان فتى خجولا ، يعيش فى أحلامه ، فاذا وجودى الى جواره يبعث فيه الشعور بالثقة. وعلى الرغم منى وجدتنى ازداد حنانا ، وخضوعا لسحره . كنت أنتشى اذ أجده بين ذراعى ، لكنى كنت أحس فى الوقت ذاته بأننى أحتضن حزمة من الاحتمالات والمسئوليات.. وكنت أهز نفسى وأهزه لنستيقظ من الاحلام ، ولأحمله الى الحاضر .. وهكذا صنعته ! علمته كيف يأكل ، وكيف يسير ، وكيف ينتقى ثيابه .. وكان تلميذا طيبا ، يستوعب كل شىء ، فجعلت منه انسانا ذا شخصية !

وكنت أصغى الى قصة طفولته ، بين أب سكير ، وأم كان يعبدها ، وعمل غير مستقر ، وافلاس ، وكفاح .. ولم أكن قبل ذلك قد اهتممت بانسان سوى « مستنجيت » ، وكنت قد درجت على ان أفعل ما أبغى ، فلم أحفل بالصعاب التى قابلتنى ، ولم أر فيها قصة تروى .. لذلك وجدت فى موريس نقيضى ، فأغرمت به ! .. اننى الى اليوم لم انس « شيفالييه » ، ولا أزال كلما ذكرته أشعر بذلك الاحساس الذى يهفو به قلبى اذا سمعت شدو عصفور !

ولم أفطن فى البداية الى الأهمية التى بدأ « شيفالييه » يكتسبها فى حياتى ووجودى .. ثم جاء غيابه حين دعى للخدمة العسكرية ، ومرضى وملازمتى المستشفى ، واعتقاله كأسير حرب .. فأبرزت هذه كلها ما كان فى أعماقى من حب كبير ! .. فعندما قامت الحرب ، دعى « موريس » الى الخدمة العسكرية ، فلم أتلق هذا بحزن كما تلقاه .. وكان اذا جاء فى « أجازة » تعشينا معا .. كانت الفترة بين الساعة الخامسة والساعة التاسعة تنقلنا الى عالم خاص بنا ، ننسى فيه الحرب وكل شىء

•• ثم مرضت ـ كما ذكرت ـ وبعد ان قضيت فترة النقاهة ، عدت لأجد الملاهى قد عادت الى نشاطها ••

موريس شيفالييه •• أسير حرب !

• **وفيما** كنت أؤدى دورى فى استعراض كبير اسمه « للحيطان آذان » ـ على مسرح « سكالا » ـ تناهى الى نبأ وقوع « موريس » فى أيدى الألمان ، محوطا بمبالغات رهيبة •• فرحلت لفورى مزودة بتصريحات المرور اللازمة ، فى طريقى الى (جنيف) ، مركز الصليب الاحمر الدولى ـ ومقر قيادة الجاسوسية الألمانية وجاسوسية الحلفاء ، كما عرفت فيما بعد ! ـ وأوقف القطار على مقربة من (سان) للتفتيش • وعلى الرغم من أوراقى واحتجاجاتى ، أصر الجنود على احتجازى ، وقادونى حافية القدمين ، فى ثياب النوم ـ التى ارتديتها فى القطار متأهبة للجوء الى الفراش ـ فقضيت ليلة فى السجن •• ثم ظهر ان مدير بوليس (سان) كان رئيسا لمركزالبوليس فى (مونمورنسى) فى صباى ، فعرفنى وأطلق سراحى ••

ووجدت فى انتظارى فى محطة (جنيف) مدير الصليب الأحمر ، الذى وعدنى بأن يبذل قصارى وسعه للبحث عن موريس • ومرت أيام ، أبرق خلالها الى جميع معتقلات الأسرى فى ألمانيا • وعندما أوشك اليأس ان يدب الى قلبى ، وصلت أنباء عن مكان « موريس » ، فبادرت بارسال طرد اليه ، ثم عدت الى باريس فكتبت الى ملك اسبانيا أناشده العون • ولم يخيب «ألفونسو الثالث عشر» رجائى ، فكتب يطمئننى ويعدنى بأنه سيعنى بالموضوع بنفسه •• ولم أستطع ان أمكث فى باريس ، فعدت الى جنيف لأشعر اننى على مقربة من موريس •• وأخذت الرسائل تتوالى بيننا عن طريق الصليب الأحمر

واذ أصبح الألمان على ثمانين كيلو مترا من باريس، اضطررت الى العودة اليها ، فاستأجرت دارا فى (بارامى) ـ احدى قرى

الريف ـ نقلت اليها أمى وأم موريس • وتعرضت خلال ذلك لتجربة أخرى : اذ قبض على ، اشتباها فى اننى جاسوسة ، وما لبثت السلطات ان اقتنعت بخطئها فأطلقت سراحى ••

وقوعى فى شباك الجاسوسية !

◆ **واذ عدت** الى جنيف من جديد ، وجدتنى وسط شباك الجاسوسية ـ جاسوسية الألمان وجاسوسية الحلفاء ـ وكان الجو مكفهرا ، متوترا ، وكان أعوان الهيئتين يتنافسون فى التقرب منى ! •• **وحـــدث ان دعيت الى حفلة أقامها رئيس الجاسوسية الألمانية فى جنيف ، فلما عرف هذا النبأ فى باريس، صار مبعث متاعب لى بعد الحرب ، اذ اتهمت بالتجسس لصالح الأعداء •• ووجدت عناء فى الدفاع عن نفسى ـ اذ كانت ثمة أدلة لم يكن بوسعى الافضاء بها ! ـ على اننى استطعت ان أثبت اننى فى الواقع كنت أعمل لحساب المخابرات الفرنسية •** وكنت فى البداية كالذى يسير فى نومه ، بل انى لا أدرى الى الآن كيف اندمجت فى هذه العملية ـ فالمرء لا يعرف لمثلها بداية ولا نهاية ، فما هو الا ان تبدأ ، حتى تجد نفسك منساقا دون ما خيار منك ! •• ولعل هذا هو السبب فى ان تجاربى فى الجاسوسية تذكرنى بالسينما •• اذ انها كثيرا ما تلوح لى وكأنها لم تحدث فى الحقيقة !

وبهذه المناسبة اذكر اننى لا أحب السينما كثيرا ، اذ انى لا أدرى كيف امثل أمام آلة ! وبدلا من ان أسعى لأستحوذ على ألباب الناس ، أجد « الكاميرا » تستحوذ على •• ومع ذلك فقد بدأت علاقاتى بالسينما فى سنة ١٩١٣ ، حين ظهرت فى ستة أفلام أو سبعة • وفى خلال الحرب تحولت السينما من « الميلودراما » الى الجريمة ، فظهرت فى سنة ١٩١٥ فى ثلاثة أفلام من هذا النوع ، كان أحدها يسمى «مستنجيت بوليس سرى» !

عودة شيفالييه ، وغرامنا

• **لن يقدر** لى قط ان أنسى القطار ، والمحطة ، واليوم الذى عاد فيه موريس شيفالييه ، فرأيته بعد فراق دام ٢٦ شهرا ! لم نعد زميلين فنانين ، وانما كنا شخصين أحب كل منهما الآخر .. أصبح كل منا ملكا للآخر . ولقد فرضت عليه مطالب ، وتوقعت ان يحذو حذوى ، ولكنه لم يحتج أو يعترض ! ولم أتبين حقيقة ما كانت عليه مشاعره الا فيما بعد ، فلقد « فقد نفسه » خلال الأسر ، وكان على استعداد لأن يحتمل أى شىء فى سبيل ان ينهض على قدميه ثانية .. **وما خطر لى انه حين يقدر له ان يجد نفسه ، وان يعزز مركزه ، لن يبقى معى ! .. لقد عاد من الاعتقال بغير نشاط ، ولا مال ، ولا روح ، فأى شىء كان يستطيعه غير ان ينحنى لرغباتى ؟ .. كان تعيسا ، ولهذا خيل الى أن كلا منا جد قريب من الآخر ، وانه صار رجلى ، أنا وحدى . لكنى كنت مخطئة ! .. كان الاعتقال قد علمه الصبر ، وكان يحصى الوقت على أمل ان يعود يوما الى سابق مكانته ، فيغدو سيد نفسه !**

وسعيت ، وتعبت ، حتى حملت مديرى « الفولى بيرجير » على ان يفسحا له مكانا .. ولقد أبيا ان يزيدا أجره على مائة فرنك فى اليوم ، فأشفقت ان يكسر هذا قلبه ، واتفقت معهما على ان يضيفا الى هذا المبلغ مائة فرنك من الثلاثمائة والخمسين التى كنت أتقاضاها يوميا ، دون ان يدعاه يعلم .. وهكذا خلقنا معا ، فى ١٥ مارس سنة ١٩١٧ ، « استعراض الفولى برجير الكبير » !

شيفالييه يتنكر لى بعد استعادة شهرته !

• **وكان** موريس يقيم وحده اذ ذاك ، وما لبثت ان اكتشفت يوما ثياب امرأة أخرى فى مسكنه ، فحرمت عليه ان يلج مسكنى الا اذا اذنت له ! .. على اننا كنا رغم ذلك سعيدين ، عاما بأكمله .. وفيما بين سنتى ١٩١٨ و ١٩٢٣ ، قدمت ثمانية

استعراضات كبرى فى « كازينو دى بارى » ، كان موريس زميلى فيها .. وكان نجاحنا عظيما ، فأصبحنا أعظم زميلين ! .. على ان موريس ما لبث ان طمع فى ان يطبع اسمه بنفس حجم اسمي فى الاعلانات ، وكان هذا مناقضا لعقدى ، وكفيلا بأن يثير أفرادا آخـرين فى الفرقة .. ولكن النجـاح كان قد لعب برأس موريس ، فخيـل اليه اننى احاول ان اؤثر على مستقبله ! .. وكف عن ان ينتظرنى بعد انتهاء التمثيل كما اعتاد .. واستفحل الأمر بيننا ، حتى غدا من المؤلم ان نمثل دور العاشقين فى حين ان كلا منا كان يود ان ينشب أظفاره فى الآخر ! .. ولقد حاولت أن أكتم ما بنفسى ، ولكن اليأس كان قد تملكنى ، اذ كان زميلى يبذل كل ما فى وسعه كى يسىء الى !

وفى صيف سـنة ١٩١٩ ذهبنا الى (فيرفيل) فى عطلة قصيرة ، ومعنا الثلاثة الذين قدر لهم أن يكتبوا لى أشهر أغانى فى العشرين أو الثلاثين السنة التالية .. على اننى اذ رأيت « شيفالييه » ماضيا فى مسلكه ، رأيت ان أقوم بجولة فى أمريكا ، على أمل ان أتفقد الجو لجولة فنية هناك .. فصحبنى « جاك شارل » ـ أحد الكتاب الثلاثة ـ وكانت الرحلة البحرية كافية لأن ترد لى ابتهاجى ومرحى ..

نهاية غرامى الأوحد !

◆ **وعندما** عدت ، كانت الهوة قد اتسعت بينى وبين موريس .. حتي انه تخلى عن مناصرتى فى صراعى مع الاختين « دوللى » فى سنة ١٩٢٥ ، وكانتا قد اتفقتا على الظهور فى « استعراض مستنجيت » فى « المولان روج » ، ثم تنكرتا للاتفاق فى اللحظة الأخيرة ، وظهرتا مع شيفالييه فى استعراض آخر في « كازينو دى بارى » ! .. ثم رحل موريس مع نجمة انجليزية من نجوم الاستعراضات الموسيقية الكوميدية الى لندن .. وما لبث ان رحل الى أمريكا ، حيث جمع ثروة ! .. ومنذ ذلك الحـين ، كنا اذا تقابلنا اقتصرنا على أحاديث « رسمية ! » ، فان شيفالييه



مستنجيت بين التوأمين « روكى » فى أحد الاستعراضات التى قدمتها أثناء رحلتها الى أمريكا

يمضى فى حياته كما يمضى فى رقصه .. انه لا يرقص ، وانما يقفز ! .. والحق انني لم أكسب من وجوده كثيرا ، ولكن فراقه ظل يؤثر على فى بقية عمرى ! .. ولست أشعر بحقد عليه ، ولكنى أعتقد انه قد آذانى وألحق بى الضرر .. كانت كل مظاهر سعادتنا أشياء مصطنعة ، حتى لقد خشيت فيما بعد أن تكون حياتى كلها مصطنعة .. زائفه !

لكن شيفالييه لم يشقنى متعمدا ، ولهذا فلست أحمل له ضغينة .. كل ما فعله هو انه حين نال كل ما كان ينشده منى ، هجرنى .. فأحال كل شىء فى عينى أسود ، حتى قرص الشمس ! .. ومع ذلك ، فاننى أعرف ان ليس على سوى ان أطلبه تليفونيا ، لكى يسارع الى ، ويتفانى فى اسعادى .. ولكنى ملاك ! .. لن أسمح لنفسي قط أن أفعل ذلك !

« زيجفيلد » يتخلى عنى ثم يجرى ورائى !

• **اننى** لم أكتشف أمريكا ـ وان كنت تمنيت لو خلقتها كأى استعراض مسرحى ـ ففى وسعك هناك أن تتذوق ، وأن تستنشق ، وان تلمس ، وان تعيش فى الثراء ! .. ولقد قمت بأربع رحلات اليها : واحدة للترفيه ، وواحدة كانت مخيبة لرجائى ، وكانت الثالثة نكبة ، اما الرابعة فكانت مظفرة !

وفى ٢٥ مايو سنة ١٩٢٣ ودعت « كازينو دى بارى » ، وبعد يومين رحلت الى أمريكا الجنوبية ، حيث كانت فرقة مسرح « فيمينا » الباريسية ومديرتها « مدام رازيمى » فى انتظارى ، لنقوم بجولة استغرقت ثمانية أسابيع .. وكان « فولتيرا » ـ أحد المديرين السابقين للفولى برجير ـ قد سبقنا ومعه فرقة أخرى ، انتزعت منا الرواد .. فكانت نتيجة رحلتنا كارثة كادت تفقدنى رشدى ! .. ومن ثم رحلت الى أمريكا الشمالية محنقة . وحدث وأنا على الباخرة ان تراهنت على الغوص فى ماء البحر ، ولم أكن خبيرة ، فامتلأت اذناى بالماء .. وسرعان ما اشتدت آلامى .. ولم يقم طبيب الباخرة بأى علاج ، فما أن وصلت الى نيويورك حتى كنت فى أسوأ حال ، لدرجة أن الصحفيين الذين كانوا يرتقبوننى فى الميناء لم يعرفونى !

.. وبالتالى لم يصدق مدير مسرح « زيجفيلد » فى (برودواى) ان التى أمامه ـ حين زرته بعد يومين ـ هى النجمة الباريسية الذائعة الصيت ، اذ كان المرض قد أهزلنى ، وشوه مظهرى .. فتملص من اتفاق كان بيننا !

ولم يعد أمامى سوى ان أعود الى باريس . على اننى ـ لحسن الحظ ـ اضطررت لارجاء السفر حتى يتسنى لى علاج اذنى .. وفيما كنت عائدة الى الفندق ذات مساء ، وجدت فى انتظارى أحد الأخوين « شوبيرت » ـ منافسى « زيجفيلد » ـ وفى جيبه عقد لستة شهور ! .. وما ان سمع « زيجفيلد » بذلك حتى أرسل ورائى سماسرته ، لكننى رفضت أية مفاوضات معه !

عودتي من أمريكا ، بدافع الحنين الى باريس !

◆ ونزولا على نصيحة متعهدي الرحلة عدت الى باريس لأعد الثياب التي أظهر بها في استعراضاتهما • وكانت رحلتي التالية الى أمريكا خالية من الاحداث ، رألفيت الاخوين المتعهدين في انتظاري •• وكان علي أن أظهر في مسرحية فكاهية اسمها «عيون بريئة» ، فبادرت من فوري الى تعلم الانجليزية - حتى انني حفظت كلمات دوري قبل أن يحفظ زملائي أدوارهم ! - وكان نطقي الركيك مدعاة لزيادة الفكاهة ، حتى انني سئلت أن لا أحاول تحسينه بل أبقيه على حاله !

وكان النجاح رائعا ! •• وظلت « عيون بريئة » تعرض طيلة الربيع ، وجزءا من صيف سنة ١٩٢٤ •• وبدأت موجة القيظ تزحف على نيويورك ، كما اشتد بي الحنين الى باريس •• لا سيما حين تلقيت ذات يوم خطابا من صبية فرنسية في الثانية عشرة من عمرها تقول فيه : « ألا عودي سريعا •• كل امرىء في الوطن رآك الا أنا •• انني أحفظ كل أغانيك ، ولكن لم أحصل على صورة لك تحمل توقيعك » ! •• لذلك لم يكد ينتهي عقدي حتى بادرت عائدة في لهفة •• لأظهر بعد ثلاثة أشهر على مسرح « كازينو دي باري »

وكان استقبال فرنسا لي حافلا ، بدأ منذ دخلت السفينة ميناء (الهافر) ••

وكان « فولتيرا » أول من استقبلني ، وأخذ الصحفيون والمصورون والأصدقاء وغير الأصدقاء يتأملونني وكأنهم يحاولون أن يكشفوا ما قد يكون طرأ علي من تغير ، اذ كان غيابي قد امتد أربعة عشر شهرا • وقبل أن أنفض عن قدمي غبار السفينة كان « فولتيرا » يسألني متى أبدأ الاستعداد للظهور في برامج « كازينو دي باري » ؟ •• وكم كانت صدمته حين أنبأته بأنني لن أظهر في برامجه قط ! كنت حانقة عليه ، لا من جراء النكبة التي منيت بها جولتي في أمريكا الجنوبية فحسب ، وانما لأنه باع في غيابي أغنية « مـون أوم » - أي رجلي - لناشر أمريكي ، وكانت هذه أغنيتي التي لصقت بي أكثر من كل أغاني • ومن ثم لم أكد أغنيها لأول مرة في نيويورك ، حتى تقدم الناشر يطلبني بألف دولار ، ويطالب المسرح بمثلها ! •• وأقسمت أن أحرص بعد ذلك على أن أسجل حقوقي في جميع أغاني ، كما أقسمت أن ألقن « فولتيرا » درسا لا ينساه ! وهكذا تركته يجري ورائي شهرا أو اثنين قبل أن أوافق على الظهور في « كازينو دي باري » • وكان لا بد لي من أن أبحث عن زميل يظهر معي ، فرحلت الى لندن لأقابل فنانا سمعت عنه ، يدعى « ايرل ليسلي »

كان « ليسلي » شابا مليحا ، نال نجاحا كبيرا - لدى الرجال والنساء على السواء - وكان مغرما بالأكل والشراب ، يتخذمن زجاجة الويسكي زميلا مفضلا! •• لكنه كان مجتهدا • وما أن رأيته حتى أدركت أنه خير من يصلح للظهور

معى ، فلقد اوتيت موهبة ادراك ما اذا كان اى شخص خليقا بأن ينسجم معى او لا ! .. ولست أعنى أننى ماهرة فى الفراسة ، وانما هى حاسة غريزية فطرية تجعلنى أدرك لأول وهلة مدى صلاحية الشخص لأن يرقص معى على المسرح . على أننى لم ألتق بعد بالزميل المثالى . وكم جربت من زملاء ، كنت آخذ الواحد منهم فأظل أصقله حتى أجعل منه فنانا ، أنيقا ، جذابا . وقد كان من خيرهم « ليسلى » هذا ، لذلك ما لبثنا أن ظهرنا معا على مسرح الكازينو فى ٩ نوفمبر سنة ١٩٢٤ ، فى استعراض « صباح الخير يا باريس » . وكنت شديدة الانفعال، اذ كانت باريس كلها قد اجتمعت فى الكازينو ، ولم أكن قد غبت عنها مدة كهذه من قبل .. فما أن ظهرت على المسرح حتى هز التصفيق أرجاء المكان .. وما أن قلت : « صباح الخير يا باريس » ، حتى نهض كل من فى المكان هاتفين : « صباح الخير يا مس ! » .. وأدركت أن باريس لم تنسنى !

كنت أعمل ٢٤ ساعة دون تعب !

◆ وفى سبتمبر سنة ١٩٢٥ بدأت تجاربى فى « المولان روج » لاخراج « استعراض مستنجيت » . وكنت فيه أكثر من نجمة .. كنت شريكة فى الانتاج ! وكان « ايرل ليسلى » الفتى الأول ، والاختان « دوللى » زميلتين فى الاستعراض ـ وان نقضتا الاتفاق فى اللحظة الأخيرة ، وانضمتا الى « شيفالييه » فى « كازينو دى بارى » ! ـ وكانت الاختان توأمين لأب كان حائكا فى بودابست ثم هاجر الى أمريكا ، وهناك انضمتا الى « سيرك » لتقوما ببعض « النمر » الرياضية .. ثم رحلتا الى لندن فى سنة ١٩١٩ حيث أحرزتا نجاحا هائلا .. ووفدتا على باريس لأول مرة فى سنة ١٩٢٤ ، فأثارتا ضجة ، وبلغ من نجاحهما أن احداهما استطاعت أن تبتاع « فيلا » فى (فونتنبلو) كان ملك أسبانيا يسعى لابتياعها ليقيم فيها اذا ما اعتزل الحكم !

ولم أرهق بالعمل يوما كما أرهقت فى تلك الفترة . كنت أختار كل شىء بنفسى ، وكانت هناك « نمرة » تظهر فيها عشر راقصات عرايا ، فتوليت بنفسى انتقاء الفتيات العشر من بين مائة فتاة تقريبا .. كما عنيت باختيار كل قطعة من ملابس المشتركين فى الاستعراض . كنت أعمل طوال ســاعات اليوم الاربع والعشرين ! ومع ذلك كنت مضطرة الى أن أظهر مبتسمة طيلة الوقت ، على الرغم من تعبى .. لكن الجمهور كان يحسدنى ويقول : « يحق لها أن تكون سعيدة ! ان لديها المال بالأكياس .. وسيارات ، وجواهر ، ولهو ! » .. والواقع اننى لم أدر وقتئذ هل كنت سعيدة حقا أم لا .. لم يكن لدى وقت لأتبين ذلك ! كان عملى وحياتى الخاصة قد امتزجا وأصبحا شيئا واحدا . كنت أعمل من أجــل الجمهور وحده .. والجمهور أكثر العشاق تدللا وأعصاهم على الرضى !

وفى ذلك العام - ١٩٢٥ - فقدت صديقا هو « ماكس ليندر » ، نجم الافلام الصامتة الأولى . كان ظريفا ، نظيف القلب والنفس ، وقد وجد وزوجته مختنقين بالغاز فى حجرة بفندق « بلتيمور » ، ولم يقدر لأحد أن يدرى سر انتحاره ! .. وكانت أفلامه وأفلام شارلى شابلن هى أحب الأفلام لدى . كان عنصر الأسى الذى يشيع فى أفلام شابلن يستحوذ على فؤادى . وقد لقيت « شابلن » للمرة الأولى فى « الفولى بيرجير » ، حيث كان يقدم فصلا فكاهيا صغيرا .. وراقصته مرة .

كنت أعطى دروسا فى التقبيل !

• وفى ١٨ ابريل سنة ١٩٢٨ ، قدم لأول مرة استعراض « باريس التى تدور » ، على مسرح « المولان روج » ، فكان نجاحه هائلا .. جائحا ! على أن أبدع « اسكيتش » أحببته كان « مدرس لغات أجنبية » ، وكنت فيه ألقن «ايرل ليسلى» دروسا فى التقبيل ! .. لقد كان من أروع « النمر » التى ظهرت فيها مع ليسلى .



مستنجيت مع زميلها الراقص « كارينزيو »

وكانت علاقاتنا على خير ما يمكن أن تكون العلاقات ٠ كنا نقيم معا فى مسكنى ، وكانت المظاهر توحى بأننا عاشقان ، وبهذا كانت الشائعات تهمس وراء كواليس المولان روج٠وعلى أية حال ، لا أنكر اننى كنت متعلقة به، الى درجة اننى اشتبكت مرة مع احدى فتيات فرقتى بالايدى من أجله ، اذ قالت : « انك فى سن جدته ٠٠ أما أنا فشابة ٠٠ وعندما تموتين سأرقص الفوكس تروت على قبرك » !

وكان اسمى فى تلك الايام أضخم اسم فى اعلانات باريس ـ بما فيها الاعلانات غير الفنية ـ فقد كان المعلنون يتهافتون على ترويج سلعهم باستغلال اسمى وصورى ٠٠ وكنت أغنم من وراء ذلك ربحا وفيرا !

الزفاف الوحيد الذى ظفرت به !

◆ وفى ١٤ نوفمبر سنة ١٩٢٩ ، ظهرت فى استعراض « فتاة باريس » فى « كازينو دى بارى » ٠٠ وكنت فى الفصل الختامى أظهر فى ثياب عروس ، متربعة على زهور البرتقال ، أهز أجراس الزفاف ـ وكان هذا هو الزفاف الوحيد فى حياتى ! ـ وقد ظهرت فى هذا المنظر حوالى ثلاثمائة مرة ، وما اشتهيت أن يكون حقيقة ، فانا لم أخلق للزواج ٠٠ ذلك انى أصبو دائما الى أن أكون الآمرة ، لا أن أتلقى أوامر من رجل !

وبعد أيام من تلك الليلة مات « كليمنصو » ٠٠ وتزوج « أغا خان » من الآنسة « كارون » ، التى قالت الشائعات أنها كانت بائعة زهور ، وقيل بل بائعة حلوى ، وفى قول ثالث انها كانت راقصة فى « الفولى برجير » ٠٠ والواقع أنها كانت حائكة ، وكانت تصنع لى ثيابى ! ٠٠ ثم انقلب « المولان روج » الى دار للسينما عندما ظهر أول فيلم ناطق ، وكان مغنى الجاز فيه « آل جولسون » ٠٠ لكننى لم أجد من نفسى ميلا للمرور بعد ذلك فى طريق جابرييل الذى يقوم فيه الملهى !

ولقد اتجهت فى بعض الاوقات الى المشروعات التجارية ! وكان أولها محلا للفطائر ذاع صيته تحت اسم « لابير دى لاجليت » ٠ وقد استعنت بأخى الاصغر « مارسيل » على افتتاحه فى سنة ١٩٢٣ ٠ وكنت أسعى اليه فى الساعة الواحدة صباحا ، بعد انتهاء عملى فى المسرح ، فأعقد فيه جلسات لتسجيل أدوارى ، وأبقى به حتى الساعة السادسة صباحا ! ٠٠ وقد ظل « لابير دى لاجليت » قبلة هواة الفطائر المصنوعة بالفاكهة ، من سنة ١٩٢٣ حتى سنة ١٩٥٣

ولم أكن أعرف التعب اطلاقا ٠٠ ولا عجب فى ذلك ، فانى لم أكن أتناول المشروبات الروحية قط ٠ كان النبيذ الخفيف هو أقصى ما أتناول كشراب ٠٠ كما اننى لم أدخن أبدا ٠٠ وكنت أحب أن أقضى السهرات فى الاصغاء الى أحاديث أصدقائى ، ومنهم « جان كوكتو » و « ساشا جيترى » ٠٠ وكنت اذا شعرت بالحاجة الى الراحة ، واظبت حوالى الشهر على النوم مبكرة ، وعلى البقاء فى فراشى اثنتى عشرة ساعة متواصلة ! ٠

رقصت رقصة البطن فى « الجزائر » !

◆ وفى يناير سنة ١٩٣١ ، قضيت وفرقتى أسبوعا فى (الجزائر) .. ولقد راق لى فى أحد الأيام أن أرتدى الثياب العربية وأسير فى الحى البلدى بمدينة (الجزائر) ، وكم دهشت اذ هلل المارة يحيوننى وقد عرفونى مذ وجت الحى ! .. وفى مأدبة أقامها لنا أحد الأهالى فى مزرعة خارج البلدة ، عرضت علينا بعض الراقصات « رقصة البطن » المعروفة . واستغرقت أنا فى مراقبة الراقصات وحركاتهن ، ثم خيل الى أنهن بطيئات أكثر مما ينبغى ، فاستعرت «بدلةالرقص» من احداهن ، ورحت أؤدى حركاتهن على طريقتى ، فسرعان ما تعلمنها .. وراجت هذه الطريقة فى (الجزائر) فيما بعد ، وأطلق عليها « رقصة مستنجيت » !

وأخذنا ننتقل فى جولتنا بعد ذلك بين مدن شمال أفريقيا ، ثم تابعنا الجولة الى أسبانيا ، فجنوب فرنسا ، فبلجيكا ، فهولندا .. وكانت الموهبة التى فطرت عليها فى التنظيم والتحكم فى الأمور ، وضبط زمام أفراد الفرقة ، سببا فى التغلب على كثير من المآزق .. وقد اكتشفت خلال هذه الرحلة أنهم كانوا يطلقون على فى العمل ، اسم « موسولينى » !

متاعب الفن .. ومتاعب العرش !

◆ وأذكر أن الملك ليوبولد والملكة استريد - البلجيكيين - زارانى وراء « الكواليس » بعد أولى حفلاتنا فى بلجيكا ، فقالت لى الملكة متلطفة : « أظنك جد متعبة ! » .. فأجبتها : « ان عملى يا صاحبة الجلالة ليس أكثر ارهاقا من الجلوس على العرش ! » .. وأعترف انها كانت «نكتة ثقيلة» ، ولكن الملك والملكة ضحكا لها ، فخففا من وقعها !

وعندما عدنا الى باريس فى نهاية أغسطس سنة ١٩٣١ ، كنت متعبة ، وقد أسقمنى السفر ، فقررت أن لا أقوم برحلات بعد ذلك .. ولكنى لم أتشبث بهذا العزم ! .. وكانت «جوزفين بيكر» تختتم موسمها يومئذ فى «كازينو دى بارى» ، وما لبث أن تولى ١٥٠ عاملا اعداد المكان لتبدأ فرقتى موسمها فى الخريف ، فى ٣٠ أكتوبر . وكان المسرح الدائر من أروع التجديدات التى صاحبت ذلك الموسم . وكذلك الجياد التى استعرناها من « سيرك » واخترعنا طريقة لنجعلها تركض على المسرح - دون أن تتقدم خطوة واحدة - اذ ربطناها الى حزام يتحرك بجهاز آلى !

٥٠٠٠ صورة فى أسبوع مع .. حمامة !

◆ وفى مارس سنة ١٩٣٣ ، ابتعت « فيلا مستنجيت » فى (الريفييرا) .. وكان افتتاحها حدثا تحدثت عنه المنطقة كلها : فقد أعد فى (جوان لو بان) موكب من الموسيقيين وراقصى وراقصات الملاهى الليلية ، ساروا على أضواء

المشاعل القوية حتى « الفيلا » .. وما ان استقر بي المقام هناك ، حتى شرعت أعد العدة لرحلتي التالية ! وكانت (فيينا) هي عاصمتنا الكبرى في هذه الرحلة : كانت اذ ذاك عاصمة اللهو في أوربا ، يحوطها الغموض ، ويستشرى فيها الاندفاع والانطلاق والتحرر .. ويسودها في الوقت ذاته القلق والاضطراب ! .. ولقد غادرنا باريس في سبتمبر سنة ١٩٣٣ على أن نقضى في الجولة شهرين ، ولكننا ظللنا فيها أكثر من عشرة شهور ! .. اذ قمنا خلالها بزيارات خاطفة لتونس ، ثم مرسيليا ، فجنيف ، وجسنا خلال سويسرا بأسرها. وكان البرد قارسا ، حتى ان قاعات الملاهى زودت بمدافىء ضخمة ! .. واتجهنا بعد ذلك الى روما وميلان والبندقية وبراج ، ثم الى (ستوكهولم) ، حيث أهدانى معجب سويدى حمامة أطلقت عليها اسم « جانيت » ، وأصبحت لا أفارقها ، حتى انني ربطتها الى شريط حريرى اعتدت أن أثبته في زر ثوبي .. وقد بلغ عدد الصور التي التقطت لى معها ٥٠٠٠ صورة في أسبوع واحد ! .. وفاق صيتها معى صيت جميع الزملاء الذين رقصوا معى على المسارح !

ببغاء وأغنية يعيدان « موريس » الى !

◆ وفي أغسطس سنة ١٩٣٣ ، احتفلت بزواج أخي « مارسيل » الى سكرتيرتي « فريزيت » . وكانت حفلة من أروع الحفلات وأفخمها .. ولقد أهديت العروسين دارا كنت أملكها في «بوجيفال» - على عشرين كيلو مترا من باريس - وفيما كنا نقيم في هذه الدار بعد الزفاف ، اخطرت بأن ضيفا سيفد للعشاء ذات مساء ، وتبينت ان طاهيتي أعدت عشاء يليق بملك ! .. وتأخر الضيف ، فلما وصل كنا جلوسا الى المائدة .. وتمتم الحاضرون بتحيات مقتضبة ، ثم أحنوا رؤوسهم على أطباقهم .. بينما قال القادم : « هالو . مس » ، فقلت : « هالو .. كيف أنت ؟ .. أجلس ! » .. وجلس الى الطعام مباشرة ، واذ ذاك انطلق ببغائى يردد أغنية «مون أوم» - «رجلى الحبيب» - فابتسم « موريس » .. وتكسر الجليد الذى كان يفصل بين شيفالييه ومستنجيت .. بفضل ببغاء وأغنية !

وتأبطت ذراع موريس بعد العشاء ، وخرجنا نجوس خلال الحديقة التي كانت مساحتها سبعة أفدنة .. ثم انحدرنا الى النهر .. وقال موريس ونحن نرقب الماء : « أرأيت ؟ .. ان كلا منا لازم للآخر ! »

وشعرت بسعادة غامرة ، فياضة !

وفي يونيه سنة ١٩٣٥ ، أنجبت « فريزيت » أول أطفالها ، وكانت بنتا أطلقت عليها اسم « جين » - تيمنا باسمى - وفيما كنا نحتفل بها ، تناولها موريس بين ذراعيه ، وراح يغنى لها .. حتى اذا غادرنا الغرفة ، بدا حزينا ، مكتئبا ..

وسألنى وهو ينصرف : « لماذا ؟ ٠٠ لماذا لم نكن نحن الزوجين والطفلة ابنتنا ؟ »
حقا ، لماذا ؟ ٠٠ لست أدرى !

قضيت أحلى الساعات فى نيويورك ٠٠ بين الزنوج

◆ كلما شعرت بسأم واكتئاب ، ساورتنى الرغبة فى السفر ٠٠ ومن ثم رحلت فى ديسمبر سنة ١٩٣٦ الى نيويورك ٠٠ ولم تكن الرحلة مسلية ، ولكن الأمل فى بلوغ نيويورك - برج بابل الهائل - كان يخفف من ضجرى ٠ ولم أكد أغادر الباخرة حتى وجدتنى محوطة بطائفة من الناس ، راحوا يحيوننى بحرارة ، وتبعونى الى الفندق ، وهم يطاردوننى بدرجة أزعجتنى ! ٠٠ وما لبثت أن عرفت انهم مندوبو الاعلانات للشركات الكبرى ! كان كل منهم يبغى أن يعلم كم أطلب من الدولارات ، فى مقابل أن أصرح بأننى لا أستخدم سوى السلعة التى يروج لها ! ٠٠ وكان فى وسعى أن أكسب مبلغا كبيرا من وراء ذلك ، ولكنى كنت أكره الالحاح والمطاردة !

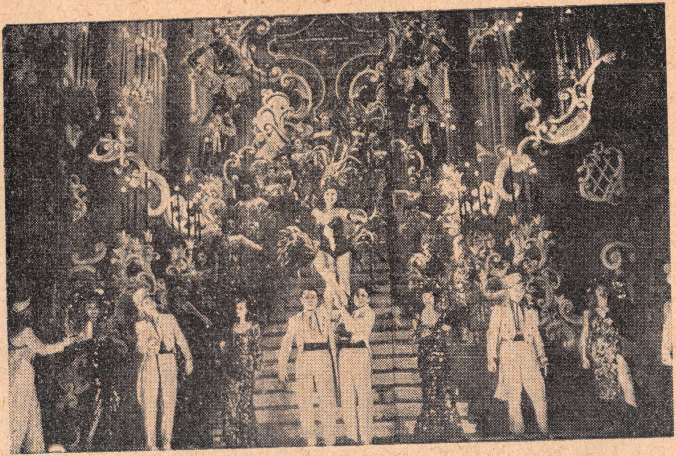
وقضيت فى (نيويورك) وقتا طيبا ، كانت أحلى ساعاته هى تلك التى قضيتها فى حى الزنوج أو فى نواديهم ٠٠ على اننى افتقدت فى المدينة الامريكية تلك المقاهى التى تبسط موائدها على الأرصفة ٠٠ وعلى العموم ، فان نزوات الامريكيين و « تقاليعهم » كانت مبعث تسلية لى !

المصرى الذى اكتشفته فرفعته الى المجد !

◆ كنت ذات مساء فى « الهمبرا » - بباريس - حين استرعى انتباهى عازف « الجيتار » الشاب فى الفرقة ٠ كان تكوينه الجسمى بديعا ، وصوته عندما غنى مقطوعاته مشبعا بالحرارة ، والحنان ، والاغواء !

٠٠ وأوفدت من يسأل عنه ، فعاد يذكر لى انه الأمل الذى يعتز به مدير الفرقة ، وانه يدعى « جورج لامبرو » ٠ وتحايلت حتى قابلته بعد انتهاء العمل٠ وما أن سألته عن أصله ، حتى قال : « اننى مصرى » ٠٠ وسرعان ما عهدت الى محامى بمهمة تخليصه من عقده مع « الهمبرا » ، وشرعت أعلمه فى مسكنى : كيف يسير ، وكيف يتحرك ٠٠ وغدا بالنسبة لى : الحبيب القادم من الشرق !٠٠ كان يونانيا من احدى أسرات الاسكندرية الكبيرة ، وقد قضى معظم أيام صباه هائما على شاطىء (سيدى بشر) يداعب أوتار « جيتاره » ، حتى أغراه خاله - وكان من أبدع العازفين على البيانو - على السفر الى باريس ٠٠ وكان كنزا رائعا !٠٠ قط لم يحاول أن يتقرب الى فتيات فرقتى ، أو أن يلعب من وراء ظهرى ، بل أخلص لى فى أمانة ٠٠ ولقد اشتهر بعد سنوات باسم « جورج جيتارى » !

وكان هو أكثر من دربتهم فى السنوات الأخيرة نجاحا ، اذ استطاع أن يصل الى أوج الشهرة !



مستنجيت فى أحد استعراضات مسرح «الفولى برجير» ذات الشهرة العالمية

أخيرا ٠٠ عرفت الحقيقة المرة !

◆ وقامت الحرب العالمية الثانية ٠٠ واذ هدد الألمان باريس ، اتجهت وابنى « جورج » ـ الذى كان قد عاد وقتئذ الى باريس ، وأخذ يكتب لى بعض الاغانى ـ وكذا عدد من الوزراء ، نحو جزر (انتيب) ٠٠ وكانت الطـرق مزدحمـة بالهاربين ، والبنزين نادر الوجود ٠٠ على اننى ما لبثت أن عدت الى باريس ، لأظهر فى « كازينو دى بارى » ٠ وكدت أبكى غبطة اذ قـدر لى أن أعمل من جديد ! ورأيت ان أغنى بعض الأغانى الانجليزية ، فحذرنى الاصدقاء من غضب الألمان ، ولكن الألمان كانوا فى الواقع يضحكون لهذه الاغانى ٠٠ وفى سنة ١٩٤٢ اشتركت فى برامج ملهى « ليتوال » و « الهمبرا » ، وكان أعظم بواعث الأسى فى نفسى اذ ذاك ان أزمة الاغذية اضطرتنى الى أن أقضى على مجموعة الكلاب التى كنت أعتز بها !!

ثم قدر لى أن أعيش حتى أرى تحرير فرنسا ! ٠٠ وأرى النسـاء حليقات الرؤوس ، لانهن سمحن لأنفسهن بارضاء نزوات الالمان ، فدفعن للوطن شعورهن ثمنا لذلك !

وفى سنة ١٩٤٨ رحلت مع فرقتى الى لندن ·· وفى « كازينو لندن » عرفت لأول مرة الحقيقة المؤلمة : فقد أحاط بى عدد من المصورين وأصروا على التقاط صورتى··وجريا على عادتى ، رفعت ذيل ثوبى ، لا كشف عن ساقى ·· وترددوا لحظة ، ثم التقطوا الصورة ·· على ان واحدا منهم كان أكثر ترددا من الباقين ، ثم اقترب منى قائلا : « لقد قيل لنا ان ليس من المسموح به تصوير ساقيك ، لان ·· لأن ·· » ثم تضرج وجهه خجلا وفر من أمامى ··

وفيما كنت أغنى أغنيتى المحبوبة « مون أوم » ، فى « كازينو لندن ». فوجئت بأن مقاطع الأغنية فرت من ذاكرتى ! ·· الاغنية التى ظللت أرددها عشرين عاما ! ·· وأخفيت وجهى فى راحتى مرتاعة ، ورحت أبكى ·· وأسرعت الى « الكواليس » ، ولكننى بعد ثانية أو اثنتين ، عدت أستجمع شتات نفسى ، واستطعت أن أتم الاغنية ·· وصفق الجمهور تصفيقا أنسانى ما حدث ، فابتسمت فى خجل ، وقلت : « لقد كنت أحبكم ·· أما الآن فانى ·· أعبدكم ! » ·· كنت فى الواقع أسيرة فضلهم !

وفى سنة ١٩٤٨ ، قمت بجولة فى مراكش ، ثم عدت الى باريس ، لأختتم حياتى الفنية ··

حياة النجوم سلسلة من « التمثيل » المتواصل !

◆ أما وقد أصبحت حياتى حرة ، ملكا لى ، فقد تحررت من كل القيود التى فرضتها على نفسى : وفى جزر (انتيب) ، فى سنة ١٩٥١ ، سمحت لنفسى بأول كأس من الخمر فى حياتى !

انهم يقولون اننى شخصية « فظيعة » ! ·· وقد أكون كذلك ، فقد كنت أخوض معركتين : معركة الحياة الفنية ، ومعركة الحياة العادية ·· ولم تكن هذه بالمهمة السهلة · كنت أرهق نفسى بالعمل ، لأضحك الناس وأبكيهم ! ·· أما حياتى العادية ، فكان على أن أسرق ساعات من وقت العمل كى أعيشها · ولست أذكر قط اننى حصلت على عطلة حقيقية ·· كنت دائما أرتاد المصايف ، والنوادى الليلية ، والمطاعم ·· وكل الاماكن التى يقترن فيها اللهو بالمال ·· ولكنى لم أكن أذهب للمتعة ! كل هذه كانت مواقع اختبار وتجربة اقمت على نتائجها شهرتى ·· وفيما عدا شيفالييه ، لم أحب أحدا ! ·· قد أكون تسببت فى عذاب بعض الرجال ، ولكنى لم أفعل ذلك رغبة فى الاستمتاع برؤيتهم يتعذبون ، فقد نلت أنا الأخرى نصيبى من العذاب !

ان للشهرة ثمنا ·· وحياة النجوم سلسلة متواصلة من التمثيل ! ·· وهكذا كانت حياتى !

الحياة قصة



روائع القصص العالمى

عزيزى القارىء :

قرأت معى فى الاعداد الماضية قصص:
• أموك : لستيفان زفايج • قلب عذراء : جون جالزورثى • مرتفعات وذرنج : أميلى برونتى • التلميذ : بول بورجيه • أحدب نوتردام : فيكتور هوجو • جريمة حب : بول بورجيه • جين اير : شارلوت برونتى • أيام بومباى الأخيرة : لورد ليتون • مانون ليسكو : الاب بريفو • حديقة الله : روبرت هتشنز • عندما تحقد المرأة : جورج أونيه • آسيا : ايفان تورجنيف • الشيطان على الارض : برتراند رسل • رسالة من مجهولة : ستيفان زفايج • الحب الاول : تورجنيف • تاييس : أناتول فرانس • بلاد العميان : هـ.ج. ويلز • نادى الانتحار : روبرت لويس ستيفنسون • كوخ العم توم : هارييت بيتشر ستو • الزوج والعشيق : سومرست موم • البوهيمية : هنرى مرجيه • فتاة لها ماض : بول بورجيه • شيرى : كوليت • الجريمة والعقاب : دستويفسكى • لحن كرويتزر : تولستوى • أميرة مصر : جورج ايبرز • الامطار : سومرست موم • افروديت : بيرلويس • جيجى : كوليت • الشيطان فى الجسد : ريموند راديجيه • ليبوريللا : ستيفان زفايج • كانديد : فولتير • اشجان فرتر : جيته • فرانشسكا : موباسان • لوريت : الفريد دى فينى • المعطف : ن • جو جول • يوميات زوجة • الافق المفقود • النار الخالدة • الوحل • وهاك اليوم: «أبناء..وعشاق»



أبناء.. وعشاق!

قصة كبرى

للروائى الإنجليزى الشهير د. هـ. لورنس

هذه القصة .. واقعية !

◆ فى العددين ٤١ و ٤٢ من « كتابى » ، قرأت قصة حياة الاديب الانجليزى الكبير « د . هـ . لورنس » ، وعرفت شيئا عن العقدة النفسية التى ولدها فيه تعلق أمه الزائد به ، وتعلقه هو بها - انعكاسا لحبها - حتى لقد طردت من حياته العاطفية كل عاطفة نحو امرأة أخرى ، وكان شبحها يقف بينه وبين كل فتاة يجذبه حسنها .. فاذا هو يعجز عن أن يحس نحوها بغير الحب الجنسى ، وحده .. أما الحب القلبى ، الصافى ، فكان وقفا على أمه دون سواها !

واذا أنت قرأت هذه القصة - بعد أن قرأت حياة مؤلفها - فلن تملك غير أن تشعر ، شعورا يقرب من اليقين ، بأنها ليست الا قصة « واقعية » ، تصور - أروع تصوير - حياة « لورنس » الخاصة ، والصراع النفسى الموجع الذى عاش فريسة له .. الصراع بين عاطفته القوية نحو أمه ، وعواطفه الجنسية الحادة نحو غيرها من النساء ! .. ويزيد فى ترجيح هذا الظن ، أن «لورنس» كتب القصة فى عام ١٩١٣ ، بعد وفاة أمه بفترة وجيزة !

فتعال نقرأ ونستمتع بهذه القصة التحليلية النادرة المثال :

- ١ -

◆ (جرترود كوبارد) فتاة جميلة ، شغوفة بالقراءة والمناقشات الثقافية . متزوجة من « جاهل » يعمل فى مناجم الفحم يدعى « والترموريل » .. وهى لا تلبث أن تتبين فيه فوق جهله أنه سكير كذوب ، فتصاب حياتها الزوجية منذ البداية بتصدع خطير ، ويعيشان منفصلين - وان جمعهما سقف واحد - معيشة تصفها جرترود فيما بعد لابنها « بول » حين يغدو رجلا ، بقولها : « لم يكن لى زوج قط ! »

وتستعيض « مسز موريل » عن حب زوجها باسباغ حبها وعطفها على أطفالها « وليم » و « آنى » و « أرثر » و « بول » .. وحين يتزوج الاولون يزداد تعلق الام بالاخير « بول » ، فتفرغ فى حبه كل طاقتها من العاطفة ، الى حد يعجز الفتى معه عن أن يعلق قلبه بأية امرأة أخرى !

ويشب « بول » ، وتنمو قوته ، لكنه يظل شاحب اللون ، مرهف الاحساس ، يميل الى الهدوء ، ويشارك أمه آلامها ونفورها من أبيه ! .. وحين يشترى اصدقاء الاسرة — « آل ليفرز » — مزرعة مجاورة لبيت موريل ، يتردد « بول » على جيرانه الجدد ، ثم يتحول اهتمامه من الاخوة الذكور الى اختهم « ميريام » ذات الجمال الخمرى الاخاذ .. وتشغف الفتاة به شغفا يشبه العبادة ! .. وحين يصاب « بول » بمرض يقعده عن العمل عشرة أشهر ، تزداد صلة الاثنين توثقا .. ولكن « ميريام » تقيم بينها وبين « بول » حاجزا من « الروحية » يحرم الفتى من كل متعة !

* * *

• على أن « مسز موريل » لاتكاد تلحظ نمو العاطفة بين الحبيبين ، حتى يشتعل قلبها كرها وحقدا على الفتاة التى تريد أن تستحوذ على قلب ابنها ! ومن ثم لا تفتأ تؤنب « بول » على قضاء الساعات الطويلة فى صحبة « ميريام » ولا تدعه يستريح الا عندما يؤكد لها انه لا يحب الفتاة ، وعند هذا تقبله الام بحرارة ! .. وتحدث محاولات الأم أثرها ، فيفتر تعلق «بول» بفتاته ، وترى هى منه ذلك فتعتزم أن تختبر حبه ، فتقدمه الى امرأة أنيقة جذابة تدعى « كلارا دويس » تعيش منفصلة عن زوجها . وهكذا يجد بول نفسه فى مفترق الطرق : بين المتعة الكاملة والحرمان المطلق ! .. فيختار المتعة ، مع كلارا ! ولا يكاد يتقرب اليها حتى يحس « بانطلاق » عجيب لم يحسه قط مع ميريام ! .. ولكن ، قبل أن يصل الى غايته .. أقبل الربيع !

— ٢ —

• .. أقبل الربيع ، فتفتح قلب الفتى للحياة ، وأضناه شبابه ! أشعل فى دمه حمى الشوق للعذارى ، حتى أكلت

أعصابه .. فعاد الى « ميريام » ، وخياله يزين له أن يقتات من شبابها .. لكنه جبن عن المضى الى غايته ، ومكاشفتها برغبته ! .. فمضت أسابيع ، وهو فريسة صراع أليم تدور رحاه فى نفسه ، بين الاقدام والخجل .. بين رغبة قوية ، ورهبة أقوى !

الى أن جاء مساء ..

كان بول مسترخيا على مقعد مريح فى ناحية من المزرعة ، وميريام الى جواره . فبادرها بعد فترة صمت : «اننى الآن فى الرابعة والعشرين ! » .. وكانت هى مطرقة ، فرفعت اليه بصرها متسائلة : « أعلم ذلك ، ولكن ماذا تقصد ! » .. وكان فى الجو المكهرب شىء أخافها ، فأجابها بول : « يقول السير توماس مور أن الرجل يستطيع الزواج فى الرابعة والعشرين ! » .. فضحكت ضحكة خافتة وهى تقول : «وهل يحتاج الامر الى رأى سير توماس مور ؟ » .. فساد جو من التوتر والترقب ، قطعه هو بقوله : « .. وانا لا أستطيع الزواج منك ، الآن .. فان المال يعوزنا .. ثم ان أسرتى تعتمد على .. لكننى فى أمس الحاجة الى أن « أتزوج الآن ! » . . فقالت وهى تحدس ما يدور فى خاطره : « تريد أن تتزوج ؟ » ، فقال : « نعم ، فانه .. تلزمنى امرأة .. أتفهمين ؟ » .. فلم تجب . أما هو فاستطرد متسائلا : « ترى .. اتحبيننى ؟ » .. فضحكت فى مرارة ، ولاذت بالصمت .

ـ لم يخجلك الامر ؟ .. انك لا تخجلين من الله ، فلم تخجلين من الناس ؟

ـ كلا .. لست خجلة .

ـ بل انك لكذلك . لكن الذنب ذنبى .. اننى أحبك حبا فائقا ، لكن الحياء يقعدنى . اننى كسيح الروح .. فيا لبؤسى ! »

ثم استطرد وهو يستجمع جرأته : « الا توافقيننى على

أننا قد غالينا فيما يسمونه .. طهرا .. وعفة ؟ »

رفعت الفتاة نحوه عينيها القاتمتين ، وقد بدا فيهما الفزع .. بينما أردف هو : « لقد أجفلت أنت عن كل شيء « من هذا القبيل » .. فأجفلت أنا بدورى ، أكثر منك ! »

وران على المكان صمت ثقيل ، ثم قالت الفتاة : « نعم ، ان الامر لكذلك »

ـ ولكن يا عزيزتى .. ان سنوات من التفاهم الوثيق تربطنا .. حتى لأشعر بأننى عريان أمامك !

.. فنظرت اليه بعينين تفيضان ألما واشفاقا ، فقد لمحت فى قتام حدقتيه انه يتعذب . انه دائما قلق ، غير مستقر ، يسعى لكى يجد لرغبته المكبوتة منفذا ، ومتنفسا ! .. اذن فليفعل بها ما يحلو له ، ولتعطه ما يشاء ! .. انها لتحس أن فى طوقها أن تتألم لينعم هو .. وأن تتحمل من أجله أية تضحية ! .. فمالت نحوه ، ووضعت يدها على ركبته وهى تريق عليه نظرة حنان دافقة ، فتناول يدها وقبلها .. لكن ذلك آلمه ! أحس انه يفنى نفسه قربانا على مذبح طهرها .. وثارت نفسه ، فجذب الفتاة نحوه فى رقة ، وقبلها ! .. وفيما هى تستجيب لقبلته جعلت تتأمل عينيه . كان يلتمع فيهما لهب قاتم خلبها ، وكان قلبه يضطرب بعنف فى صدره ، حتى ليكاد أن ينخلع .. ورغم ذلك فقد ظل ثابتا فى جلسته لا يتحرك ..

ـ فيم تفكر ؟

فأجابها اللهب الذى فى عينيه برجفة واختلاجة ، ثم قال : « كنت أفكر فى أننى أحبك . لكم كنت عنيدة ! » .. فأراحت رأسها على صدره وهى تغمغم : « نعم » .. بينما كان فمه ينحدر على رقبتها فى نشوة الظمآن ، ثم رفعت رأسها وثبتت ناظريها فى عينيه ، فانسكبت منهما نظرات تفيض وجدا وهياما .. لكنه لم يقو على مواجهتها ، فأدار رأسه عنها

وقد ذابت نفسه أسى ولوعة .. فمضت تهمس له : «قبلني !» .. فاغمض عينيه وقبلها ، وهو يضغطها بين ذراعيه ويجذبها الى صدره بقوة

وفيما هما عائدان عبر الحقول قال لها : « لكم أنا فرح بعودتي اليك .. سنغدو سعيـدين ! » .. فغمغمت ودموع الانفعال في عينيها : « نعم » .. بينما استطرد هو : « ان فينا شيئا من الشذوذ ، يجعلنا نحجم ، بل نهرب ، من نفس الشيء الذي نريده ! يجب أن نحارب هذا الشعور »

وكانت قد توقفت عن السير عند شجرة متهدلة الاغصان ، وسط الغابة الحالكة ، فقبلها وأصـابعه تتحسس وجهها .. فقد أنساه الظلام أنها فتاته بعينها ، ولم يعد يذكر سوى أنه يحتضن امرأة .. فثار شـبابه فيه وضمها اليه بشدة ، كمن يريد أن يعتصرها !.. ثم غمغم وهو يخفي وجهه في كتفهـــا ملتاعا : « سأكون لك يوما ! » فأجابتــه : « ليس الآن » .. وغاص قلبه ، وتولته كآبة موحشة ، فخفف من قبضته عليها .. لكنها تعلقت به قائلة : « أحب أن أحس بذراعيك هنا . لكم يريحني ذلك » . وضغط ساعديه على ظهرها ، حول خصرها ، فطوقها بأقصى قوته ..

ــ ان كلانا للآخر ..

ــ نعم

ــ اذن فلم لا نكون لبعضنا .. كليا !

فأجفلت ، مغمغمة : « ولكن .. »

ــ اعلم أن ما أطلبــه كثير .. ولكن أليس في امكانك أن تثقي بي ؟

ــ انني أثق بك .. ولكن ..

ــ ماذا ؟

وندت من صدرها صيحة يأس ولوعة ، وهي تخفي وجهها في عنقه : « لست أدري ! » .. وتولتها عصبية « هستيرية » ،

وبدا عليها الرعب ، فمات قلبه فى جوفه ..

ـ لعلك خائفة ؟

ـ نعم .. اننى خائفة !

فرشقها بقبلة ناعمة وقد عاودته رقته ، ثم أضاف وهو يهدىء من روعها : « دعك من هذا ، وليكن كما تريدين ! »

وفجأة .. ادارت ذراعيه وراء ظهره ، وصلبت قامتها أمامه ، ثم قالت من خلال أسنانها المضمومة : « سوف تحظى بى ! » .. فوثب قلبه ، كما لو شبت فيه النار ، وضمها الى صدره فى عنف ، وانطلق فمه يتسلق رقبتها .. فلم تحتمل ، وانفلتت من قبضته .. فودعها بقبلة خاطفة ثم تسلق السور الصغير المكسو بالحشائش . وفيما هو يتلفت حوله ، لمح تحت الشجرة الباسقة ظلا باهتا مستديرا ، هو كل ما بقى من وجهها فى الظلام ، ونادته بصوت ناعم : « الى اللقاء » .. فانصت برهة ، ثم استدار ومضى فى طريقه مسرعا .. وحين بلغ جدار الشجيرات المشرف على البحيرة انحنى فوقه ، شبه مصعوق ، يتأمل صفحة الماء السوداء .. بينما مضت ميريام عبر المراعى فى اتجاه بيتها ..

- ٣ -

* ومضت الأيام ، وميريام تروض نفسها على ما اعتزمته : انها ستهب نفسها لحبيبها ، اذا أصر وألحف ! .. ولن تخشى أقاويل الناس ! .. كل ما تخشاه ـ وكان قلبها يسقط من حالق لمجرد التفكير فيه ! ـ ان يصاب حبيبها بخيبة أمل ، فلا يجد عندها ريا لظمئه القاتل .. وعندئذ سيذهب ، وينصرف من حياتها الى غير رجعة ! لكن هذا الخطر المحتمل لن يعوقها عن التضحية التى اعتزمتها ، فان بول يلحف فى الرجاء ، وهى تشفق من أن يتحطم حبهما على صخرة هذا الالحاح ، اذا لم تبادر الى ارضائه ! ـ فانه ليس الا رجلا كسائر الرجال ، يسعى وراء اشباع رغباته ـ ولكن .. كلا ، ان فيه شيئا « أعمق » من ذلك . لقد قال لها مرة ان « الامتلاك » لحظة خالدة بين اللحظات ، تتركز فيها جميع الانفعالات القوية ، وتبقى ذكراها مدى الحياة .. ولعله محق اذ ينالها ! .. وعند هذا الخاطر كان يختلج جسدها كله بقوة ، اختلاجة غير ارادية ، كأنما هو

يصطدم بشيء . ان الحياة هي التي قادتها بالرغم منها الى مفازة الألم هذه . . فهي ليست مخيرة حين تستجيب . ان عليها ان ترضي رغبة بول ، أيا كانت ، فلقد طالما كان ارضاؤه أمنيتها الكبرى . ولقد راضت نفسها ، وراضتهـا ، وراضتها ، حتى استكانت للأمر الواقع ، ووطنت عليه النفس راضية !

... وتغير مسلك بول نحوها . تحول من ملاطفة صديق الى غزل عاشق ! وأحيانا ، عندما تلهبه عاطفته ، كانت تبعد وجهه عن وجهها ، وتتنـاوله بين راحتيها ، كي تطالع مافى عينيه . لكنه لم يكن يقوى على مواجهتهـا . كانت عيناها الداكنتان المفعمتان بالحب ، والشوق والترقب ، تحمـلانه على أن يدير بصره بعيدا . انها لاتدعه لحظة واحدة لينسى . وحين يفترقان : كان يضنيـه التفكير فى مسئوليته ، ومسئوليتها !.. وهكذا حرم كل راحة ، أو استجمام ، أو نسيان ، واستبد به شيطان الرغبة وجوعها المبرح ، الذى لم يكن يعنيه غـير أن يشبع ، من أية مائدة تبسط أمامه ! متى يفيق من هذه « الاغماءة » الرهيبة ، ويعود انسانا حصينا ، يتأنى ويفكر ؟ !

ولم تعد ميريام تحتمل صرخات روحه المعذبة.. كان يبدو دائما كمن يريد أن يصيح : « دعيني وشأني ، دعيني بربك ! » .. لكنها لم تدعه ، فقد كانت مشوقة الى أن ترى ظمأه وقد أطفىء ، فعاد ينظر اليها ـ كما كان قبلا ـ بعينين مفعمتين حبا .. وليس بعينيه المتلظيتين بالنار الحمراء الجامحة !

... لم تعد ميريام تحتمل ، حتى جاء يوم ..

كان النهار فى آخره ، والشمس مضرجة بدماء الغروب ، والغيوم تتسكع فى صفحة السماء قاتمة ، دافئة ، فخرج بول الى حديقة البيت الخلفية الملآى بأشجار «الكرز» الضخمة الباسقة ، ذات الثمار القرمزية والاوراق الداكنـة .. فتسلق شجرة منها حتى بلغ قمتها ، وتعلق بين الأغصان الرفيعة المحملة بثمارها الحمراء الباردة الشهية ، ثم راح يملأ قبضته منها ويفرغها فى جوفه .. وكانت حبات الكرز من حوله تدغدغ أذنيه وعنقه ، وترسل فورة فى دمه ، وألوانها المختلفة بين حمراء ومذهبة وقرمزية تبرق أمام عينيه بين أوراقها شبه السـوداء . وكانت الشمس وهى تنحدر قد أدركت بغتة احدى السحب المتقطعة فلونتها بموجـات رائعة من الألوان ، وتحول الأفق فجأة من غسق فى لون الرماد الى حمرة يخالطها الذهب ، فبدا كما لو أن كل الأشياء ـ الاشجار والحشائش والمياه ـ قد أوقظت من الغسق فأشرقت من جديد !

وأقبلت ميريام نحوه مرحة جذلة تصايح بصوتها الندى ، فأطل عليهـا من عليائه . كان على وجهها شعاع ذهبى باهت ، ناعم ، وهى تتطلع اليه . فصاح نشوان : « لكأن السحب قد شبت فيها النار ! »

فأجابته : «رائعة . أليس كذلك ؟» .. وبدت له الفتاة من مكانها السحيق



ضئيلة ، رقيقة ، ناعمة ، فالقى اليها بحفنةمن الكرز، فاجاتها ..فأجفلت !.. وأغرق هو فى الضحك طروبا ، ثم سألته : « ألم تقطف الكفاية ؟ »

ـ تقريبا . اننى أحس هنا كأننى على ظهر سفينة !

ـ والى متى ستبقى ؟

ـ مابقيت الشمس ..

.. فمضت الى السور المكسو بالحشائش وجلست عليه ، ترقب السحب الموشاة بالذهب وهى تتساقط هشيما وتتفتت .. ثم شبت النار فى الذهب فصار فى لون القرمز ، فالبرتقال ، فالورد .. وسرعان ما انطفأحريق السماء، فلم يبق منه فى الافق غير الرماد .. فهبط بول مسرعا وسلة الكرز فى يده ، واشتبك قميصه بأحد الاغصان فتمزق ، قرب الكتف ، فعرضت الفتاة عليه أن تخيطه .. وأدخلت أصابعها داخله فلمست كتفه ، ولم تملك ان صاحت : « ياللدفء ! »

فضحك .. لكنه لم يلبث أن تبين فى صوتها رنة غريبة جعلت قلبه يلهث ، فقال يسألها : « هل نبقى فى العراء ؟ »

ـ ألن تمطر السماء ؟

ـ كلا .. فلنمش قليلا

وسارا وسط الحقول ، ثم دلفا الى غابة الصنوبر الكثيفة المظلمة .. فبدا على الفتاة التردد :

ـ هلا مضينا الى قلب الغابة ؟

ـ أو تريد ؟

ـ نعم !

وكان قلب الغابة حالك السواد ، وتزاحمت أطراف الأغصان على وجه الفتاة ، فأحست بالخوف . أما بول فمضى صامتا ، وقد انقلب فجأة شخصا آخر غريب الاطوار .. وما عتم أن قال : « انى أحب الظلام ، وكم أتمنى لو كان أكثف من هذا وأحلك ! » .. وبدا أنه لم يعد يحس بوجودها كشخصية مألوفة ، فقد صارت بالنسبة له مجرد امرأة .. خائفة !

.. واستند بظهره على جذع شجرة صنوبر ضخمة، وتناول الفتاة بين ذراعيه..

.. واستند بظهره على جذع شجرة صنوبر ضخمة، وتناول الفتاة بين ذراعيه.. فتركت نفسها لقبضته واستكانت لعناقه، وهى تخفى جاهدة ما انتابها من رعب.. من هذا «المخلوق» الجهير الصوت ، الذى يبدو كما لو كان غريبا عنها !!

وكان بول مضطجعا على الارض فوق أوراق الصنوبر الميتة عندما بدات السماء تمطر ، وفاح أريج الغابة . كان ينصت لخرير المطر الحاد الرتيب .. لكن قلبه لم يكن فى صدره. كان قد ثقل وسقط منه . لقد أدرك الآن انميريام لم تكن معه بروحها طوال الوقت ! كانت روحها قد انطلقت بعيدا ، الى وادى الرعب ، والاسى ..

وهو .. ان جسمه وحده الذى غدا يحس بالراحة .. أما قلبه فمنقبض ، حزين !.. ومضى يتحسس وجهها بأنامله ، فى رقة . انها تحبه بجماع قلبها ..

ـ المطر ..

ـ نعم .. أهو يبللك ؟

ومرت بيدها على شعره ، وكتفيه ، كى تتحسس قطرات المطر التى سقطت عليه . أما هو فلم يكن يعنيه البلل ، لم يكن يعنيه شىء من الدنيا بأسرها ، وهو مضطجع على وجهه فوق أوراق الصنوبر الميتة. فقد كان يحس بهدوء ، وارتياح غريب . لكان وجوده كله قد تركز فى هذا الماضى القريب ، الحبيب ! وكان هذا الشعور اللطيف جديدا عليه !

وسمعها تهمس : « يجب ان نذهب » . فأجابها « نعم » .. لكنه لم يتحرك ! ان الحياة تبدو له الآن كأنها ظل .. والوجود ليس سوى مرادف لليل ،والموت، والسكون ! .. أما الحركة ، والحياة ، والنشاط ، فهى والعدم سواء !.. لماذا يحس كأنه يذوب فى الظلام ، ويتلاشى فيه ؟

وجاءه صوت ميريام : «المطر يبللنا ! » .. فنهض ، وأعانها على النهوض . . ثم مضيا ، ويده فى يدها . وضغطت أصابعه ، كأنما تحس خوفا طفيفا . انه يبدو لها الآن بعيدا عنها . انها تخشى ان تفقده!.. وقال يقطع الصمت : « ان الاشجار تبدو كالاشباح فى الظلام » ..لكنها لم تجب ، فقد كانت ما تزال خائفة . ومضى هو : « هذا السكون ، والليل كله غارق فى النعاس . . أحسب ان هذا مايحدث لنا عند الموت ! »

وسرت فى جسدها قشعريرة ! انها قبلا كانت تخشى الوحش فيه ، أما الآن فباتت تخشى فيه هذا المخلوق الغامض ، الذاهل !

ومضت تخب الى جواره صامتة ، والمطر يتزايد شدة ، فيعلو خريره الرتيب وهو يرشق هامات الاشجار . وبدا هو مرة أخرى كمن لايحس بوجودها ، رغم أن يدها فى يده .. ثم قال فجأة : «ماألذ أن نتجرد من أشخاصنا ، من ارادتنا، من عملنا فنعيش فى اغفاءة .. ولكن دون أن نغيب عن وعينا . حقا ماأجمل هذا،

انه حياتنا الثانية ، انه الخلود ! »
ـ ماالذى يجعلك تقول هذا ؟
ـ لاشيء !
وكانا قد بلغا البيت ، فدخلاه . واستقبلهما الكل بنظرات غريبة ـ أو هكذا خيل اليهما ـ وكان الفتى مايزال محتفظا بهدوئه ، وبالجمود فى عينيـــه ، وفى صوته . وبوحى من الغريزة ، انسحب الجميع .. وخلفوه فى الغرفة وحيدا !

- ٤ -

◆ .. على أن نشوة بول لم تطل . سرعان ما أفاق منها ليتبين أن حبـــه لميريام ، الذى بلغ ذروته فى تلك الليلة ، لم يكن الا وهما من وحى الرغبـــة .. وهما لم يعاوده قط فيما بعد ! .. فاذا هويستدير لينشدالدفء فى أحضان «كلارا» .. واذا هو يعينها على العثور على عمل خاص لهـــا ، ويكثر من الاتصال بها .. وتعلم أمه بغرامه الجديد ، فترحب بكلارا كما لم ترحب قط بميريام ! بل تنتهز هذه الفرصة فتغريه بأن ينهى علاقته بميريام التىمضت عليها ثمانية أعوام ، ويصارحها بالقطيعة .. فيستجيب الفتى لرغبة أمه وينهى النبأ الى ميريام التى تقابله بألم ومرارة ، يخالطهما شيء من الاشمئزاز ، يبدو فى قولها له : «**بعد ما صارحتك مرة بأن تصرفاتك توحى بأن سنك لا تتجاوز الرابعـــة عشرة .. لكننى كنت مخطئة ، فانك فى الحقيقة لا تتجاوز الرابعة !** »

وتقوى صلة الفتى بكلارا ، وتصل الى غايتها ذات مساء ، حين يصحبها الى ضفة (الترنت) ، ويفرش لها معطف المطر على الارض الرطبة ، ثم يستلقيان متجـاورين .. فتحدثه عن حياتها الزوجية التعسة ، التى لم تدم أكثر من ثلاث سنوات حفلت بالشجار والخلاف ، وانعـــدم فيها التفاهم بينها وبين زوجها « دويس » .. فيتأثر الفتى من شكواها ، ومن سكون الليل ، ورفه النسيم ، فتسبقه شفتاه الى رقبتها ..

ثم تبلغ صلتهما الآثمة مسامع الزوج المخدوع ، فينتهز فرصة التقائه ببول فى احدى الحانات ويوجه اليه عبارة ماسة،

يقابلها الفتى بأن يقذف غريمه بمحتويات كأس من البيرة على وجهه ٠٠ ويكظم الزوج غيظه ، لكنه يظل يتحين الفرصة لبول ٠٠ حتى ينفرد به ذات ليلة فينهال عليه ضربا ولكما ٠٠

ويشفى بول ، لكنه لا يعود الى سابق صلته بكلارا ، وانما يتجنبها ويتهرب منها ٠٠ وفى تلك الأثناء تسقط أمه فريسة (السرطان) فتنقل الى المستشفى ، ثم تعاد الى بيتها كى تنتظر الموت البطىء المحتوم ٠ ويتقابل بول مع زوج كلارا « دويس » فيرق لعذابه الطويل ، ويعتزم التكفيرعن اثمه باقناع كلارا بأن تعود الى زوجها ٠٠ وينجح فى مسعاه !

وتسوء حالة الأم وتشتد بها الآلام ، فيضعف بول عن احتمال عذابها ، وينهى آلامها بجرعة مورفين مضاعفة ، تقضى عليها ! ٠٠ ثم يخر جاثيا الى جوار فراشها ، ويقبل جسدها الضامر وهو يهمس بنجوى رقيقة لم يهمس بها قط لامرأة ، أو عشيقة ! ٠٠ ويحس فى تلك اللحظة أنه لن يقوى على احتمال الحياة بغيرها ٠٠ فان حبه اياها قد استأثر بقلبه وخنق فيه كل عاطفة نحو غيرها من النساء !

٠٠ وتمضى الشهور وهو تائه فى بيداء الحياة ، عاجز عن العمل ، عزوف عن اللهو ٠٠ وذات يوم يصادف ميريام فى (نوتنجهام) فيجدها ما زالت مستعدة لأن تبذل نفسها من أجله ، بدل المرة مرات ٠٠ ثم تطلب منه فى صراحة أن يتزوجا ، لكنها تلمح منه ترددا ، فتسأله : « أو ترغب فى ذلك ؟ » ٠٠ فيجيبها ، صادقا : « ليس كثيرا ! » ٠٠ ثم ينصرف ، يمضى يجر قدميه جرا ، وليس فى رأسه غير خاطر واحد : « أمه » !٠٠ المرأة الوحيدة التى استطاعت أن تستأثر بقلبه ولبه ،وغرامه ، وعواطفه !

لكن شبابه لا يلبث أن يستيقظ فيه ، وينقذه من الاستسلام لحزنه ٠٠ فيكظم أساه ، ورغبته فى الموت للحاق بأمه ! ويمضى مسرعا ٠٠ نحو أنوار المدينة !



دنيا الحب.. والسعادة!

للكاتب الألمانى الأشهر "اميل لودفيج"

تلخيص : عبد المنعم محمد الزيادى

٠٠ ذلك السر المغلق : السعادة !

◆ لهث المفكرون والفلاسفة ، منذ أقدم العصور ، فى البحث عن مفتاح ذلك الصندوق السحرى ، الذى يضم ٠٠ « السعادة » ! ٠٠ الا أنهم جميعا تعثروا فى الطريق ، وتخبطوا فى محاولاتهم ، وتفرقوا كل فى سبيل : ذهب البعض الى أن السعادة فى الحب ٠٠ وقال آخرون انها فى جمع المال ٠٠ وراح فريق ثالث يؤكد أن السعادة الحقة انما تستمد من سعادة الآخرين ! ٠٠ على أنهم لم يلتقوا قط على رأى واحد !

وقد رأى المفكر الالمانى الكبير « اميل لودفيج » أن يدلى بدلوه فى الموضوع ، فراح يحلل عناصر ذلك « السر » الذهبى ، علّه يوفق الى اكتشاف جديد ، ينير الطريق أمام الباحثين الآخرين ٠٠ فهل تراه قد أفلح فى اختيار السبيل ، أم وضع فيها حجرا جديدا يحكم سدها ؟!

تعال معا نرتاد الطريق الذى شقه ، فى دنيا السعادة ، بعد أن قطعنا أشواطا كبيرة فى ٠٠ دنيا الحب ـ فى الاعداد الماضية من « كتابى » ـ لنتعرف على ضوء مشاعرنا وأحاسيسنا : هل هو أصاب ٠٠ أم أخطأه التوفيق ؟!

٢ ـ دنيا السعادة

« فى سعى لا يكل ، يبحث كل شىء عما يكمله ٠٠ فالاحساس والنظر ، يدفعاننا نحو عالم لا حد له ٠٠ ولو ظلت الحال هكذا ، ومضينا الى الأمام دائبين ، فليشهد الله : سنخلق بأيدينا العالمين ! »

« جيته »

◆ **لعل** من المؤسف حقا ان فن السعادة فى يد الفيلسوف وحده ! فهذا الفيلسوف المتأمل فى الكون ، وذلك الشاعر ذو الخيال الخصيب ، يعلمان عن هذا الفن أكثر مما يعلم سائر الناس ٠٠ **ولعل من المؤسف أيضا أن هذا الفن لا يمكن تعلمه ولا تلقى أصوله وقواعده حتى على أيدى الفلاسفة والشعراء !** ومع أن الناس ، فى الأغلب ، يطمعون فى أن يكونوا عقلاء ، بل

سعداء ، الا أنهم ينساقون حينا بعد حين وراء المفكر الى ميدان التفكير والتعقل ، ظنا منهم ان ذلك هو السبيل المفضى الى السعادة .. والواقع أنه متى دار الحديث حول السعادة ، عجز هذا العاقل المفكر ذو الجبهة العريضة عن أن يدلى بدلوه فيه !

أما الفيلسوف فقد أنشأ لنفسه عزلة ، سواء كانت سعيدة أو كئيبة ، الا أنها على أية حال قد أملتها ظروف حياته ، ثم خرج من تلك العزلة آخر الأمر بمبدأ أو نظرية أراد للناس أن يؤمنوا بها ، **وهذا هو كل ما يسع الفيلسوف أن يقدمه لطلاب السعادة . حتى «أبيقور» الذى غاص بفكره الى أغوار السعادة ، لم يستطع بعد ذلك الا أن ينصح بالتوسط والاعتدال ، كسبيل أمثل الى السعادة .. وأما سقراط ، الذى نادى بمثل هذه الآراء أيضا ولكنه تناولها من ناحية الفضيلة ، فقد كان من البراعة بحيث صرح أن الفضيلة نفسها هى الطريق الأوحد لتحقيق السعادة الانسانية** . غير ان كل هذه المذاهب الفلسفية المختلفة لا تزيد فى الحقيقة عن ان تكون بمثابة نصائح أب يريد أن يجنب أبناءه التجارب المؤلمة ، فينصحهم بأن يتجنبوا لعبة الانزلاق مثلا !

والآن وقد اتفقنا على أن السعادة لا تلقن أو تعلم ، فلعل مناقشة موضوعها يتكفل بتخفيف عبء هذه المشكلة :

- ١ -

◆ فى اعتقادى أن اختلاف الشخصيات هو منشأ الاحساس بالسعادة . فقد تصف جماعة من الناس بالطمع الغالب على أفرادها ، وجماعة أخرى باعتقادهم فى الخرافات ، لكنك لن تجد أبدا عاطفة واحدة من العواطف الدقيقة غير البينة ، أو احساسا معينا واحدا من الأحاسيس الخفية غير الظاهرة ، يسيطر على جماعة بأكملها من الناس .. بل انك تجد مثل هذه العاطفة ، ومثل ذلك الاحساس يختلفان فى فرد عنهما فى الفرد الآخر .. ومثل

هذه العواطف تتبدل تبعا للظروف والأحوال ، ولذلك لا يمكن اقامة ميزان دقيق ، أو مقياس ثابت لها !

فالسعادة هى جماع الروح وخلاصتها ، تلك الروح التى تختلف باختلاف الأشخاص ، **ولهذا لا يمكن أن نصف فضيلة معينة ، أو طريقة معينة للمعيشة ، بأنها تجلب السعادة لكل انسان على السواء ٠٠ فالذى يعثر فى نفسه على العناصر الداخلية أو الروحية للسعادة ، ثم يسعه أن يجد فى الحياة العناصر الخارجية أو المادية المكملة لها ، ويلائم بين هذه العناصر بعضها وبعض ، يكون أسعد الناس !**

ومن الواضح الجلى انه متى اجتمع أناس من طبائع مختلفة أو مشارب متباينة ، فى صعيد واحد ، فان الحسد يدب فى القلوب ٠٠ فرجل الأعمال الذى قام برحلة طويلة شاقة ، عقد فيها الصفقات وأبرم العقود ، ثم صادف عند عودته - وهو يقود سيارته ، والى جانبه حبيبته - منزلا ريفيا جميلاهادئا ، وشاهد فيه امرأة ريفية تسوى أعشاب الحديقة وتقلم شجيراتها ، كما شاهد من حولها طفلين أو ثلاثة يمرحون فى بشر وسرور ، تتوق نفسه وتغلبه على أمره الرغبة فى أن يطلق حياة العمل المتواصل الشاق ويقضى الحياة على غرار هذه الاسرة الريفية فى هدوء واستقرار ، لعله يجد السعادة هناك ٠٠ وعندما تنزلق يده عن عجلة القيادة ، وتلمس يد حبيبته ، قد يحلم الاثنان معا بتغيير مجرى حياتهما وابدالها بمثل تلك الحياة التى يحياها سكان ذلك البيت الريفى الهادىء ٠٠ **ولو أن الريفى صاحب البيت الهادىء رآهما فى تلك اللحظة وهما يطويان بسيارتهما أرض القرية ، لاستند بجسده المضنى على سور بيته الريفى يستريح من عناء عمله فى الحقل ، ولقال فى نفسه : « انظر الى هذين اللذين ينهبان الأرض فى تلك السيارة الأنيقة ، لا يخالجهما الهم ولا يكدرهما شيء ٠٠ ما كان اخلقنى أن أكون مثلهما ! » ٠٠ واذا كان لهاتين الرغبتين العابرتين أن تتحققا ، فيتبادل**

الرجلان حظيهما ، فما أشد البؤس الذى لا شك ينزل بهما !

والقصص الخيالية تروى أن الأمراء والنبلاء كانوا يتبادلون أحيانا مع الفقراء والمشردين حظوظ بعضهم بعضا ، الا واحدا من أبطال تلك القصص ، كان يرعى الأوز ، فجعل يقاوم اغراء ابدال حظه بحظ من هو أثرى منه وأوسع جاها . فلما سئل : « ماذا تفعل لو انقلبت فارسا يشار اليه بالبنان ؟! » ، قال : « عندئذ أرعى الأوز ممتطيا صهوة جوادى ! »

لكن أمثال هذا الفتى الذين يطرحون هذا الاغراء الجميل وراء ظهورهم ، ان فعلوا ذلك فربما لعلة أصابت ارادتهم وأمسكت بهم عن الاقدام ، حتى انهم ليعضون بنان الندم بعد ذلك حين لا ينفع الندم !

ومع هذا ، فليس أضر بالسعادة من تحول مجرى الحياة ! فمثل هذا التحول ينكر على الناس كل ما سبق أن لقوه من سعادة فى حياتهم الاولى ..

هل للسعادة صلة بالفضيلة ؟

◆ وفى كثير من الأحيان تنشأ عاطفة السعادة عن ايحاء الفضيلة ، حتى لو كانت الفضيلة دفينة فى أعماق النفس لا تبدو للعين ، وهذا هو السبب فى أن أكثر من يضر بنفسه أو بغيره هو ذلك الذى يحاول أن ينزع من نفسه أو من غيره الاوهام والخيالات التى يعيش فيها ، كما يفعل بعض شعراء الروس أو بعض المحللين النفسانيين فى هذه الأيام ، اذ يحاولون كشف النقاب عن العواطف النائمة والمشاعر الخفية فى قرارة النفس ، بدلا من تركها هناك سادرة فى نومها !

وهذان رجلان يعبران حدود بلدة ما ، أراد أحدهما أن يموه على رجل الجمرك فأخفى زجاجة من العطر يريد اهداءها لزوجته ، أما الآخر فقد آثر الطريق القويم فدفع الرسوم المفروضة على الزجاجة التى معه .. فهل كان الأول أسعد من زميله ؟ .. ها هما يجلسان بعد ذلك جنبا الى جنب فى القطار ، فاذا الأول يتباهى ببراعته وحذقه ، أما الآخر فيحس بالطمأنينة والراحة لأنه فعل ما يقضى به الخلق الكريم وآثر أن يشترى راحة ضميره بثلاث فرنكات ! .. فهذان الرجلان كلاهما سعيد ، لأنه تصرف بوحى ضميره ووفق هواه .. الأول

شاء أن يحقق البراعة والحذق بالحيلة والخداع .. والثاني أراد أن يحققهما بالاستقامة والكرامة .. وقد تم لهما ما أرادا

ثم هل الكريم السخي أوفر سعادة من البخيل المقتر ؟ ! .. الواقع أن المضيف الكريم الذي يعد قبل وصول ضيوفه صندوقا من السيجار الفاخر الذي قلما يسمح لنفسه بتدخين مثله في الأوقات العادية ، لا تقل سعادته عن سعادة ذلك المضيف الذي يخفي صندوق السيجار الفاخر قبل حلول ضيوفه ويضع بدلا منه صندوقا من السجائر الرخيصة !

السعادة ألوان .. وفنون !

◆ والناس أحيانا يتساءلون ، اذا التقوا بانسان يخالفهم في طبائعهم وعاداتهم ومعتقداتهم : « كيف يحيا (فلان) مثل هذه الحياة ؟ » ، ولعل الذي يريدون أن يقولوه هو : « كيف يمكن أن يكون (فلان) سعيدا ؟! » .. فالرجل المنظم المرتب بطبعه ، الذي تبدو ياقاته وقمصانه وأقلامه وأوراقه نظيفة مرتبة ، بعد انقضاء عام كامل على استخدامها ، اذا دخل بيت « بوهيمي » لا يؤمن بالنظام والترتيب ، أصيب بصدمة في مشاعره ، وتأذى سمعه وبصره ! .. فهو لا يكاد يرى سر متعة الرجل بهذا النظام المختل ، واستطاعته الجمع بين أكوام الورق ، وأدوات الحلاقة ، وصناديق الحلوى ، والصور ، ومنفضة السجائر في صعيد واحد ، بشكل يدل على الكسل والخمول .. وهذه الصدمة نفسها تحدث للبوهيمي اذا زار صديقه المنظم المرتب في منزله ! انه لا يستطيع أن يدرك كنه اللذة التي يبعثها هذا النظام الفائق الذي يتيح لصديقه أن يأتي بالشيء الذي يريده في بضع ثوان ، ويصل الى أي شيء بمجرد القاء نظرة واحدة ! .. بل قد يستبد به الاستياء اذا أعاد صاحبه آنية الزهر الى موضعها، وكان وضعها حيثما اتفق يسرى عن البوهيمي بعض الشيء !

وهل نظن الشخص النافر من المجتمع ، المتبرم بالناس ، أقل سعادة من الشخص الذي يحب الناس ويحب عشرتهم ؟! .. كلا ! فالأول على الأقل مغلق القلب دون هذه العاطفة المستبشرة التي تشيع في كيان الرجل المحب للناس .. وهو لا يستطيع حتى أن يلمح آثارها على وجه صديقه الذي يألف الناس، اذا التقى به ! .. لكنه يستمتع بانتصار شكه في الناس على كل احساس آخر ، فهو الذي يجنبه الخيبة والفشل ، ويهديه سواء السبيل !

وهذان رجلان : أحدهما يمقت صيد الطيور الطليقة ، وثانيهما شغوف برأى الطيور البرية وهي سجينة في أقفاصها ، وكلاهما سعيد ! .. أولهما سعيد لأن العصافير من فرط ثقتها به تأتي لتلتقط الحب من راحة يده ، وثانيهما سعيد لأنه حقق لذة مشاهدة العصافير حبيسة وراء قضبان حديدية !



الحرب .. والسلم !

لوحة خالدة للرسام الخالد «روبنز»



الجمال .. والعلم ! لوحة للرسام «فراجونار» (١٧٣٢ - ١٨٠٦)

سعادة الأحرار .. وسعادة العبيد !

◆ وللأخلاق التأثير الأول ، اذ تطبع الحقائق بطابعها . ولقد تعلمنا أن نوقر القديسين والشهداء لأشخاصهم وليس للمشاعر التى تملكت نفوسهم ، أو للعذاب الذى احتملوه فى سبيل أداء رسالاتهم ! .. والواقع أن الشهيد اذ يساق الى الموت قهرا ، يتولاه الاحساس بأنه لن يلبث بعد لحظات أن يلتقى بالملائكة الأبرار فى رياض الجنة .. وهو يستشعر بهذا سعادة لا تقل عن سعادة الامبراطور الباغى الذى يشهد منظر الاعدام وهو مضطجع فى عرشه ، وقد أثقلته التخمة ، وأحاطت به الحور الحسان ، والرجال الذين أذلهم الحرص على الجاه والسلطان .. بل لعل سعادة هذا الامبراطور تقل عن سعادة الشهيد ، اذ ينتقص منها ما يراه على أسارير ضحيته من شجاعة واقدام !

وهكذا قد يضاعف من السعادة ، واقع يناقضها .. وهذا هو ما عنيناه بقولنا ان الاختلاف فى الشخصيات ، والتفاوت فى الطباع والخلق ، منشأ الاحساس بالسعادة .. فأصحاب النفوس الضعيفة ، والأرواح الحائرة ، هم وجدهم الذين يظلون دائمى الرغبة فى التغير والتحول ، بدلا من أن يدركوا أن المرء لا يستطيع أن يأخذ من حياة سواه - أى أن يغير من نفسه - دون أن يفقد توازنه .. وبالتالى ، يفقد سعادته .. تماما كما يفقد الشراب نكهته اذا ما صب من اناء بلورى الى قدح معدنى !

ولما كانت قيم السعادة تختلف من شخص الى آخر ، فان الحب ، والمجد ، والمال ، والبنين ، والجاه ، والشرف - وهى أكثر متع الحياة شيوعا - تجد من الناس من يزدريها ! .. بل ان هناك من يعزف عن اشتهاء أغلى عوامل السعادة ، وهى : الصحة ، والجمال ، والحرية .. فهناك من المعذبين من لا يبغى عن ضعفه افتراقا ! .. وقد عشنا حتى رأينا مرضى يأبون الخلاص من عللهم ! .. وشهدنا آخرين يتلفون الجمال بالشهوة ، كأولئك الذين يغتصبون النساء ، أو يدمرون المعابد ! .. وفى مجال الحرية ، رأينا شعوبا تتخلص من ديكتاتور ، لتنساق لآخر ، ورأينا عبيدا يعودون الى مستعبديهم طواعية !!

.. ذلك لأن السعادة ليست شيئا يصاغ فى قالب خاص ، بل ان على كل امرىء أن يصوغ سعادته بنفسه ، ووفق ظروفه ورغباته وطباعه

سعادة الطموح .. فى القلق !

◆ بل ان درجات السعادة ذاتها ليست سواء .. فكما تتباين الأشكال ، تتباين المقادير .. اذ أن السعادة قابلة للازدياد والاطراد ، سواء فى الكمية أو فى طريقة الاستمتاع بها .. فالانسان الطموح يفوق عادة - من حيث الاستمتاع - الانسان الخمول .. والوريث الذى لا يشغل بغير ترقب هبوط الثروة عليه ،

أقل استمراء للسعادة من ذلك المكافح الذى ينطلق وراء الثروة والجاه ، فى شبابه على الأقل ! .. والذى يخال أن اللهفة والتحمس يولدان القلق الذى ينتقص من السعادة ، لا يستطيع أن يبصر أن سعادة الانسان الطموح المتحمس تكمن فى ذلك القلق بعينه ، وليس فى الغاية التى يسعى اليها !

أترى شعور الصياد المتمدين المتعلم بالسعادة يفوق شعور الزنجى البدائى ، وهو يسعى الى عرين الأسد ؟! .. لا ! .. فالواقع أن كلا منهما ينتشى بالتسلل، والتسمع ، والاقدام ، والاحجام .. كلاهما يرتجف فى الادغال اذا سمع الفريسة تقترب من المكان الذى اختاره ليلقاها عنده .. وكلاهما يرقب فريسته ، ويحبس أنفاسه وهو يتسلل زاحفا نحوها .. ثم وهو يتهيأ .. وأخيرا ، وهو يطلق قذيفته - رصاصة كانت أو رمحا - فيصرخ الحيوان الجريح . فأما الزنجى ، فيقفز فى الهواء وهو يصيح طربا ، ثم لا تلبث مشاعره المستعرة أن تخمد رويدا ، اذا ما افترش الأرض ليشبع جوعه من لحم ضحيته ! .. وأما الصياد المتمدين ، فتتضاعف نشوته اذ يقارن بين براعته وبراعة الصيادين الذين قرأ عنهم فى الكتب ، أو عندما يقارن بين صيد الوحش وبين التغلب على امرأة شديدة الجموح والصد .. أو عندما يفكر فيما سيستولى على أصدقائه فى لندن - مثلا - من مشاعر ، اذ يبهرهم مرأى فراء الوحش ، ويزيد من ذهولهم أن يكون صائده هو ذاك الصديق الذى كانوا يخالونه ضعيفا ، رخوا !



ففى مثل هذه الحالات - البعيدة عن الحب والعاطفة - نجد أن الشعور بالسعادة يتولد من مجرد الأمل فى أن يغير المرء من أسلوب حياته المعتاد .. وهنا يمكن أن نقسم الناس الى فريقين : فريق يقنع بنصيبه من السعادة - ولو كان قليلا - وفريق يطمع فى المزيد ، ويتطلع الى آمال عالية . ومن الرغبة فى مضاعفة حظه من أسباب السعادة - لا سيما غير المادى منها - تتولد لديه قوة كفيلة بأن تمكنه من النجاح المنشود .. وفى هذا قال « أبيقور » : « اننا قد نلتقى مصادفة بمتع صغيرة ، ولكن السعادة الحقة تتطلب سعيا وكفاحا » !

السعادة الساذجة !

◆ يرى بعض الناس أن فى الأعمال المستترة التى يقوم بها الكائن الساذج - قديسا كان أو معتوها أو طفلا - لونا رفيعا من السعادة ٠٠ فهى سعادة تهبها لهم السماء دون ما جهد منهم ٠٠ فالقطة التى تتمطى فى كسل وهى مستلقية فى دفء الشمس الساطعة ٠٠ والفراشة التى تحوم مبتهجة حول زهرة نضرة من زهور البنفسج ٠٠ والنحلة التى ترشف رحيق زنبقة فى استمراء ٠٠ والطفل المرح الذى يطوح بكرته فى الهواء ٠٠ والفتاة التى تنطلق فى المروج وهى تهز قبعتها مغتبطة ، وتترنم بأنشودة عذبة ٠٠ هذه كلها صور للسعادة الساذجة !

ونحن لا نملك أن نسأل القطة أو الفراشة أو النحلة ، ولكنا اذا التقينا بالطفل والفتاة بعد عشرين عاما ، ووصفنا لهما منظرهما مع الكرة والقبعة ، لابتسم كل منهما كمن يستيقظ من نومه ، فيستمع الى من يروى له ما كان يهرف به فى احلامه المحمومة أثناء نومه ! ٠٠ ولكنا اذا سألناهما أن يذكرا لنا بعض لحظات السعادة فى حياتيهما ، لحدثانا عن لحظات قريبة من الماضى غير البعيد ٠٠ اذ أن الوعى ينمو ، فيغادر ظلال الطفولة ، ويخرج الى ضياء مطرد ٠٠ وبالتالى ، ينسى ذكريات الماضى البعيد ، اذ تلهيه الذكريات التى ما زالت تطفو فى أضواء الماضى القريب !

وهكذا نرى أن المعرفة ، والطموح المتحمس ، والمقارنة ، والتأمل ، بل والضعف أو القوة فى نظرتنا الى أمر لا حيلة لنا فيه - كالموت - كلها عناصر تشيد فى نفوسنا الشعور بالسعادة ٠٠ انها تخلق التربة التى نغرس فيها اللحظات الفذة كما نغرس الزهور فى الحديقة ٠٠ فاذا ذوت زهرة من غرسنا ، لا تلبث جذورها أن تتحد بجذور زهرة أخرى فتزيدها قوة ونماء ٠٠ وهكذا تذوى بعض الزهور ، وتقوى زهور أخرى ، حتى يأتى الوقت الذى نجد فيه بستاننا نضرا ، مزهرا ٠٠ فاذا ما تناهى أريج بستان السعادة الى أنوفنا ، وجدنا فيه ما يبدد جزعنا من المصير المحتوم : النهاية !

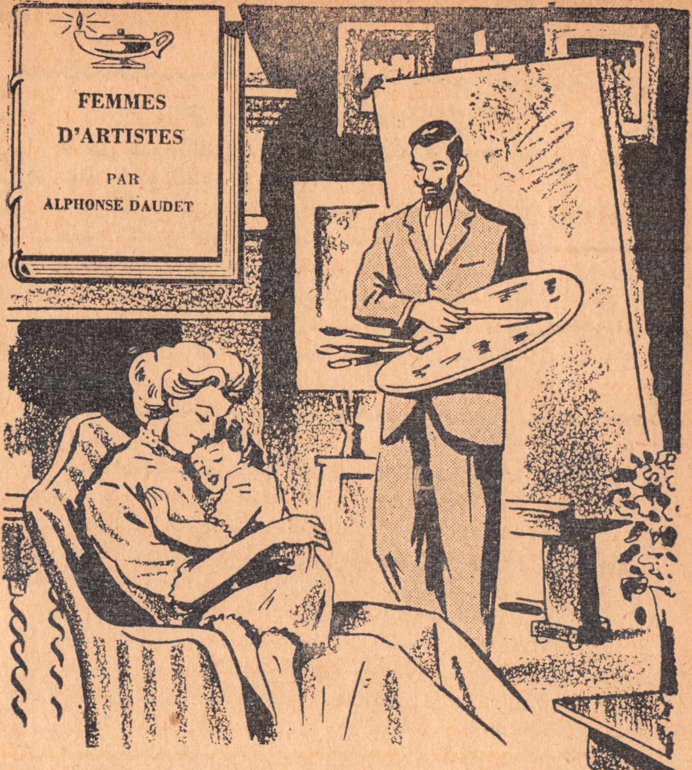
هل تستمد السعادة من الأخطاء أو الضعف ؟!

◆ وحتى نصل الى هذه الحال ، لا بد لنا من أن ندرك طبيعتنا وكنه نفوسنا ٠٠ والانسان الذى لا يزال على الفطرة يدرك ، عن أبسط مراتب هذا الادراك ، عين ما يعرفه العالم النفسانى ! ٠٠ أما المراتب العليا منه ، فتتطلب من الانسان أن يعرف الأجهزة التى تسيره - أو بالأحرى ميكانيكيته - وأن يسجل انفعالاته وتصرفاته ، وأن يعرف ما يتوقع من نفسه الرغبة فيه أو الانصراف عنه ٠٠ وكما يدرك المرء بالتجربة أى الأطعمة يلذ له ، وأيها يؤذى معدته ، يجب أن يعلم أيضا أى الانفعالات يطيب له ، وأيها ينبغى الفرار منه ٠٠ اذ أن ادراك المرء لطبيعته ،

وخلقه ، وأهوائه ، ومشاعره ، وأذواقه ، ونواحى الضعف لديه ـ بوجه خاص ـ يمكنه من أن يرسم لنفسه الطريق المفضية الى السعادة • وفى هذا الصدد قال « جيته » : « ان سعادتنا لا تستمد من فضيلتنا ، وانما تستمد من أخطائنا ونواحى الضعف فينا • فكل من يظن أن بوسعه ان يسعد عن طريق تحقيق الفضيلة ، انما يخدع نفسه •• اذ غالبا ما يكون الزهو ـ لا الفهم والاستيعاب للفضيلة ـ هو الدافع الى تحقيقها •• ومن ثم لا يلبث المرء اذا ما حققها أن يفتقد السعادة فيها » !

وقول « جيته » لا يقتصر على الشيخوخة ، فان المرء اذا ما تفتق وعيه وأضاء فى مرحلة الشباب ، عمد الى تحليل نفسه فى كل المواقف والمناسبات • وقد كان فن تحليل النفس من النضوج فى العصور الغابرة بما لا يقل عنه فى أيامنا الحاضرة •• على أن المرء فى شيخوخته أقدر وأحرص فى بناء طريق السعادة ، منه فى شبابه ، اذ تهيىء له معرفته أن يتبين أنسب الأماكن له : أهى القريبة من البحر ، أم القائمة عند الجبال ؟ •• أفى المدينة أم فى الريف ؟ •• أفى المجتمع ، أم فى العزلة ؟ •• كما تمكنه هذه المعرفة من أن يتخذ من الأعمال البسيطة ما يملأ يومه بلحظات هنيئة • وكما ييسر النضوج الروحى للمرء سبيل الاهتداء الى ما يلائم طبيعته ، نجد أن هذه المعرفة تمكنه من أن يعيد تهيئة ظروفه وأحواله بحيث توفر له أنسب الأجواء التى تلائمه

وفى العدد القادم ، أقدم لك جزءا آخر من هذا الكتاب الممتع



للكاتب الفرنسي الكبير "ألفونس دوديه"

زوجات الفنانين!

تلخيص : فرج جبران

هل يحق للفنان أن يتزوج ؟!

* هل يتزوج الفنان ؟ .. أو ان حرية الفن وانطلاق الالهام لا يمكن ان يتفقا مع قيود الزواج وتبعاته ؟!

انه موضوع خالد ، منذ عرف الانسان الفن ، واهتدى الى نظم الزواج .. ولكنه اكتسب أخيرا جدة جعلت الصحف والمجالس تتناوله ، بمناسبة ما تعرضت له زيجات بعض الفنانين المصريين من عواصف .. وقد حدت هذه المناسبة بكتابى الى أن يقدم لك هنا هذا الحوار القصصى ، الذى عالج به الكاتب الفرنسى الكبير « الفونس دوديه » ، موضوع زواج الفنان .. على ان يتبعه الجزء الثانى - « زوجات الفنانين » - منه ، فى العدد القادم ان شاء الله

على أريكة فى مرسم ، اضطجع صديقان - شاعر ورسام - ذات مساء ، يتحدثان بعد العشاء .. وكان الضوء خافتا ، والنار مستعرة فى المدفأة ، والسكون مخيما .. لحظة تسترخى فيها الأعصاب ، وتميل القلوب الى التفتح والكشف عن مكنوناتها .. وجرى الحديث هادئا ، وليس من شاهد لهذه الخلوة بين هذين الصديقين سوى لوحة زيتية كبيرة لامرأة تميل قليلا الى الأمام ، وكأنها تنصت للحديث .. شابة ، ينبعث الذكاء من عينيها . كما كان بالحجرة حذاءان صغيران ينمان عن وجود طفل صغير بالمنزل . ومن حجرة مجاورة ، كانت تنبعث من وقت لآخر ضحكات رقيقة ، وصوت طفل يستسلم رويدا للنوم ..

وبدأ الشاعر الحديث :

الشاعر : يقينا يا صديقى انك أنت المحق .. ليست للسعادة أشكال عديدة ، انما السعادة هنا .. وهنا فقط .. فعليك ان تزوجنى !

الرسام : لا ! لا ! .. اسع بمفردك للزواج يا صديقى ان شئت ، أما أنا فلا أقحم نفسى فى مثل هذه الامور ..

الشاعر : ولماذا ؟

الرسام : لماذا ؟! لأن الفنانين لا يجب أن يتزوجوا !

الشاعر : هذه فرية قوية .. كيف تجرؤ على هذا القول دون ان ينطفىء المصباح ، أو تنهار الجدران على رأسك .. تذكر أيها المنكود انك ظللت منذ ساعتين تعرض على منظر هذه السعادة المغرية التى تريد ان تحرمنى منها ..



أم تراك كأشرار الأغنياء الذين يضاعفون رخاءهم على آلام الآخرين ، ويزدادون استمتاعا بدفء منازلهم اذا ما فكروا فى أن المطر ينهمر فى الخارج ، وأن هناك فقراء مساكين لا يجدون مأوى لهم ؟

الرسام : ظن فى ما تشاء ... ولكنى أحبك الى درجة لا تسمح لى بأن أساعدك على ارتكاب هذه الحماقة .. فانها حماقة لا يمكن اصلاحها ! ..

الشاعر : ولكن ، ماذا هناك ؟ ألست قانعا بحياتك ؟ .. لشد ما يخيل لى أن المرء يستنشق السعادة فى هذا المكان كما يستنشق الهواء النقى الطلق من نافذة فى منزل بالريف !

الرسام : انك محق ، فأنا سعيد .. سعيد تماما ! .. اننى أحب زوجتى من كل قلبى .. واذا فكرت فى ابنتى ضحكت من تلقاء نفسى لفرط اغتباطى .. ان الزواج بالنسبة لى ميناء هادئة أمينة .. لا من ذلك النوع الذى يجنح اليه المركب ليخلد الى السكون ، وانما من النوع الذى يلجأ اليه ليصلح شراعه وصاريه تأهبا لرحلات جديدة الى بلاد مجهولة .. وما عملت قط كما أعمل منذ زواجى .. ان خير لوحاتى هى التى رسمتها بعد الزواج ..

الشاعر : واذن ؟!

الرسام : يا صديقى ! .. أحب ان أقول لك - كى لا أبدو مناقضا لنفسى - أنى أعتبر سعادتى شيئا غير عادى .. حدثا استثنائيا . نعم ! .. كلما رأيت الزواج على حقيقته ، شعرت بالخوف على ما ظفرت به من حظ .. اننى أشبه الناس بأولئك الذين ينجون من الخطر قبل أن يحسوا بوجوده ، فاذا ما فطنوا اليه بعد ذلك ، هلعوا وذهلوا لما أقدموا عليه !

الشاعر : ولكن ما هى هذه الأخطار الرهيبة ؟

الرسام : الخطر الأول - والأكبر - هو فقدان الموهبة أو اضعافها ... ولهذا أهميته بالنسبة للفنان .. وأرجو أن تلاحظ اننى لا أتحدث الآن عن الظروف العادية فى الحياة . اننى أتفق معك على أن الزواج بوجه عام شىء بديع، وان معظم الرجال لا تبدو قيمتهم الا بعد أن تكملهم الحياة العائلية وتنميهم . بل ان الزواج كثيرا ما يكون ضرورة من ضرورات المهنة .. أما بالنسبة لنا جميعا معشر الرسامين والشعراء والمثالين والموسيقيين ، الذين يعيشون خارج نطاق الحياة ، لا يشغلهم منها الا دراستها واعادة اخراجها - كل على طريقته -

مع البقاء دائما على مسافة منها ، كما يتراجع المرء أمام لوحة من اللوحات لكى يزداد تذوقا لقيمتها وروعتها ! ٠٠ هـؤلاء جميعا لا يمكن أن يـكون الزواج - بالنسبة لهم - سوى استثناء ٠ اذ ان الفنان مخلوق مرهف الأعصاب ، كثير المطالب ، صعب الارضاء ٠٠ هذا الرجل الطفل الذى ندعوه فنانا ، لا بد له من امرأة من نوع خاص يكاد يستحيل العثور عليه ٠٠٠ بل الأكثر من هذا أن أحدا لم يحاول البحث عنه بعد ٠٠ آه ! لكم فهم الفنان الكبير الذى تحبه « دلكروا » هذه الحقيقة ، فكرس حياته للفن وحده ، وراء جدران المرسم الذى يعمل فيه ! لقد مررت منذ أيام بمنزله الصغير ، وبحديقته المنعزلة ، التى ظل يتمشى فيها وحيدا ، أكثر من عشرين عاما ٠٠ انه منزل صغير لا يتسع الا لأعزب ٠٠ تصور « دلكروا » متزوجا ، وربا لأسرة ، مع كل ما يكتنف هذا من مشاغل تربية الأطفال ، والحصـــول على المال ، وعلاج الأمراض ٠٠ هل تعتقد انه كان اذ ذاك يصل فى انتاجه الى ما وصل اليه ؟!

الشاعر : انك تذكر « دلكروا » وتنسى « فيكتور هيجو » ٠٠ أتعتقـد أن الزواج قد أعاقه ، وهو الذى ألف كل هذه الكتب الرائعة ؟

الرسام : أعتقد ان الزواج لم يعقه قط ، ولكن الأزواج لم يؤتوا جميعا من النبوغ ما يجنبهم ذلك ٠٠ لم يؤتوا شمس المجـد التى تجفف الدموع التى يتسببون فى اراقتها ٠٠ ولقد يكون من بواعث السرور للمرأة ان تجد نفسـها زوجة لعبقرى ، ومع ذلك ، فمن زوجات العمال من هن أكثر سعادة !

الشاعر : انه لموقف غريب حقا أن يترافع ضد الزواج رجل متزوج ، وسعيد فى زواجه !

الرسام : أكرر لك اننى لا أتحدث عن نفسى ٠ لقد كونت فكرتى هذه بعد كل ما شهدته من مآسى الآخرين ، وما لمست من الخلاف الذى يتكرر وقوعه فى منازل الفنانين المتزوجين ، والذى ينشأ عن الحياة غير الطبيعية التى نحياها ٠٠ ألا تأمل معى ذلك المثال الذى أقدم فى سن النضـــوج والنبوغ على الهجرة ، تاركا زوجته وأولاده ٠٠ لقد استنكر الرأى العام تصرفه هذا ، وأنا بدورى لا ألتمس له العذر ٠٠ ومع ذلك فأنا أفهم تماما حقيقة الدوافع التى حدت به الى هـــذا التصرف ! ٠٠ فهو فتى كان يعبد فنـه ، وينفر من الناس ويخشى الاتصـــال بهم ٠٠ ولكن زوجته على ذكائهـــا ، لم تســـع الى تجنيبه تلك المجتمعات التى كان يمجها ، وانما ظلت ست سنوات متتالية تزج به فى جميع أنواع الالتزامات الاجتماعيـــــة ٠٠ وأغرته على صنع تماثيل لرجال يتشحون بالأوسمة ويرتدون الملابس الرسمية ، ولسيدات لم يوهبن رشاقة ولا جمالا !٠٠ وكانت تجره عشر مرات فى النهـــار ، لزيارات لا طائل من ورائها ٠٠ فاذا ما جن الليل ، كانت تعد له الملابس الرسمية والقفازات البيضاء وتتنقل به من صالون الى صالون ٠٠ قد تقول انه كان حريا به ان يتمرد، وأن يقول : « لا ! »

... ولكن الا تعرف أن حياتنا بطبيعتها تجعلنا أشد التصاقا بالمنزل من غيرنا من الرجال ؟ ان جو المنزل يحتوينا ، فاذا لم تختلط به نسمة من المثالية ، ثقل على نفوسنا ، ولا يلبث أن يرهقنا ويضنينا .. ان الفنان ينفق فى عمـله كل قوته ونشاطه ، ثم يجد نفسه ـ بعد نضاله الفردى الطويل ـ خـلوا من كل ارادة ازاء مطالب الحياة الصغيرة ، ومن ثم يستكين الى السيطرة النسائيـة ، فليس هناك من هو أسهل منه انصياعا واستسلاما ..

ولكن ، حذار ! .. اذ ينبغى أن لا يشتد شعوره بالغير ، لأنه اذا أحس يوما بأن هذه الاغلال غير المنظورة التى تحيط به قد ازدادت ضغطا حتى أوشكت أن تعرقل مجهوده الفنى ، فانه لا يلبث أن يحطمها بضربة واحدة .. واذ يتبين مقدار ضعفه ، فانه يبادر ـ لفرط خجله ـ الى الفرار ، كما فعل صديقنا المثال..

ولقد بقيت زوجة هذا المثال ، مشـدوهة لرحيله .. ولا تزال المنكودة تتساءل : « ماذا فعلت له ؟ وأى جرم ارتكبت فى حقه ؟ » .. لا شىء ! .. ولكنها لم تفهمه ! .. اذ لا يكفى أن تكون المرأة طيبة ، ذكية ، لتصبح خير رفيقة للفنان ، وانما يجب أن تكون واسعة الحيلة واللباقة ، على استعداد دائم لانكار ذاتها وهى باسمة . وهذا بالضبط ما يتعذر توفره فى امرأة صغيرة السن ، تتحرق فضولا الى معرفة الحياة التى تجهلها..فما أن تجد نفسها ـ وهى الجميلة ـ متزوجة من رجل معروف ، تفسح له المجتمعات صدرها ، حتى تتوق الى الظهور بجانبه .. أما الزوج ، فانه مذ يتحسن انتاجه ، يزداد نفورا من المجتمع ، اذ يجد الوقت قصيرا ، والمهمة شاقة ، فيرفض الظهور .. وهكذا يشقى الاثنان . وسواء قبل الرجل أم رفض الامتثال لرغبات زوجته ، فان حياته تكون قد انحرفت عن خط سيرها وخرجت من هدوئها ..

.. آه ! ما أكثر ما عرفت من هذه المآسى التى تكون المرأة فيها ، اما ظالمة متسلطة ، واما ضحية .. وغالبا ما تكون هى الغاصبة !

.. اليك ما حدث منذ عدة ليال ، اذ كنت أزور الموسيقى « دارجنتى » ، وكان هناك بضعة أشخاص ، طلبوا منه أن يعزف لهم على (البيانو) . وما كاد الرجل يلبى طلبهم ويبدأ عزف أروع ألحان «شوبان» ، حتى شرعت زوجتـه فى الحديث بصوت بدأ خافتا ، ثم أخذ فى الارتفاع ، وما لبث أن اشترك فيه الجميع.. فما كان من الرجل الا أن أغلق (البيانو) ، وقال لى وهو يبتسم فى أسى : «هكذا الامر دائما .. ان زوجتى لاتحب الموسيقى ! » .. فهل رأيت أفظع من هـذا ؟ .. هل هناك ماهو أفظع من أن تتزوج من امرأة لاتحب فنك ؟.. صدقنى ياعزيزى انك الآن حر لأنك وحيد ، فاحرص على وحدتك وحريتك !

الشاعر : انك تسرف فى الحديث عن الوحدة .. وقد تطرأ على ذهنك بعض افكار تتعلق بعملك ـ اذا ما انصرفت بعد لحظات ـ فتستغرق فيها ناعما الى جوار النار الخابية في مدفأتك ، دون ان تحس حولك بهذه العزلة الشاسـعة

التى يتبدد فى فراغها الالهام ويتبخر ٠٠ فاذا تجاوزنا عن ساعات الوحدة التى تقضيها فى العمل ، فان هناك لحظات يستبد فيها السأم واليأس بالمرء حتى يجعله يشك فى نفسه ، وفى فنه ٠٠ هنا ، وفى هذه اللحظات ، لا بد ان يسعد الانسان اذ يجد بجواره قلبا محبا يستطيع ان يبثه شجونه ، وهو مطمئن الى انه لن يفقد ثقته وحبه ٠٠ ثم ، بسمة الطفل ٠٠ هذه الابتسامة التى تشرق دائما ، وبلا سبب ، أليست هى خير منعش للروح ؟ ٠٠ آه ، ما أكثر ما فكرت فى هذا ! ٠٠ اننا معشر الفنانين الذين يتولاهم الغرور ، ككل الذين يعيشـــون على النجاح ، وعلى هذا التقدير السطحى ، العابر ، الذى يسمونه الشهرة ٠٠ نحن أيضا ، لا غنى لنا عن الأطفال ٠٠ فهم وحـــدهم عزاؤنا فى شيخوختنا ٠٠ ما نفقد من شىء الا ويكسبه الطفل ٠٠ وما من نجاح قصر المرء عنه الا وقال : « لسوف يظفر به الصغير » ٠٠ ما من شعرة تسقط من رأس المرء ، الا وسره أن يراها تنبت فى رأس ابنه ، جديدة ، ذهبية ، مليئة بالقوة والحياة ٠٠

الرسام : آه ! أيها الشاعر ٠٠ انه الشاعر الذى يتكلم ! ولكن ، هل فكرت أيضا فى الثمن الذى تدفعه ؟

الشاعر : ما خلق الفنان الا لكى يحيا فى الاسرة ، وهذا صحيح ، بدليل ان الذين لا يتزوجون ينتهى بهم الأمر الى الانزواء فى أى منزل من منازل الهوى ٠٠ مثلهم فى ذلك مثل الذين ينفقون العمر فى الاسفار ، دون أن يكون لهم مقر ثابت ، ثم ينتهون الى الاقامة فى حجرة بفندق ، فيقضون ما بقى من أعمارهم وراء اللوحة التى تعلق على أبواب هذه الفنادق : « حجرات للايجار ، بالشهر وبالليلة » !

الرسام : انهم جميعا على خطأ ، اذ انهم - فى تلك المنـــازل - يتحملون تبعات الزواج ومتاعبه ، دون أن يتذوقوا مباهجه !

الشاعر : فأنت اذن تعترف بأن هناك مباهج ؟!

وبدلا من أن يرد الرسام ، يهب واقفا فيتجه الى مجموعة من رســومه الصغيرة ، ينقب فيها حتى يعثر على كراسة صغيرة كتبت بخط اليد ، فيعود بها الى زميله وهو يقول له :

- لسوف يطول بنا الجدل على هذا النسق دون ان يقنع أحدنا الآخر ! ٠٠ أما وأنت مصر على تجربة الزواج ، رغم آرائى ، فانى أنصحك بقراءة هذا المؤلف ٠٠ لقد كتبه رجل متزوج ، مشغوف بزوجته ، ســعيد فى بيته كل السعادة ٠٠ رجل غريب الاطوار ، يقضى حياته فى بيئات الفنانين ، مما زين له ان يرسم صورا لبعض البيوت التى على شاكلة ما حدثتك عنه ٠٠ ولم يحو هذا الكتاب - من أول سطوره حتى آخرها - سوى حقائق ٠٠ بل بلغ من مدى صحتها ، ان اشفق المؤلف من نشرها ٠٠ فاقرأه ثم عد لى ، فما أراك الا متحولا عن رأيك ٠٠

وفى العدد القادم ، أوافيك بما فى ذلك الكتاب عن « زوجات الفنانين »



مدرسة الوالدين

صعوبات التفاهم الزوجي!

للباحثة الفرنسية

الدكتورة فرناند ايزانبير

تلخيص : كليم أبو سيف

تستطيع أن تتزوج .. بعد قراءة هذا البحث !

◆ قدمت لك فى العدد الماضى من « كتابى » الجزء الأول من البحث الذى ألقته الباحثة الفرنسية الدكتورة فرناند ايزانبير ، فى مدرسة الوالدين بجامعة باريس ، والذى تناولت فيه بالشرح والتحليل فترة من الفترات « الحرجة » فى حياة كل رجل ، وكل امرأة ، وهى فترة الخطبة .. كما ألقت كثيرا من الضوء على ما يجب على الشاب أن يعلمه عند الزواج

واليوم ، أقدم لك الجزء الثانى والأخير من هذا البحث القيم ، الذى لا شك يفيد كل مقبل على الزواج . وهذا الجزء يتناول فصلين : الأول منهما يتحدث فيما يجب على الفتاة أن تعلمه عند الزواج ، والثانى يرشد الآباء الى المسلك الذى ينبغى أن يسلكوه ، قبل أن يقدموا على تزويج أبنائهم ..

فتعال معى نأخذ نصيبنا من هذا البحث .. قبل أن يسبق السيف العزل !!

ما يجب على الفتاة أن تعلمه عند الزواج

◆ حب الرجل عصفور نفور يحتاج الى الحرية ، والثقة ، والقدرة على الانطلاق! .. والملاحظ أن مشاعر الرجل تختلف اختلافا كبيرا عن مشاعر المرأة .. فاذا لم يقبل أحد الزوجين الآخر ، كما هو ، وحاول اخضاعه لآرائه ومبادئه ، كان معنى هذا أنه يعد نفسه للاصطدام بخيبة أمل مريرة ، اذ من المستحيل معرفة من منهما أعمق احساسا بالحب من الآخر !

على أن الرجل يأنس الى المرأة التى لا تستوضحه سواء ما جل أو ما هان من تصرفاته . ويوم يرى نفسه مضطرا لأن يدلى لزوجته بـ « بيان » عن جميع تصرفاته وأفعاله ، والى أين هو ذاهب ، ومن أين هو قادم ، فانه سيرى فى هذا نوعا من الحساب الذى تطلبه زوجته منه ، فلا يلبث أن يطلبه بدوره منها . هذا فضلا عن أنه سيعتبر مسلك زوجته بازائه مسلك المتشككة فى أخلاقه وسلوكه ، ومن ثم تكون النتيجة : اما أن يرفض الاجابة على أسئلتها ، واما أن يقدم اليها اجابات لا تمت الى الحقيقة بصلة ! .. وهنا نرى الزوجين وقد تعرضا لخطر الخلف والشجار ، بتأثير اعتقاد كل منهما أنه على حق فى تصرفه قبل الآخر ، الأمر الذى يؤدى الى أن يفقد كل من الزوجين ثقته الكبرى فى وجود حب كامل لا تعتوره عيوب ، ولا تعترض سبيله عقبات !

وموقف المرأة يختلف فى هذه الناحية عن موقف الرجل . فاذا كانت قد نشأت فى أسرة يسودها الشقاق وعدم الاستقرار ، فلا شك أنها تحلم بزواج يوفر لها حياة غير تلك التى عاشتها مع أسرتها .. أى حياة الدعة والوفاق . وما دامت تحب زوجها ، فلن تكون الحياة عبئا ثقيلا عليها بأى حال من الأحوال ، حتى ولو كان لديها من المشاغل ما يستغرق كل وقتها وجهودها ، التى يجب ألا تدخر وسعا فى بذلها لارساء قواعد حبها . وينبغى أن تعتبر الزواج سبيلا يمكنها من بذل حريتها ووقف جهودها ، لا لاسعاد نفسها - فان هذه أنانية - بل لاسعاد الآخرين !

على أن دهشة المرأة من حاجة الرجل الملحة الى الحرية لن تلبث أن تزول ، اذا ما فكرت قليلا فى عاداته قبل أن يتزوج ، وأبرزها : الأنانيـــة وحب الذات ! .. فالعـــلاقات العائلية ووشـــائج الأسرة التى كان يحـــرص على الاحتفاظ بها موصولة قبل زواجه ، هى التى كانت تسهل له سبل الحياة فى بيت أبويه .. أى أنه كانت له مصلحة فى الاحتفاظ بتلك العلاقات والابقاء عليها ! .. ومع ذلك ، فان تلك الحياة السهلة لم تكن بدون مقابل ، بل كان يدفع ثمنها من حريته ، وذلك بخضوعه لسلطة الأبوين . ومن ثم كانت تلك الفترة بمثابة فترة التمرين التى يجب أن يجتازها قبل أن يصبح مستقلا فى الحياة .. فلا غرو أن نراه - بعد أن يصبح زوجا ورب أسرة - يسلك فى بيته مسلكا يختلف كل الاختلاف عن ذلك الذى كان يسير عليه فى بيت أبويه .. فلا خضوع ولا طاعة ، بل تحرر منهما ، وقفز الى الجانب الآخر وهو حب اصدار الأوامر والميل الى السيطرة ، عساه أن يعوض الفترة التى قضاها فى بيت والديه يتلقى الأوامر وينفذها !

.. هذا اذا انفصل الشاب عن أسرته انفصالا تاما . أما اذا ظل وثيق الارتباط بها بعد زواجه ، فان الأمر سيزداد تعقيدا ، اذ أنه سيعمد الى المقارنة الدائمة بين الرعاية التى كانت تحوطه بها أمه قبل الزواج ، وتلك التى تحوطه بها الآن زوجته .. وقد تقوده هذه المقارنة الى كثير من التخبط والارتباك فى حياته الزوجية !

وهناك امر هام ينبغى على الزوجة ان تدخله فى حسابها .. ذلك ان الرجل لا يستشعر حاجة ملحة الى ثقة زوجته فيه ، فحسب ، بل والى الابقاء على تلك الثقة أيضا .. وهو يتطلب من زوجته هذه الثقة ، حتى اذا اعترف هو فى دخيلة نفسه بأنه لا يستحقها . ولا ريب فى ان الزوجة ستجد من الفرص ما يسمح لها بمنحه ثقتها ، وتقوية روحه المعنوية ، وبأن تجعل من نفسها معينا للسلام يفيض على عقله وروحه معا !

أهمية الرضاء الجسدى فى الحياة الزوجية !

◆ ومع أن الحب مكون من عدة عناصر ، بالاضافة الى عنصر الرضاء الجسدى ،

الا انه يجب علينا أن لا نغفل أهمية هذا العنصر فى الحياة الزوجية ، لأن الرجل ينظر عادة الى العلاقات الجنسية بشيء من الاعتزاز الممزوج بالكرامة والشرف ، فى الوقت الذى لا تقيم فيه المرأة كل هذا الوزن لتلك العلاقات ، ولا تنظر اليها بعين نظرة الرجل ، مخافة أن تخيب ظن الرجل فيها اذا هى عجزت عن ارضائه من هذه الناحية !

على أنه قد يحدث أن يجد الزوج نفسه « فاقد الرجولة » ، فى بدء حياته الزوجية ! .. ولا شك فى أن الأمر سيكون بالغ التأثير عليه ، حتى اذا كانت زوجته غير متعجلة ، أو أنها تجده أمرا طبيعيا أن ينتظر الزوجان الوقت الكافى لانضاج شعورهما بالرغبة وطلب المتعة ! .. ففى هذه الحالة ، يجب على الزوجة أن تكون بالغة الرقة فى تصرفاتها ازاء زوجها ، وذلك بأن تلقى فى روعه أن العلاقة الجنسية ليست بالأمر الرئيسى فى الحياة الزوجية ، وأنها قادرة تماما على الانتظار ، حتى تكمل الأيام امتزاجهما الروحى الذى سيؤدى حتما الى امتزاجهما الجسدى الكامل ! .. وعليها أن تفهمه ـ بلباقة ـ أن هذا التريث من جانبها ، وذلك النقص من جانبه ، لن يغيرا من عواطفها نحوه فى شيء !

و « فقدان الرجولة » قد يحدث للرجل وهو كامل الرجولة ، ولكن شيئا من الارتباك ، أو الرهبة ، يعتريه فى أيام زواجه الأولى ، فيكون من شأنه الاخلال بتوازنه من هذه الناحية .. والدليل على ذلك هو أنه اذا هونت الزوجة من الامر ولم تعره التفاتها ، فتظهر أمام زوجها كما لو كانت غير مكترثة به ، فانها ـ على الرغم مما تستشعره من حرج لهذا الوضع غير الطبيعى ـ سترى أنه لن تمضى بضعة أيام حتى يعود الى الزوج اتزانه الجنسى ، وتصبح حياتهما الزوجية طبيعية لا يعتورها أى اختلال !

وعلى الزوجة أن تحرص غاية الحرص على عدم الاشارة أو الخوض فى هذا الموضوع ، حتى لو كانت منفردة بزوجها .. ولتحذر من أن تجعل منه مادة للفكاهة أو السخرية ، لأنها لا تشعر بمدى الألم الذى يستحوذ على الرجل ، ومقدار احتقاره لنفسه ، عندما يرى أنه عاجز عن القيام بواجباته الجنسية نحو زوجته !

لا تتركى أولادك يشغلونك عن زوجك !

◆ حين يرى الشاب نفسه وقد أصبح فجأة رجلا متزوجا ، يميل الى الاستخفاف ببعض اللفتات الهينة والتفصيلات الدقيقة التى تعيرها زوجته من ناحيتها اهتماما بالغا .. فهى ترى فى هذه الهنات الهينات « بارومتر الحب » ! .. وهى بلا شك مخطئة فى هذا التقدير . أما هو فيرى فى اهتمامها بهذه التوافه نوعا من عدم الثقة فى حبه لها .. هذا الحب الذى يراه ـ من زاويته الخاصة ـ فى غير حاجة الى هذه التعبيرات الخارجية التافهة ! .. ويبدأ العتاب فى الظهور من الجانبين ،

وهو عتاب لا مبرر له ولا فائدة منه ، لأن هذه الأمور الرقيقة ، الدقيقة ، الحساسة ، والتى أشرنا اليها ، تفقد كل قيمتها المعنوية اذا جاءت نتيجة اكراه أو بعد عتاب ولفت نظر ٠٠ فرونقها وبهجتها يتمثلان فى أن تجىء عفو الخاطر ، وبدون تدبير سابق أو تفكير من مانحها أو آخذها على السواء !

والمرأة تتكلم بجوارحها ، سواء أكان ذلك قبل الزواج أو بعده ٠ وهى قادرة على التعبير والافصاح عن كل خلجات نفسها ٠٠ ولذلك تستولى عليها الدهشة من الصمت الذى يلوذ به زوجها ، بعد أن كان فى مبدأ علاقتهما ـ أثناء الخطبة ـ لا يملك غير بضاعة الكلام يعبر بها عن شعوره نحوها وحبه لها ٠ وكان اذا عز عليه الكلام لجأ الى الكتابة ، فما يكاد يدبج لها خطابا حتى يردفه بآخر ٠٠ فاذا التقيا لم يتعب من التحدث اليها عن مشاريعهما المشتركة المستقبلة ٠ وحتى بعد الزواج بقليل ، كان يستأنف ارسال هذه الخطابات المشتعلة الى زوجته ، اذا حدث أن افترقا فى الأيام الأولى من زواجهما !

وهنا ينبغى أن نلفت نظر الزوجة الى أن عدم الاكثار من الكلام ، فى الحياة اليومية العادية ، ليس معناه أن الزوج قد مل الحياة الزوجية ، بل قد يعنى أنه أصبح لا يجد العبارات اللائقة للتعبير عن مشاعره ، أمام ذلك الحب العارم والحنان الدافق اللذين تغمرهما به زوجته ! ٠٠ والا ، فمن هو ذلك الزوج الذى يستطيع بعد الزواج أن يطبع قبلة على معطف زوجته ، كما كان يصنع أثناء الخطبة ؟!

ان على الزوجة أن تعلم أن ذلك ليس مرجعه الى أن حب الرجل قد نقص أو أن جذوته قد انطفأت ، بل مرجعه الى أن حبه بعد الزواج قد اكتملت « رجولته » ! ٠٠ فقد أصبح الزوج على عتبة حياة جديدة ، ركز فيها كل آماله ، وجعل من زوجته ـ التى خلع عليها اسمه ـ موئلا لسعادته ومعقدا لرجائه !

والزوجة التى يدهشها أن ترى زوجها يهتم بأشياء أخرى غير حبها ، أو غير حبهما ، تنسى أن هذا الاهتمام ليس مبعثه الأنانية ـ دائما ـ بل انه ضرورة حيوية بالنسبة للزوج ! ٠٠ ذلك أن الرجل فى حاجة لأن يكرس نفسه ويركز تفكيره فى العمل الذى يؤديه ، بغض النظر عن الناحية المادية لذلك العمل ٠ وهو يستشعر بعد زواجه سعادة كبرى ، عندما يرى نفسه قد بدأ مرحلة جديدة من حياته ، يؤدى فيها عمله فى جو من الحياة البيتية المستقرة ، اذ أن مرحلة الخطبة ليست مرحلة استقرار بل هى ـ بالنسبة له ـ فترة قلقة يعتورها الكثير من التكلف ، فضلا عن أنها فترة تحضيرية لحياة الزواج المستقرة التى يجد فيها جميع المقومات التى تكفل له أداء عمله على الوجه الأكمل ٠٠

ففى الوقت الذى يكون الزوج فيه قد بلغ قمة انتاجه ، نراه يستغرق فى عمله استغراقا يكاد ينسيه حبه ٠ الا أنه يجب أن يظل ساهرا على هذا الحب ، ولايتخلى عنه ، بل يعززه ويؤكده ، وهو يكافح فى معركة الحياة !

فاذا لقى الزوج تشجيعا من زوجته ، ولم تزعجه بملاحقته فى كل مكان ، فانهما سيريان أن شركة فى العمل قد قامت بينهما وطيدة الأركان ، دون أن يبذلا جهدا فى تكوينها . صحيح أنه ليس فى مقدور الزوجة أن تشترك مع زوجها اشتراكا فنيا أو عمليا فى أداء عمله ، ولكنها اذا سهلت له مهمته فانها تكون بذلك قد قامت بأكبر دور عليها ان تقوم به كزوجة .. اذ أن حياة الرجل المتزوج تتوقف على زوجته وتعتمد عليها .. وهو لا يقبل على عمله الاقبال الذى يمكنه من النجاح فيه ، الا اذا أحس بأن زوجته تحبه الحب الذى يدفعه دائما الى الأمام ، وانها تتلقاه دائما بذراعين مفتوحتين !

وينبغى على الزوجة ، اذا أنجبت ، أن لا تستغرق فى أولادها استغراقا يفقدها جاذبيتها وخصائصها كزوجة ، بل عليها أن تداوم على العناية بنفسها وعلى زيادة معلوماتها وثقافتها ، لأن هذا هو أقوم السبل المؤدية الى اتحادها وامتزاجها بزوجها من ناحية ، كما أنه أسلم الطرق التى تسمح لها بالاشتراك فى تربية أولادها والاشراف على تطورهم فى مراحل حياتهم المختلفة . وعلى الزوجة أن تعلم أن العناية بنفسها - كزوجة وكأم - هى أقوى الضمانات لبقاء شخصيتها !

دع لزوجتك ادارة منزلك !

◆ واذا كان كسب الزوج من عمله وفيرا ، فان ذلك يجب أن لا يعوق الزوجة عن التوفر على خدمة بيتها وأولادها ، ولو كان فى هذه الخدمة تنازل من جانبها عن بعض حقوقها .. فانه من الأفضل دائما أن تحيا الزوجة حياة متوسطة ، لتتمكن من الاشراف على تربية أولادها بنفسها ، بدلا من أن تحيا حياة مسرفة ينتج عنها اهمالها هذا الواجب المقدس !

أما اذا لم يكن دخل الزوج كافيا ، واضطرت الزوجة لمعاونته فى هذا الصدد - أى أن تعمل لتكسب ما يعين الأسرة على الحياة - كان عليها فى هذه الحال أن تبذل أقصى جهدها لتوفير جو هادىء تعوض به أسرتها عن حياة لا أناة فيها .. حياة يكتنفها التفزز العصبى من كل جانب ، نظرا لاضطرار الزوجين الى العمل لكسب الرزق !

والمال فى العادة موضوع مناقشات مستمرة فى كل أسرة ، فمن الأفضل اذن أن يتفق الزوجان ، فى مطلع حياتهما الزوجية ، على أن تعطى الزوجة مبلغا معينا من المال ، يترك لها حرية التصرف فيه للانفاق على البيت . وقد تسرف المرأة حى بعض النواحى ، الا أنه يلذ لها كثيرا أن ترى نفسها مسئولة عن ادارة بيتها

وتنفر الزوجة دائما من أداء أى عمل فى البيت يكون أداؤه فى العادة من



الأعمال التى يناط بها الرجال ، مثل اصلاح خلل فى الأسلاك الكهربائية أو اصلاح صنابير المياه ! .. ومن الخير لها فى هذه الحال أن تطلب من زوجها انجاز هذه الأعمال عند الحاجة اليها ، بدلا من ان تقوم بهـا وهى كارهة لها متذمرة منها ، لأن المزاج المعتدل ضرورى لحياة الأسرة ضرورة الشمس لحياة الانسان !

وعلى العموم فان المرأة بطبيعتها أكثر مرونة وقدرة على مسايرة الظروف من الرجل ، ومن ثم كان عليها أن تستفيد من هذه الصفات التى تفردت بها لتجنى منها أبرك الثمرات !

مسلك الآباء قبل زواج أبنائهم

◆ من المقطوع به ان اختيار الزوج أو الزوجة هو من الامور ذات الأهمية الخاصة ، بحيث ينبغى ان لا ندع مسئولية هذا الاختيار تقع بأكملها على عاتق أى من الطرفين ..

فاذا كان الوالدان قد ربيا ابنهما تربية سليمة ، فان مهمة زواج هذا الابن ستتم بنفس الاسلوب السليم الذى اتبع فى تربيته . واذا تمكن الوالدان من أن يجعلا من حياتهما مثلا رفيعا يسير الأولاد على هداه - بالفعل لا بالقول - فان الفرص ستكون سانحة لهؤلاء الأولاد ، كى يحيوا حياة زوجية ناجحة !

وتتعلق سعادة الزوجين المستقبلة - الى حد كبير - بالاسلوب الذى يكون أبواهما قد اتبعاه معهما ، وهما يلقيان اليهما بدقائق التطورات الجنسية أثناء مرحلة المراهقة .. فاذا كان الوالدان قد سلكا معهما طريقا مبسطا فى هـذه الناحية ، فان حالتهما العصبية تكون متزنة عند الزواج ، الأمر الذى يساعدهما على الحياة فى هدوء واطمئنان !

ومن واجب الآباء أن يتجنبوا ما استطاعوا اطالة فترة الخطبة ، لأنهم بذلك يسرعون بأبنائهم الى حياة الاستقرار التى ينشدونها ويتوقون اليها !

وعلى كل ، فمن الأفضل التريث بضعة أشهر ، حتى يصبح من الميسـور اعداد مسكن يستقل فيه الزوجان بحياتهما .. ومن الخير للآباء ان لا يتعجلوا،

حتى لا يجدوا انفسهم مضطرين الى العيش مع العروسين تحت سقف واحد .. ذلك لأن الحياة المشتركة تباعد ما بين الزوجين ، ولا تجعلهما يشعران بسعادة الحياة الزوجية المستقلة . ولقد كانت الرغبة فى الاستقلال هى المستحوذة على جميع الشبان الراغبين فى الزواج ، فى جميع العصور !

واذا وجد الآباء أن أبناءهم فى حاجة الى عون مالى بعد الزواج ، فعليهم أن يقدموا لهم هذه المعاونة مصوغة فى قالب من العطف البالغ والحنان السابغ ، والا كانت هذه المساعدات المالية باعثا على احساس الأبناء بالضيق والحرج ، والشعور بظلم المجتمع الذى جعلهم عاجزين عن القيام باود أنفسهم دون الاستعانة بآبائهم . فاذا هون الآباء من قيمة الخدمات التى يؤدونها لأولادهم ، وبذلوها لهم كما لو كانت أمرا طبيعيا محضا - كما هو الأمر فى الواقع - فانهم سيوفرون على أبنائهم الشعور بأنهم عبء او عالة على آبائهم !

لا تنتظروا من أبنائكم شيئا .. بعد الزواج !

◆ هذا ما يجب على الآباء فعله مع ابنائهم قبل زواجهم . بقى سؤال واحد نختم به هذا البحث ، وهو : ماذا يجب ان يفعل هؤلاء الآباء بعد زواج أبنائهم ؟

ان أول ما يجب على الآباء ملاحظته ، هو ان لا يفرضوا - لأنفسهم - على أولادهم أية واجبات من أى نوع كان . فاذا وطن الآباء أنفسهم على عدم توقع اى شىء من أولادهم ، وعدم مطالبتهم بأى شىء ، فان اقل لفتة أو رعاية من هؤلاء الأبناء سيتقبلها الآباء كما لو كانت منحة سخية تغمرهم بالغبطة والفرح !

واذا وجد الآباء أنفسهم فى مركز يسمح لهم بأداء بعض الخدمات المؤقتة لأبنائهم بعد الزواج ، فعليهم ان لا يستغلوا هذا الموقف كى يفرضوا أنفسهم على أبنائهم . وعليهم أن يعلموا جيدا انه ما من شخص فى الوجود لا يمكن الاستعاضة عنه بشخص آخر ، وأنهم اذا لم يقوموا هم بأداء تلك الخدمات فان غيرهم سيقوم بها ، بل قد يقوم بها على وجه أفضل !

والذى يحدث فى غالب الأحيان أن الأبناء يكلفون آباءهم بهذه الواجبات ، رغبة منهم فى ادخال السرور على قلوبهم وعدم المساس بأحاسيسهم فيما اذا كلفوا غيرهم القيام بها ! .. وانه لمن القبح بمكان ان يتخذ الآباء هذه الخدمات ذريعة للتحكم فى ذلك البيت الصغير الناشىء ، بدلا من أن يشعروا بالسعادة لتمكنهم من ادائها له !

ومن غير المرغوب فيه أن يظل أحد الزوجين متشبثا ، بعد زواجه ، بأسرته التى نشأ فيها ، مرغما شريكه الآخر على أن يتبعه اليها .. فالزواج خلية جديدة يجب أن تتكون مستقلة عن خلايا أسرة الأبوين

وانه لمما يسهل الأمور أن يكون للآباء ما يشغلهم ويملأ فراغ حياتهم

ويستغرق كل وقتهم . فان هذا سيجعلهم على مقربة من الحياة ، ومن عقلية الجيل الذى يعيشون فيه ، كما انه سيجنبهم مرارة السأم الذى يستولى عليهم ، والوحدة التى يشعرون بها بعد زواج أبنائهم ، والتى تدفعهم الى الرغبة فى تمضية الوقت بالتدخل فى حياة أبنائهم الخاصة !

على ان هناك حقيقة مقررة يجب أن نعترف بها ، وهى أننا نستطيع دائما ان نجد حلولا لأشد الامور تعقيدا ، اذا نحن نظرنا الى الحيـــاة فى هدوء ، وحاولنا مواجهة مشكلاتها واحدة واحدة ، بدلا من ان نكدس مشاكل الماضى على مشاكل الحاضر والمستقبل .. واذا نحن جعلنا همنا الأول ، لا أن نسعد على حساب الآخرين ، بل ان نجعل من أنفسنا معينا يفيض بالسعادة على الآخرين !

كيف سقطت ربيبة الدير ؟
وكيف تمرغت فى حمأة الرذيلة ؟
وكيف انتقمت من الأقدار فى نفسها ؟



ان الجزء الثانى من « مدام بوفارى » ، الذى تقدمه لك « مطبوعات كتابى » فى منتصف فبراير ، يوافيك بالاجابة الشافية على الأسئلة التى لا شك قد ترددت فى ذهنك ، وأنت تقرأ الجزء الاول من

مدام بوفارى

٠٠ ولسوف يتحفك الجزء الثانى من قصة « فلوبير » الخالدة ، بالنص الرسمى لجلسات محاكمة مؤلفها ، ولمرافعة الاتهام ضده ، ودفاعه المجيد عن نفسه ، وعن الأدب ٠٠ فلا تدعه يفوتك بحال !

حسناء .. فى زى ضابط !

◆ هذه حلقة جديدة من سلسلة مغامرات « كازانوفا » .. فقبل أن يبرح « كازانوفا » بلدة (شيزانى) مسرح مغامرته الأخيرة ، التقى بصديقه القديم الكونت « سبادا » .. وفى الصباح التالى ، استيقظ على ضجة فى الفندق ، اذ أقبلت ثلة من حرس الأسقف لاقتحام الغرفة المجاورة لغرفته ، بعد أن نمى الى الأسقف أن نزيلها يصحب امرأة ليست زوجة له .. وتدخل « كازانوفا » فى الأمر ، اذ وجد ان الرجل لم يكن يعرف الايطالية ، وان الشخص الذى كان يزامله فى الغرفة لم يكن امرأة ، وانما كان ضابطا شابا ! .. وبعد أن انصرف الحرس ، علم « كازانوفا » من النزيل انه من ضباط حاشية امبراطور المجر ، وانه يحمل جواز سفر من الوزير البابوى .. على ان أعظم ما أدهشه ، هو انه لم يلبث أن تبين ان الضابط الآخر - الشاب - كان بالفعل امرأة .. امرأة فرنسية متنكرة . وكان من العجيب ان الضابط المجرى لم يكن يعرف اللغة الفرنسية ، ولم تكن المرأة تعرف سوى لغة بلادها !

فى ركاب الفرنسية الحسناء ..

◆ دعيت والضابط المجرى وزميلته - وكانت تدعى « هنرييت » - الى العشاء فى منزل الجنرال « سبادا » .. وكانت الحسناء متنكرة فى زى الضابط ، وان لم يغفل حقيقتها أحد .. والواقع اننى بدأت أحس باهتمام نحوها ، واشتد اعجابى بها فى تلك المأدبة ، حتى اننى قررت أن أرافقها وزميلها الى (بارما) - حيث كان الضابط المجرى موفدا - متظاهرا بالرغبة فى ان أعاونهما لجهلهما باللغة الايطالية ! .. وراودنى الأمل فى أن أستطيع خلال الرحلة أن أكتسب ود الفرنسية ، لا سيما وان الفارق بينى وبين « الكابتن » المجرى كان شاسعا .. اذ كان الرجل فى الستين ، بينما كنت فى الثالثة والعشرين ، وسيما ، جميل الطلعة !

وقبل الرجل أن أصحبه وزميلته الى (بارما) ، مغتبطا بانه وجد من يؤدى لهما مهمة المترجم .. ومن ثم بادرت الى شراء عربة من طراز انجليزى .. وأتاحت لى هذه الرابطة الجديدة فرصة الحديث الى الحسناء بلغتها ، وأنا مطمئن الى ان زميلها لا يفقه حديثنا .. وكم كانت دهشتى حين تبينت انها لم تكن مجرد مغامرة مستهترة ، وانما كان لها من الخلق ما لا يتوفر الا لسيدة على قدر كبير من الثقافة والتربية الراقية !

نيران ٠٠ فى فؤاد كازانوفا !

◆ وغادرنا (شيزانى) بعد الغداء فى اليوم التالى ٠٠ وكان حتما علينا ان نقضى أولى ليالينا فى غرفتين متجاورتين فى (فورلى) ، فلم يقدر لجفنى ان يغمضا لحظة ، اذ كان ادراكى ان «هنرييت» مع « الكابتن » المجرى فى خلوة ، يثير أقسى الانفعالات فى نفسى !

وقضينا ليلتنا الثانية فى (بولونيا) ٠٠ وساعد العشـاء الدسم ، والجو الدافىء ، على اذكاء ضرام الجوى فى جوانحى ٠٠ وخطر لى ان اسأل الفرنسية عما جمعها بالضابط الكهل ، فابتسمت ودعتنى الى أن أسأله ، فقال فى بساطة انه كان يتنزه مع صديق من زملائه فى روما ذات يوم ، على مقربة من النهر ، فرأى ضابطا مسنا يغادر قاربا فى صحبة الشابة التى كانت فى الزى العسكرى ، ففتن بها ، وعهـد الى خادمه بأن يبحث عن مقرها ٠٠ واسـتطرد قائلا : « وشاءت المصادفات أن يعهد الى « الكاردنيال آلبانى » - الوزير البابوى - بالسفر بعد يومين الى (بارما) ، فى مهمة ديبلوماسية ، وزودنى بجواز خاص وبمال يكفينى ٠٠ وقبل أن أرحل ، جاء خادمى يعلننى باهتـدائه الى مقر الفتـاة ، فاوفدته يناشدها أن تلقانى ، وينبئها بأننى راحل فى اليوم التالى ، فكان جوابها انهـا على استعداد لأن تقابلنى خارج أبواب روما اذا حددت موعد سفرى ٠٠ وبالفعل برت بوعدها ، وما لبثت أن صعدت الى عربتى ، فبقيت فى صـحبتى الى ذلك الحين » ٠٠

محاولة ٠٠ قبل انتهاء الرحلة !

◆ ولم يكن الضابط الكهل يعرف عنها سوى الاسم الذى ذكرته له الحسناء ، وسوى ما لمسه من رقى منبتها ٠٠ ثم استطرد قائلا : « لكم يسرنى لو انها روت لك قصتها فترجمتها لى باللاتينية ، فاننى أنشد ودها صادقا ، وسيحزننى أن تفارقنى فى بارما »

وترجمت للشابة حديثه ، فقالت : « أرجو أن تنبئه بأننى كنت أستطيع أن أكذب عليه ، ولكننى أعزف عن الكذب ٠٠ وفى الوقت ذاته ، لست فى حل من أن أذكر الحقيقة ٠٠ كل ما أرجوه هو أن يدعنى وشأنى بمجرد وصـولنا الى (بارما) ، وأن لا يحاول التحرى عنى ٠٠ واذا شاءت المصادفات أن نلتقى ، فلسوف أذكر له صنيعه اذا حرص على أن يتظاهر بأنه لم يرنى من قبل » !

وما أن أويت الى مخدعى فى تلك الليلة ، حتى كنت فى أقصى حالات الحيرة ، واللهفة ٠٠ كان لابد لى من أن أنال هذه الفرنسية الفاتنة مهما يكلفنى ذلك من ثمن ٠٠ لذلك قضيت الليل بطوله أفكر فى الأمر ٠ وخطر لى ان الضابط لن يضن على بأن أجرب حظى معها ، ما دام مضطرا الى أن يفارقها فى (بارما) فراقا

نهائيا .. لذلك اسرعت الى غرفتها فى الصباح ، فقلت له اننى لم اعد اشك فى ان اصرار الشابة على أن تفارقه فى (بارما) ، معناه انها تأمل فى ان تلتقى هناك بعشيق لها ، فليس يضيره ، والأمر كذلك ، أن يسمح لى بنصف ساعة ، احاول فيها أن أطفىء نار الوجد التى كانت تضطرم فى فؤادى !

استجابة غير مباشرة !

◆ وكان الرجل المجرى طيبا ، فأشفق لحالى ، ووعدنى بأن يغادر الفندق بعد الفطور ، متظاهرا بالانطلاق لمهمة خاصة ، وبذلك يخلى لى الجو .. وبالفعل بر بوعده . فما ان خرج ، حتى سألت « هنرييت » أن تسمح لى بأن أؤنس وحدتها ، فأبدت سرورها .

واذ خلا لنا الجو ، بادرتها قائلا : « لست أدرى أية عاطفة يكنها لك هذا الرجل الأمين ، وانما الذى ادريه انه أوتى من السيطرة على نفسه ما لم يتح لى .. اذ أرانى مضطرا لأن أصارحك بأننى احترق بنيران هواك ، فاما كنت لى ، واما مكثت هنا ، لأننى لا أطيق أن أراك تفارقيننا فى (بارما) لتلتقى بعشيق آخر أو بزوج .. لقد عقدت العزم ، وعليك الآن أن تختارى بين أن أصحبك أو أن أبقى هنا .. فاذا كان الجواب الأخير ، فلسوف أفارقك ، وأرحل الى نابولى لأنشد شفاء من حبك .. اما اذا رأيت أن أصحبك الى (بارما) ، فيجب أن تعدينى بأن يكون قلبك لى .. والى الأبد » !

قالت ضاحكة : « ما تصورت من قبل كيف يجهر الانسان بمثل هذا الحب المتقد .. كنت أتصور حديث الحب ناعما ، رقيقا ، لطيفا .. »

ـ ولكن وطأة عواطفى لم تدع سبيلا للـــرقة واللطف .. هل تستطيعين أن تتصورى وطأة العذاب الذى يبرح بالرجل حين يتدله فى هوى امرأة ، ويجد نفسه فى حيرة مما اذا كان سيحظى بها أو يظل معذبا طول العمر .. لشد ما ألعن الحظ الذى ساقنى الى لقائك !

ـ اذن ، فأنت آسف على أن عرفتنى ؟

ـ أو ليس لى عذر فى أن أكون كذلك ؟

ـ لا .. لأننى لم أقرر بعد أمرا فيما عرضت على ..

ـ اذن ، فهل لى أن أطمئن ؟ .. هل لى أن أثق فى أنك تحبين أن أصحبك الى (بارما) ؟

ـ أجل .. تعال الى (بارما) !

(ويمضى « كازانوفا » مع « هنرييت » والضابط المجرى الى (بارما) وهو يكاد يطير فرحا . وقبل أن يبلغوها ، يقترح أن لا يصلوا ثلاثتهم معا الى المدينة ، حتى لا تثير صحبتهم الأقاويل ، فيتنازل الضابط عن مكانه ، على أن يستأنف الرحلة فى عربة أخرى .. واذ يصل «كازانوفا»

الى المدينة ، يسجل اسمه لدى البوليس باسم السيد « فاروسى » ـ وهو لقب أمه ـ بينما تسمى « هنرييت » نفسها « آن دارسى » .. ويقيمان فى فندق « داندرمونت » ، ويستأجران خادما ، ثم يخرج كازانوفا ليبتاع ثيابا لفاتنته)

المدينة الزاخرة بالجواسيس

◆ كانت (بارما) اذ ذاك تئن تحت نير حكومة جديدة ، بثت الجواسيس فى كل مكان ، حتى لقد كان من المحتمل ان يكون خادمى جاسوسا ! .. على ان (بارما) كانت مسقط رأس أبى ، فاتخذت سبيلى فى المدينة .. ولم أكد أصدق اننى فى ايطاليا ، اذ لم يكن أحد ليتحدث بغير الفرنسية أو الاسبانية ، اما الذين لا يعرفون سوى الايطالية ، فكانوا يتكلمون همسا .. وآثرت ان لا أسأل احدا ، فظللت أجوس خلال المدينة ، حتى عثرت على متجر للأقمشة ، تجلس فيه سيدة بادية الطيبة ، ظنت لأول وهلة أننى من الفرنسيين ، ولكننى طمأنتها الى أننى ايطالى فهتفت : « شكرا لله .. ما أندر الايطاليين فى هذه الأيام ! .. فان الدون فيليبو وصل أخيرا ، ولن تلبث زوجته مدام دى فرانس أن تلحق به ! » .. وسرعان ما تحولت تعد لى ما طلبت من أقمشة تكفى لأن تسد جميع حاجات فاتنتى ..

(وتطوعت المرأة بارشاده الى حائكة وابنة لها تجيد التطريز ، ووعدت بارسالهما الى الفندق .. ثم طلب كازانوفا صانع أحذية لصنع عدد من الاحذية للحسناء الفرنسية .. واذ رأى الرجل أنها لا تعرف الايطالية ، وعد بأن يحضر لها استاذا فلمنكى الأصل .. وما لبثت الحائكة أن أقبلت مع ابنتها ، فأكبتا على اعداد ثياب « هنرييت » .. وفى تلك الاثناء ، ارتاب « كازانوفا » فى ان خادمه جاسوس للسلطات ، فسرحه .. وعند ذاك عرضت الحائكة أن تحضر ابنها بدلا منه)

كازانوفا يخفى قرابته لحائكة !

◆ وجاء الخادم الجديد ، فاذا به شاب بشوش ، مليح ، متواضع ، فى الثامنة عشرة من عمره ، ذكر ان اسمه « كودانيا » .. وتذكرت اذ ذاك ان احدى اخوات أبى تزوجت فى (بارما) من رجل من اسرة « كودانيا » .. واستطعت فيما بعد ان أتأكد من ان المرأة هى عمتى بالفعل ، وان ابنتها وابنها من أقرب أقاربى ، ولكننى لم أصارحهم بهذه القربى ! .. على اننا اكراما للأم أصبحنا ندعوها لتناول الطعام على مائدتنا ..

وفى مساء اليوم الثانى ، جلست مع حبيبتى نتناول عشاءنا وحيدين ، فلاحظت على وجهها أمارات الأسى . واذ سألتها قالت : « انك يا حبيبى تسرف

فى الانفاق على ، فاذا كنت ترمى بذلك الى أن ازداد لك حبا ، فاعلم انني لا أحبك اليوم أكثر مما كنت أحبك بالأمس ، اذ أن حبك يملأ كل قلبى »

فهتفت : « اواه يا حبيبتى ! ٠٠ دعينى أشعر بأننى غنى ، وثقى انك لن تكونى سبب افلاسى ٠٠ انك لم تخلقى الا لاسعادى ، وكل ما أرجوه هو ان لا تفارقينى أبدا »

ـ وهذه كل أمنيتى ٠٠ ولكن ، كيف لنا ان نثق بالمستقبل ؟ ٠٠ أأنت حر ؟ ٠٠ ألست مرتبطا بأحد ؟

ـ لست مرتبطا فى الحياة كلها بسواك ، وكم أرجو ان تكونى كذلك بالنسبة لى

ـ لن يستطيع أن ينتزعك من أحضانى الا شىء واحد : الواجب ! ٠٠ اننى واثقة من ان هناك من يبحثون الآن عنى ، ولن يلبثوا ان يعثروا على ، أينما كنت ٠٠ وما أشد تعاستى اذ ذاك !

ـ ما أظن هؤلاء الأشخاص هنا فى الآونة الحاضرة ، فلا تعكرى بالخوف هناءتنا ٠٠ أو تخشين الضابط الذى فررت منه فى روما ؟

ـ ان هذا الضابط والد زوجى ، وما فررت منه الا لأنه كان يبغى أن يزج بى فى الدير ، فيدفننى حية ! ٠٠ ألا اغفر لى اضطرارى الى أن لا أبوح لك بقصتى!

وأقبل مدرس اللغة الايطالية فى الصباح التالى ٠٠ كان رجل محترم المظهر ، مؤدبا ، متحفظا فى حديثه ٠٠ ولكنه من ناحية أخرى كان مثالا للنفاق المهذب ! ٠٠ وتركته مع « هنرييت » ساعة ، فلما عدت صارحنى بأنه وجد « هنرييت » على قدر وافر من الثقافة ٠٠ وكان هذا الاستاذ ـ ويدعى « فالنتان ديلاهاى » ـ مهندسا فى الأصل ، وما أرانى بحاجة الى أن أصفه للقارىء ، اذ أنه لن يلبث أن يعرفه فى كثير من المناسبات فى مذكراتى ٠٠



وأثبتت « هنرييت » على مر الأيام وفاء ، وهياما ، مع ذكاء ، وحضور بديهة ، وثقافة رفيعة نمت عن اطلاع واسع ٠٠ والذى لا يؤمن بأن من النساء من تستطيع أن تكفل للرجل سعادة متواصلة طوال ساعات اليوم الأربع والعشرين ، لم يحظ من دهره ولا بد بامرأة مثل « هنرييت » ٠٠ كانت هى الرقة ، والحنان ، والذكاء

.. وكانت كفيلة بأن تأسر قلب كل انسان !

وفى ذات يوم ، ذهبت الى مكتبة فرنسية ، فالتقيت هناك باحدب يدعى « ديبوا شاترلرو » .. وكان حفارا بارعا ، يتولى ادارة دار صك النقود التابعة لولى عهد اسبانيا ، فسرعان ما غدا صديقا وفيا ، يبادر الى اداء كل خدمة أرجوها ..

سمو مكانة الحبيبة !

◆ ما أن لحقت « مدام دى فرانس » بزوجها « الدون فيليبو » - ولى عهد اسبانيا - فى (بارما) حتى بدأ موسم الاوبرا .. واحتجزت لهنرييت ولى مقصورة فى دار « الاوبرا » ، حرصت على أن تكون بمنجى عن اجتذاب الأنظار الينا !

وبعد شهر ، كانت « هنرييت » قد تمكنت من اللغة الايطالية ، وأخذت تحرص ما استطاعت على ان تدرب لسانها على الانطلاق بها .. وأصبحت أصحب حبيبتى معى اينما خرجت ، ونحن نحرص على أن نسدل الستائر على نوافذ العربة ونتجنب التعرف بالناس أو مخالطتهم .. وكان « ديبوا » يعجب من أمرنا ، ويحاول أن يعرف شيئا من قصتنا ، بيد انه كان أمكر من أن يفضح فضوله ، فظل يتحين الفرصة ، الى ان ذكر لى يوما ان بلاط ولى العهد الاسبانى قد غدا أبهج مكان فى المدينة ، وملتقى الأجانب جميعا .. ثم التفت الى « هنرييت » قائلا : « ان كثيرا من السيدات الأجنبيات عندنا يجدن فى البلاط سماء تتألق فيها نجومهن .. وكم أرجو لو ان السيدة أسعدتنا ، فنراها هناك » !

فقالت فى ترفع : « اننى أعتبر الظهور فى البلاط دعاية ممجوجة ، لا سيما اذا كان من حق السيدة أن تظهر فى البلاط بالفعل ، ولكن أحدا لم يدعها »

وكان عذرا لبقا ، أفحم الرجل ، وأقنعه فى الوقت ذاته بسمو مكانة حبيبتى !

لقاء يثير الهواجس !

◆ هكذا ظلت أيامنا تترى مفعمة بالسعادة والهناءة .. حتى اذا كان اليوم التالى لانتهاء موسم الأوبرا ، قال « ديبوا » - وهو يتناول الغداء على مائدتنا - انه دعا كبار فنانى « الاوبرا » الى تناول الغداء على مائدته فى اليوم التالى ، وان المغنى الأول والمغنية الأولى سيؤديان بعض أغانيهما .. ودعانا الى حضور المأدبة ، فلما انصرف ، تشاورنا فى الأمر ، فقالت « هنرييت » انها تخشى أن يكون بين المدعوين من يعرفها فيقضى على سعادتنا ، ولكنها تخشى أيضا أن نزيد من فضول « ديبوا » بعدم تلبيتنا الدعوة ، ومن ثم اتفقنا على أن نتأخر عن موعد المأدبة ، بحيث نصل الى الدار أثناء الغناء ، فنندس بين الجمع دون أن نثير انتباها ..

وكانت مفاجأة لنا حين ذهبنا فى اليوم التالى ، فوجدنا ان موعد الحفل قد ارجىء الى ما بعد العشاء ٠٠ واضطررنا الى البقاء ٠٠ ولو اننى كنت على دراية بقصة « هنرييت » لكان لى تصرف آخر ، بل لما مكثت فى (بارما) ، ولبعدت بحبيبتى الى أقصى أطراف الأرض ٠٠

كان « ديبوا » قد دعا الى مأدبته أشهر نبلاء البلاط ، من اسبانيين وفرنسيين ٠٠ وكان جمال « هنرييت » كفيلا بأن يثير اهتمامهم ، ويجتذب أنظارهم ٠٠ على ان الحفلة انتهت على خير حال ٠٠ وانقضى بعدها شهر ، حظينا خلاله بأشهى متع الجسم ، والفكر ، والروح ! ٠٠ ثم انتقل البلاط الى (كولورنو) ، وتقرر أن يقام مهرجان هائل ، رأيت ان نرحل لمشاهدته ٠٠ وفيما كنا نتمشى ذات مساء - مع « ديبوا » - فى حدائق القصر الاميرى ، الذى فتحت أبوابه لجميع الناس ، التقينا بمدام دى فرانس تتمشى مع نفر من حاشيتها ٠٠ ولاحظت أن سيدا من مرافقى الأميرة أخذ يرمق « هنرييت » بنظرات ثاقبة ، متفحصة ٠٠ حتى اذا هممنا بالعودة بعد فترة ، التقينا بذلك السيد يعترض طريقنا ، ثم يشير الى « ديبوا » ، فينتحى به جانبا ٠ وطال حديثهما ٠٠ وكانت أنظارهما تتطلع الينا بين وقت وآخر ٠ وما لبث السيد أن سار نحونا ، فاعتذر فى أدب ، ثم انحنى لهنرييت وسألها عما اذا كان قد تشرف بمقابلتها من قبل ، فأجابت مضطربة : « ما أظننى أذكر اننى حظيت برؤيتك قبل اليوم »

قال : « اذن ، اغفرى لى خطئى يا سيدتى » ٠٠

وكرر الرجل اعتذاره ، ثم انصرف ٠٠

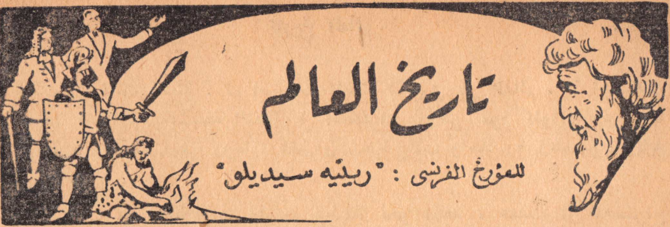
وبدت « هنرييت » فى تلك الليلة قلقة ، مهمومة ٠ ولما سألتها عما بها ، ذكرت لى انها أدركت من اسم ذلك الرجل - وكان « دانتوان » - انه من أسرة عريقة فى مقاطعة (بروفانس) الفرنسية ، ولكنها لم تره من قبل ٠٠ فصارحتها بأننى تطيرت من ذلك اللقاء ، ودعوتها الى أن نبادر بالعودة الى (بارما) حيث اسوى بعض المسائل ، ثم نرحل الى (جنوا) ، فقالت : « ان هذا أدعى لراحتنا يا عزيزى ، بيد اننى لا أرى حاجة بنا الى العجلة ! »

موعد مع السيد « دانتوان » !

◆ وعدنا الى (بارما) ٠٠ وبعد يومين ، أحضر لى خادمى رسالة ، ذكر ان حاملها يرتقب ردا ٠٠ وناولتها الى حبيبتى ففضتها ، وأرسلت بصرها خلال سطورها ، ثم أسلمتها الى قائلة : « اعتقد ان السيد دانتوان رجل شريف ، وان لا داعى لأن نخشاه » ٠٠ وقرأت فى الرسالة هذه السطور :

« أناشدك يا سيدى أن تحدد موعدا ألقاك فيه - فى فندقك أو فى مسكنى ، او فى أى مكان يحلو لك - لنتحدث فى موضوع عظيم الأهمية بالنسبة لك ، ويشرفنى أن أكون المخلص : دانتوان »

(يتبع)



« روما » .. فى ألف عام

◆ حدثنا المؤرخ الفرنسى « رينيه سيديللو » ، فى الحلقة الماضية من كتابه « تاريخ العالم » ، عن انهيار عصر الحضارة الاغريقية.. وينتقل بنا فى هذه الحلقة الى ناحية أخرى من التاريخ القديم .. الناحية التى كانت روما محورها ومركزها .. وهو يقسم التاريخ فى هذه الناحية الى عصرين ، يتألف كل منهما من ألف عام : ألف عام لروما ـ وألف أخرى للمسيحية .. فتعالوا نبدأ معه الألف الأولى

القسوة والوحشية فى دماء الرومان !

◆ اذا كانت روما قد تأخرت عن اليونان فى بلوغ قمة المجد ، الا ان العصر الرومانى تداخل مع العصر الاغريقى ، وتشابكت حضارتهما تشابك حلقتى السلسلة .. وبدأ الزمن يتمخض عن مولد روما فى صميم قرون العصر الاغريقى .. وعلى هذا فلن نرتد القهقرى ثانية فى مجال الزمن فحسب ، وانما يجب ايضا ان نمد بصرنا لآفاق أوسع فى مجال الفراغ ، محطمين النطاق الضيق الذى اقتصرنا عليه فى تاريخ الحضارات السابقة ، وان نتجه غربا .. فان زعامة العالم اخذت تنتقل من الجانب الشرقى لحوض البحر الأبيض المتوسط الى الجانب الغربى ، قبل ان تتحول الى الشمال .

تأخر غزو القبائل الهندية الأوربية لايطاليا عن غزوهم لليونان بقرون عديدة ، فجاء حوالى سنة ١٢٠٠ قبل الميلاد .. ولم يقدر لروما قط ان تبلغ فى ثقافتها مستوى رفيعا كذلك الذى بلغه الاغريق .. المستوى الذى يرتقى بالطباع والنفس والروح !.. فلقد يصبح رعاة رومامزارعين ، وجنودهاكامين.. لكن بقية موروثة من القسوة والوحشية تظل كامنة فى أعماق كل قلبرومانى !

عشرون شعبا .. بقلب واحد !

◆ على ان القسوة لم تطغ على العظمة . واذا كانالاغريق قد علموا الجنس البشرى الجمال ، فان الرومان لقنوه درسا فى الوحدة .. فقد بدات روماقرية ،

وما لبثت ان غدت مدينة ، ثم اصبحت المدينة الكبرى فى العالم ، اذ اخـذت تمتد حولها امبراطورية متسعة النطاق فى استطراد ، وهى تقوم كنواتها ومركزها .. على أن روما ظلت هى روما : عشرون شعبا بقلب واحد .. وخمسون ولاية براس واحد !

واذ سارت روما بخطوات واسعة وطيدة نحو المجد ، عمدت الى اختراع ماض لنفسها يكون أهلا بمطامحها .. وكأغنياء الحرب ، ألفت لنفسها شجرة حسب ونسب تتصل بالآلهة والامراء .. وخلقت أساطير عن بدايتها تتصل بالحكام ذوى الصلات القدسية ، والوحوش ، والحيوان ! .. وليس معنى ذلك ان تاريخها الأول كله زيف .. فمن الجائز ان فى اعقاب فتح (طروادة) ، اتصل عدد من اللاجئين بأهل ايطاليا الأصليين ، واستقروا فى بقعة تدعى (لاتيوم) .. وربما كان «الاتروسكان» فى الشمال من سلالة مهاجرين من آسيا الصغرى .. على ان من المؤكد ، ان قوما من الاغريق حملوا الى جنوب ايطاليا كنوز الحضارة الاغريقية ..

قوة العزيمة .. تؤدى الى العظمة !

◆ والمرجح ان أصول العنصر الذى عمر روما فى البداية تتمثل فى اتحاد اربع عشائر أو عناصر – حوالى سنة ٧٥٠ قبل الميلاد – هى : الالبان ، والسابين ، واللاتين ، والرومان .. فاختلطت دماؤهم ، وعبدوا آلهة مشتركة ! .. وكانت روما بوتقة صهرت الأجناس والمعتقدات فوحدتها . على أنها ظلت قرونا عديدة لا تزيد عن مجرد البلدة التى تقام فيها السوق لقرى الاتحاد اللاتينى . وكانت تهتم بانشاء جسر على نهر التيبر ،واستصلاح المستنقعات الملحة ، وانشاء مرفأ عند مصب النهر ، ومن ثم أسلمت أمورها ومصائرها الى ملك جمع بين السلطات العسكرية والقضائية والدينية ، وكان كثيرا ما يختار من بين الشعب . وكان انتخابه يتوقف على الاجماع العام . وقد أبدت روما من باكورة عمرها اتجاها الى التشريع ، فكان قانونها مجموعة من الطقوس التى اختلطت فيها المعتقدات الدينية بالخرافات ..

وكان كل ما يحيط بروما – فى فجر التاريخ الرومانى – يبشر بمستقبل زاهر .. كان « الاتروسكان » على دراية بهندسة الرى والصرف واستخراج الحديد والنحاس من الأرض .. وكانوا على علم بصناعة الأوانى والأوعية .. وكان اليونانيون الذين استوطنوا (صقلية) و (كمبانيا) على معرفة بانشاء المعابد ، وبالبحوث الفلسفية .. بيد ان مدن العنصرين لم تؤت الشىء الذى كفل لروما ان تغدو عظيمة .. كانت تعوز المدن الاخرى : «قوة العزيمة» !

الجمهورية .. أو حكم النبلاء !

◆ وكان انتخاب الملك فى روما - حوالى سنة ٥٠٠ ق . م - يتم باستفتاء عام للشعب ، بيد ان هذا النظام لم يرق لزعماء العشائر ، اذ كانت الغيرة والتنافس على السلطان على أشدهما بينهم . ومن ثم فرضوا على الدولة الناشئة نظاما جمهوريا يستند الى نفوذ شيوخ القبائل . وبدلا من ملك واحد ينتخب ليرتقى العرش مدى حياته ، أقاموا حكومة ارستقراطية مزدوجة .. فكان يشرف على شئون الدولة قنصلان ، ينتخبان لمدة سنة واحدة ، ويتوليان منصبيهما بطريقة لا تؤثر على سلطان شيوخ القبائل ، اذ كان الحاكم الحقيقى لروما هو مجلس الشيوخ ، فكان هو الهيئة التى تسن القوانين ، وتقرر الاعتمادات ، وتجيز للحكومة تجنيد الناس ، وتشرف على السياسة الخارجية ..

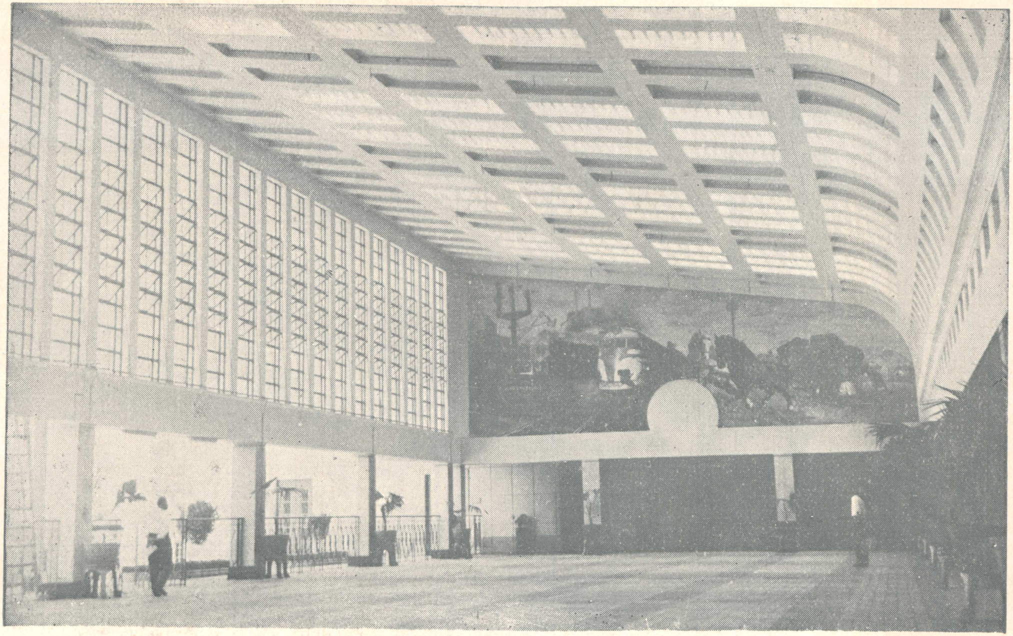
ولقد اتى وقت كان الاستفتاء فيه عاما لجميع الطبقات ، ولكن عضوية مجلس الشيوخ ظلت موقوفة على الارستقراطيين والثراة الذين حاولوا ان يستغلوا الشعب . فلم يكن « كاتو » الخطيب المصقع سوى رجل ثرى راح يدافع عن مصالح الارستقراطية ، فى الوقت الذى كان يزعم فيه انه يدافع عن (روما) .. و « شيشيرون » المحافظ ، بطل معركة فساد الجمهورية ، لم يكن فى الواقع سوى عضو بمجلس الشيوخ ، عمل ضد الشعب ! .. وقد استغرق تنظيم قوة الناخبين - فى الاستفتاء العام - لمحاربة نفوذ الشيوخ عدة قرون ، وهذا كفيل بأن يوضح لنا حقيقة السياسة الداخلية فى الجمهورية الرومانية . وفى خلال تلك القرون ، كان الناخبون مستضعفين ، مستغلين ، يتحسرون على الأيام التى كان يتولى السلطة فيها ملوك منتخبون ..

يقظة المستضعفين !

◆ على انهم ازدادوا قوة على مر الأيام ، وأخذوا يدأبون على المطالبة بالمساواة فى الحقوق .. وكان أول نصر لهم ، انشاء هيئات مهمتها الدفاع عنهم ضد أعدائهم .. وفازوا بحق الاجتماع ، وجاهدوا حتى ألغوا نظام استعباد المدنيين حتى يوفوا بديونهم ، وأجبروا مجلس الشيوخ على اصدار قانون ينظم الزواج ويبيحه بين الطبقات المختلفة - وكان من قبل محرما بين طبقة وأخرى ! - وما لبثوا ان ظفروا بمناصب من تلك التى كانت مقصورة على النبلاء وحدهم ..

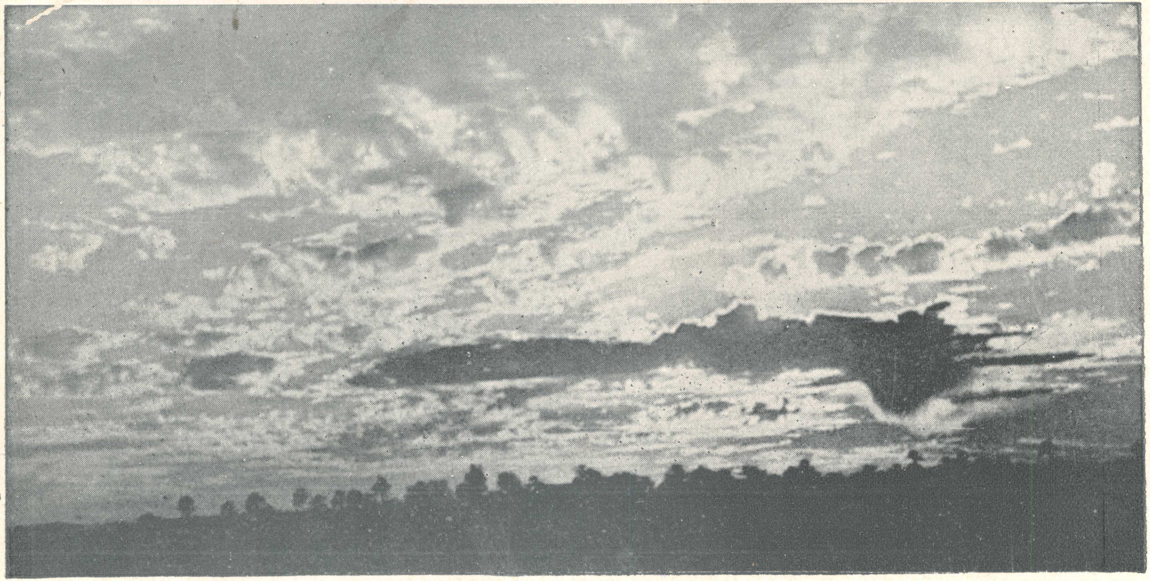
على انهم ظلوا مستضعفين .. كانوا فقراء ، وكانوا - صناعا أو مستخدمين - يعانون وطأة منافسة الرقيق الذين كانوا يعملون بغير أجر .. أما المزارعون منهم ، فكانوا يعانون من منافسة أخرى ، هى استيراد الغلال من الخارج .. وكثيرا ما كانوا يضطرون الى هجر أرضهم ، والنزوح الى المدن حيث يعانون من البطالة ..

(يتبع)



هل تصدق أن هذه المحطة فى مصر ؟

محطة بورسعيد الجديدة (تصوير الاستاذ يوسف عبد الشهيد المحامى)



غروب ..

لوحة فوتوغرافية للفنان يوسف عبد الشهيد المحامى

مطبوعات

كتابى

يصدرها: حلمى مراد

تقدّم لك فى منتصف فبراير الحالى

الجزء الثانى والأخير من درة «جوستاف فلوبير» الخالدة

مدام بوفارى

بنصها الحرفى الكامل ، لأول مرة باللغة العربية ... ومذيلة بملحق خاص يتضمن مرافعات الاتهام والدفاع فى محاكمة مؤلفها أمام محكمة جنح باريس فى فبراير سنة ١٨٥٧ بتهمة تبرير الخيانة الزوجية والدفاع عن الزوجة الخاطئة !

اقرأ فى هذا الجزء كيف انحدرت «ايما بوفارى» الى الهاوية .. وكيف تتعذب الزوجة حين تتخذ لنفسها عشيقاً !

أقوى قصة من الأدب الواقعى تصور نزوات المرأة الحسية ، وصراعها مع نفسها .. ومع المجتمع !

